

منهج الإيجي في تفسيره

جامع البيان إعداد

فادي محمود أحمد الرياحنت

مكتبة الجامعة الأردنية
المشرف

مركز إبداع الرسائل الجامعية

الدكتور أحمد خالد شكري

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في

التفسير

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

كانون الأول ٢٠٠٣

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ ٢٠/١١/٢٠٠٣م

أعضاء لجنة المناقشة:

الدكتور أحمد شكري	رئيساً ومشرفاً
الأستاذ الدكتور فريد السلمان	عضواً
الدكتور أحمد نوفل	عضواً
الدكتور أمين المناسي	عضواً

الإهداء

إلى من رافقني طيفه في ثنايا بحثي فتمنيت أن يكون بيننا
إلى روح والدي

إلى السيدة الفاضلة ، صاحبة القلب الكبير
والدتي

إلى من اقتسمت معها حلو الحياة ومرها رفيقة دربي
جميع الحقوق محفوظة..... زوجتي أم غيث

إلى قرّة عيني وقلدة كبدي
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية
إبني غيث

إلى من أسأل الله تعالى أن يبصرهم سبل الهداية والرشاد
إخواني وأخواتي الأعزاء

إلى كل من يهمه أمر المسلمين

أهدي باكورة إنتاجي العلمي المتواضع

شكر وتقدير

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ﴾^(١)

﴿ لِيَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾^(٢)

فلك يا رب الحمد والشكر، على نعمك العظيمة والآثك الكثيرة، ولك الشكر على ما أنعمت به علي من تمام هذا العمل وإنجازره، فلك الحمد في الدنيا والآخرة.

ثم تقديراً واعتزازاً بالأهل الفضل بفضلهم، أتقدم بالشكر والتقدير لمشري في فضيلة الدكتور أحمد شكري، الذي مرعى هذا العمل منذ بداياته، وما مجل علي بوقته وجهده، وأهداني نصائحه وملاحظاته وتوجيهاته، حتى ظهر هذا العمل بهذه الصورة.

كما أتوجه بالشكر الوافر إلى الأساتذة الأكارم الذين تكروا بمناقشة هذا البحث ورفع شوائبه واستكمال نواقصه فبملاحظاتهم وتوجيهاتهم سيتغزى بحثي بالمنفعة والنجاح، إن شاء الله تعالى.

كما أشكر كل من ساعدني في إعداد هذا البحث قريباً أو بعيد فلهم مني أحر الشكر وأجزله.

والحمد لله رب العالمين

(١) الأحقاف: الآية: ١٥.

(٢) إبراهيم، الآية: ٧.

فهرس المحتويات

الموضوع

الصفحة

ب	قرار لجنة المناقشة
ج	الإهداء
د	شكر وتقدير
هـ	فهرس المحتويات
ح	المخلص باللغة العربية
١	المقدمة
٦	الفصل الأول: التعريف بالإيجي وبتفسيره جامع البيان معية
٧	المبحث الأول: الحياة العامة في عصر معين الدين بن صفي الإيجي وأثرها فيه
٧	المطلب الأول: الحياة السياسية
١١	المطلب الثاني: الحياة الاجتماعية والإقتصادية
١٢	المطلب الثالث: الحياة العلمية والدينية
١٥	المطلب الرابع: أهم العوامل التي أثرت في صقل شخصية الإيجي
١٧	المبحث الثاني: التعريف بالإيجي "حياته الشخصية وثقافته العلمية"
١٧	المطلب الأول: اسمه ونسبه
١٨	المطلب الثاني: ولادته ونشأته
١٩	المطلب الثالث: طلبه العلم ومنزلته فيه.
٢٠	المطلب الرابع: إجازاته وشيوخه وتلاميذه.
٢٣	المطلب الخامس: مؤلفاته
٢٤	المطلب السادس: وفاته
٢٥	المبحث الثالث: تعريف عام بتفسير جامع البيان

٢٦	المطلب الأول: تحقيق نسبة جامع البيان للإيجي
٢٧	المطلب الثاني: التعريف بطبعات الكتاب وبالنسخة المستخدمة في الدراسة
٢٨	المطلب الثالث: تاريخ تأليفه ودافعه
٢٨	المطلب الرابع: الدراسات السابقة للموضوع
٢٩	المطلب الخامس: دوافع الإيجي لاختصار تفسيره
٢٩	المطلب السادس: الأسلوب العام في تفسير جامع البيان
٣٢	الفصل الثاني: مصادر الإيجي في جامع البيان
٣٣	تمهيد
٣٤	المبحث الأول: طبيعة مصادر الإيجي وقيمتها العلمية
٣٦	المبحث الثاني: طرق نقل الإيجي عن مصادره
٣٨	المبحث الثالث: نقد الإيجي لمصادره
٤٣	المبحث الرابع: التعريف بمصادر الإيجي
٤٣	المطلب الأول: مصادره من كتب التفسير
٥٥	المطلب الثاني: مصادره من كتب الحديث
٦٣	المطلب الثالث: مصادره من كتب التاريخ والسير والتراجم
٦٥	المطلب الرابع: مصادره من اللغة والنحو
٧٢	المطلب الخامس: مصادره من كتب علوم القرآن
٧٣	الفصل الثالث: دراسة وتحليل تفسير جامع البيان
٧٤	المبحث الأول: منهج الإيجي في التفسير بالمأثور
٧٥	المطلب الأول: منهج الإيجي في تفسير القرآن بالقرآن
٨٥	المطلب الثاني: منهج الإيجي في تفسير القرآن بالسنة
٩٤	المطلب الثالث: منهج الإيجي في تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين
١٠٣	المبحث الثاني: موقف الإيجي من التفسير بالرأي
١١١	المبحث الثالث: الاتجاه اللغوي والنحوي في جامع البيان
١١١	المطلب الأول: الاشتقاق

١١٧	المطلب الثاني: الغريب
١٢٠	المطلب الثالث: تناوب الحروف
١٢١	المطلب الرابع: معاني الحروف
١٢٥	المطلب الخامس: التضمين
١٢٧	المطلب السادس: القلب
١٢٧	المطلب السابع: الاستشهاد بالشعر
١٣٤	المطلب الثامن: الاستشهاد بأمثال العرب وكلامهم ولهجاتهم
١٣٦	المطلب التاسع: الجانب النحوي في جامع البيان
١٤٢	المبحث الرابع: علوم البلاغة في تفسير جامع البيان
١٤٢	المطلب الأول: علم المعاني
١٥١	المطلب الثاني: علم البيان
١٥٨	المطلب الثالث: علم النديع
١٦٢	المبحث الخامس: منهج الإيجي في العناية بعلوم القرآن
١٦٢	المطلب الأول: منهجه في إيراد أسباب النزول
١٧٢	المطلب الثاني: منهجه في تحديد المكي والمدني
١٧٦	المطلب الثالث: منهجه في عرض القراءات
١٨٦	المطلب الرابع: منهجه في إيراد المناسبات بين الآيات
١٨٨	المطلب الخامس: منهج الإيجي في الناسخ والمنسوخ
١٩٤	المطلب السادس: منهجه في إيراد فضائل السور
١٩٦	المبحث السادس: الاتجاه الفقهي في جامع البيان
١٩٦	المطلب الأول: طرق استنباط الأحكام
٢٠٢	المطلب الثاني: طرق عرض الآراء الفقهية
٢٠٩	المبحث السابع: الإتجاه العقدي في جامع البيان
٢٢١	المبحث الثامن: الدخيل والإسرائيليات في جامع البيان وموقف الإيجي منه
٢٣٠	الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي انتهت إليها.
٢٣٢	المصادر والمراجع

منهج الإيجي في تفسير جامع البيان

إعداد

فادي محمود أحمد الرياحنة

المشرف

الدكتور أحمد خالد شكري

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز منهج الإمام الإيجي في تفسيره جامع البيان، قام الباحث فيها بعمل دراسة عن حياة الإمام الإيجي الشخصية والعلمية ثم عرف بتفسيره من حيث تاريخ تأليفه وطبعاته وحجم الكتاب والأسلوب العام الذي اتبعه في تفسيره.

ثم قام بدراسة مصادر الإمام الإيجي من حيث طبيعتها وقيمتها العلمية ومدى اعتماده عليها ونقده لها، مرتبا إياها حسب موضوعاتها، مع تعريف موجز ببعضها.

ثم تناول الباحث منهج الإيجي بالدراسة والتحليل فجاء في ثمانية مباحث تناول فيها منهجه في التفسير بالمأثور، من تفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة، وبأقوال الصحابة والتابعين ثم تحدث الباحث عن تفسير القرآن بالرأي عنده متناولا فيه منهجه في الجمع بين المأثور والمعقول. ثم أفرد مبحثا للحديث حول الإتجاه اللغوي والنحوي في جامع البيان تحدث فيه عن عناية الإيجي باللفظة القرآنية واشتقاقها وأوزانها واستشهاده بالشعر وبكلام العرب وأمثالهم.

ثم تحدث عن عنايته بعلم القرآن كالقراءات والنسخ وأسباب النزول إلى جانب الحديث عن المحكم والمتشابه وغيرها من المسائل المتعلقة بهذا العلم. ثم تناول الباحث الاتجاه الفقهي عند الإيجي وبين منهجه في بحث المسائل الفقهية التي تعرض لها في تفسيره. ثم أفرد مبحثا للحديث عن الاتجاه العقدي عند الإيجي وطريقة تناوله لبعض مسائل العقيدة موضحا عقيدة المفسر.

وأخيراً تحدث الباحث عن موقف الإمام الإيجي من الدخيل والإسرائيليات. ثم ختم البحث بخاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات.

وقد جاءت الرسالة إسهاماً متواضعاً في باب نشر علوم الأوائل وتجليه شخصياتهم العلمية عرفانا بفضلهم.

والله ولي التوفيق

المقدمة

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على محمد ابن عبد الله، الذي أرسله ربه شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

ويعد ...

فان القرآن الكريم كتاب الله تعالى، بالحق أنزله وبالحق نزل، معجزة الإسلام الخالدة الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(١)، منبع الهداية، ومعلم الرشاد، أخرج البشرية من ظلمات الحيرة والجهل إلى نور العلم والهداية والمعرفة وحفظ الأمة من الضياع، وأثبت هويتها، وحفظ دوامها وبقائها. ومن هنا فلا عجب أن يكون هذا الكتاب موضع العناية الإلهية، والرعاية الربانية بالحفظ

من كل تحريف وتزييف قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢)

لذا عكف العلماء على دراسته وتفسيره حتى بلغوا شأواً عظيماً في فهمه واستخراج كنوزه وبذلوا في سبيل ذلك الغالي والنفيس وأفنوا أعمارهم في سبيل هذه الغاية العظيمة. فكان من الواجب علينا أن نحفظ هذا الميراث عنهم، ولا يكون ذلك إلا بفهم مناهجهم، ومعرفة أساليبهم التي اتبعوها، وكما هو معلوم أن لكل منهم أسلوبه ومنهجه الخاص به، على ضوءه يفهم كلامه، ويعرف مقصده ومراده، وعلى الضد من ذلك فإن عدم فهمه أدى إلى خطأ كثير من الناس حتى عابوا عليهم ما ليس يعيبيهم.

ولما كان تفسير جامع البيان جزءاً من هذا الميراث العظيم الذي تناول كتاب الله العزيز دراسة وتفسيراً، عزمنا مستعيناً بالله تعالى على دراسة منهج صاحبه فيه راجياً من الله التوفيق، وحسن القبول، إنه نعم المسؤول.

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩.

مسوغات اختيار الموضوع:

لقي تفسير جامع البيان للإيجي اهتماماً كبيراً من الباحثين قديماً وحديثاً لا سيما أنه قد اشتهر في زمانه - خصوصاً في أقصى المشرق - فسعى كثير منهم لتجلية جوانبه العلمية فقاموا بوضع الحواشي والتعليقات عليه يقول الشيخ محمد بن عبد الله الغزنوي^(١):

وقد اجتهدت في تصحيحه وحل مطالبه بحسب الوسع والطاقة وقرأت لأجل تحشيثه أسفار المفسرين على تنوعها وأخذت زبدها ودرها ومررت على رياض التفسير على كثرة عددها واقتطفت ثمرها وزهرها وغصت بحار فنون القران فاستخرجت جواهرها ودرها... فجاءت بحمد الله نسخة وافية كافية لتسهيل ما استصعب من المآرب مغنية عن المراجعة إلى المطولات المبسطة خالية عن الاعتزال والفلسفة، حاوية للمعنى المنقول عن الرسول المقبول أو الصحابة، جامعة للتفسير المأثور عن خير القرون من سلف الأمة...^(٢)

كما قام بالتعليق عليه أيضاً الشيخ أحمد محمد شاکر وغيره من العلماء ممن سيأتي الحديث عنهم فجاءت هذه التعليقات نافعة جامعة بحمد الله تعالى.

ومع هذا كله، لم أجد من تعرض لمنهج الإمام الإيجي في تفسيره ولآرائه التفسيرية والنحوية وغيرها من الأمور التي ضمنها تفسيره، فعزمت بإذن الله تعالى على البحث في تفسيره جامع البيان، ودراسة منهجه فيه، علّ ذلك يكون خطوة أولى - إن شاء الله - نحو ظهور هذا التفسير إلى حيز الوجود - مجدداً - وملفتاً لانتباه أصحاب المطابع ودور النشر بأن يتناولوا هذا التفسير بعين الاهتمام، إذا ما علمنا أن التفسير قد مر بفترة ذهبية تناوله فيها العلماء والعامّة وغرف كل منهم من معينه فمنهم طلاب العلم ومنهم العلماء فكان فيه كما قال الإيجي: "لمبتدئٍ حظ كثير وللعالَمِ حظ"^(٣)

هذا ويمكن إجمال أهم الأهداف العامة من هذه الدراسة على النحو التالي:

(١) هو العالم المحدث محمد بن عبد الله الغزنوي ثم الأمر تسري المجمع على فضله ونبله ودينه وتقواه لا ينكره إلا من كان في قلبه منه شيء ولد بقريّة "صاحب زاده" من أعمال "غزنة" ونشأ بها وأخذ عن والده وتفنن عليه بالفضائل ثم قدم الهند ودخل دهلي ولازم دروس الشيخ المحدث نذير حسين الحسيني الدهلوي وأخذ عنه وفاق الناس في الحديث، واشتغل به وسكن بأمر تسر وكان رحمه الله ممن أودى في ذات الله من المخالفين وأخيف في نصر السنة المحضة، وله حاشية على تفسير "جامع البيان" قد استحسنتها العلماء غاية الاستحسان مات في ذي القعدة سنة ١٢٩٦هـ، ينظر الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ج.

(٢) ينظر الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ج.

(٣) الإيجي، جامع البيان - المقدمة.

- ١- الاستفادة من منهج أحد أعلام المفسرين من خلال بيانه وتوضيحه.
- ٢- بيان مدى أهمية علم المناهج عند المفسرين.
- ٣- إبراز المميزات التي تحتف بهذا التفسير لتوظيفها وتصنيفها في علم المناهج عموماً والمفسرين خصوصاً ورفد المكتبة الإسلامية بهذا المؤلف.
- ٤- أولية هذه الدراسة وسبقها بإفراد منهج الإمام الإيجي في بحث مستقل.
- ٥- توفير الوقت والجهد على طلبة العلم والباحثين للاطلاع على دراسة تيسر لهم الاستفادة من منهج الإمام الإيجي ومزاياه العلمية.

مشكلة البحث

إن الناظر في تفسير جامع البيان يجد نفسه أمام تفسير طيب قد جمع فيه مصنفه كثيراً مما أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته فإذا هو أمام ثروة عظيمة من تراث هذه الأمة.

ونظراً لقلّة المراجع في هذا الموضوع وخفاء منهج الإيجي في ثنايا تفسيره سأسعى بإذن الله تعالى في هذه الدراسة للكشف عن مكوناته والوقوف على تفسيره والعيش معه ليالي وأياماً محاولاً بذلك دراسة أقواله وتجليه منهجه في تفسيره للكتاب العزيز وبيان ضوابطه فيه وطريقة تناوله لبعض مسائل التفسير وعلومه.

كما سأسعى لكشف النقاب عن ثقافة الإيجي الواسعة في اللغة وغيرها ومدى تأثيره وتأثيره بمن حوله من أهل التفسير وعلومه ومدى حرصه على تنقية الروايات التفسيرية في معرض بحثه للتفسير بالمأثور وكيف كان يفسر آيات القرآن بالقرآن، وبالسنّة، وبأقوال الصحابة والتابعين - رضي الله عنهم أجمعين - ومتى يقبل الرواية ومتى يردّها.

ومدى معرفته للتفسير بالرأي، وتناوله للجوانب اللغوية، وهل كان مُسَلِّماً لأقوال من سبقوه أم أنه خرج على أقوالهم وسعى نحو إبراز شخصيته، ثم ما هو موقفه - رحمه الله - تجاه القراءات، النسخ، الإسرائيليات، وغيرها من علوم القرآن والتي تعين على فهم كتاب الله وتفسيره.

تساؤلات كثيرة؛ سأسعى لبيانها - إن شاء الله -.

خطوات الدراسة ومنهجيتها:

وقد تمثل منهجي في البحث و الدراسة في خطواتٍ عمليةٍ سأسعى من وراء المسير بها إلى الوصول لنتائج دقيقة، وهي:

أولاً: قراءة تفسير "جامع البيان" للإيجي قراءة دقيقة واقفا على جزئياته للتعرف على منهجه في التفسير.

ثانياً: توزيع ما جمعت من أمثلة وشواهد على أبوابها المختلفة حسب الخطة المرسومة.

ثالثاً: إجراء دراسة على منهج الإيجي في هذه الآيات، وسمات تفسيره العامة؛ من حيث إظهار قواعده وأصوله في التفسير.

رابعاً: إيضاح شخصية الإيجي، وهل كان مجرد ناقل، أم أنه كان مجتهداً ناقداً.

خامساً: إيضاح عناية الإيجي بالقضايا المتعلقة بالتفسير كمباحث علوم القرآن كالمكي والمدني وأسباب النزول أو اللغة والنحو... وغيرها من المباحث.

و لذلك فقد قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

وقد استعنت بتجلية هذه الفصول بمراجع مهمة بينتها في الهامش.

خطة الدراسة:

جاءت خطة الدراسة كالتالي:

المقدمة: بينت فيها أهمية الموضوع، وسبب اختياره والمنهجية التي اتبعتها في الدراسة، وخطة البحث.

الفصل الأول: التعريف بالإيجي وبتفسيره جامع البيان:

وجعلت الحديث فيه في ثلاثة مباحث تكلمت في المبحث الأول عن الحياة العامة التي عاشها الإمام الإيجي والتي أثرت في شخصيته سواء أكانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو علمية مع ذكر أهم العوامل التي أثرت في شخصيته ثم تناولت في المبحث الثاني شخصية الإيجي من حيث اسمه ونسبه، مولده ونشأته، شيوخه وتلاميذه، ومنزلته بين العلماء...، ثم قمت بتعريف عام للتفسير مؤكداً نسبته لصاحبه مع التعريف بطبعات الكتاب والدراسات السابقة للموضوع....

الفصل الثاني: مصادر الإيجي في جامع البيان:

وفيه تتبعت مصادر الإيجي في تفسيره ودرستها في مبحثين كان الأول منهما دراسة عامة لمصادره من حيث طبيعتها وقيمتها العلمية وطرق نقل الإيجي منها ونقده لها أما الثاني فكان بيانا لمصادره من كتب التفسير والحديث واللغة وغيرها...".

الفصل الثالث: دراسة وتحليل تفسير جامع البيان:

وقد خصصته لدراسة منهج الإيجي في التفسير فجاء في ثمانية مباحث ذكرت في أولها منهج الإيجي في التفسير بالمأثور وفي الثاني التفسير بالرأي أما المبحث الثالث فقد تطرقت فيه إلى اتجاه الإيجي اللغوي وعنايته بهذا الجانب وذكرت في الرابع علوم البلاغة في جامع البيان بشعبها الثلاث "علم المعاني والبيان والبديع" وفي المبحث الخامس عرضت عناية الإيجي بمسائل علوم القرآن كأسباب النزول وتحديد المكي والمدني... وغيرها من المسائل المتعلقة بهذا العلم، ثم جاء المبحث السادس لبيان عناية الإيجي بالجانب الفقهي، ثم جاء السابع موضحاً الاتجاه العقدي في جامع البيان، مع ذكر بعض المسائل العقدية وموقف الإيجي منها، ثم ختمت هذه المباحث بموقف الإيجي من الدخيل عامة والإسرائيليات خاصة.

الخاتمة:

عرضت فيها لأهم نتائج الدراسة كما ألحقت بالمبحث ملخصاً باللغة العربية وآخر بالإنجليزية.

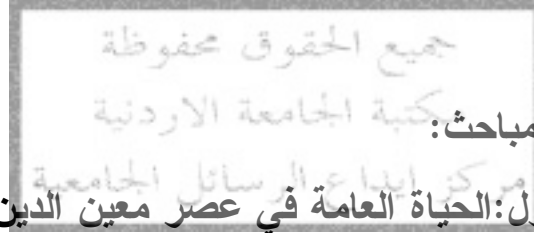
وأسأل الله أن يجزي أستاذي الدكتور أحمد شكري خير الجزاء الذي ما بخل علي بعلمه ووقته فقد أحاط بالبحث بالعناية والرعاية حتى خرج بهذه الصورة فله مني عظيم الامتنان وأدعو الله أن يبارك في علمه وفي عمره.

وفي الختام هذه بضاعتي معروضة عليكم، لكم غنمها وعلي غرمها فإن عدت حمداً وشكراً فلا أعدم منكم عذراً وما كان فيها من خير وصواب فمن الله فإن التوفيق بيده وما كان فيها من زلل فمني ومن الشيطان.

وحسبنا الله ونعم الوكيل

الفصل الأول

التعريف بالإيجي وبتفسيره جامع البيان



المبحث الأول: الحياة العامة في عصر معين الدين بن صفى الإيجي وأثرها فيه.

المبحث الثاني: التعريف بالإيجي "حياته الشخصية وثقافته العلمية".

المبحث الثالث: تعريف عام بتفسير جامع البيان.

المبحث الأول

الحياة العامة في عصر معين الدين بن صفى الإيجي وأثرها فيه

لما كانت البيئة التي يعيشها الإنسان والأوضاع والأحداث التي تقع حوله تؤثر في شخصيته وفكره، كان لابد من دراسة موجزة للفترة التي عاشها الإيجي - رحمه الله - من النواحي السياسية والاجتماعية والعلمية وفيما يلي صورة موجزة عنها:-

المطلب الأول: الحياة السياسية.

استهل القرن التاسع الهجري الذي عاش فيه السيد معين الدين بن صفى الدين الإيجي، وجروح المشرق العربي الإسلامي لم تلتئم بعد، جراء تعرضه لخطر عظيم عمل على تقويض دعائم الحضارة العربية والإسلامية، وهو خطر المغول الذين تقدموا نحو بغداد واجتاحوها وخربوها^(١)، وسفكوا الدماء وانتهبوا الأموال وانتهكوا الحرمات وروعوا الأمنين^(٢)، قال ابن تغري بردي: "وضرب بغداد الخراب العظيم، وأحرقت كتب العلم التي كانت بها في سائر العلوم والفنون التي ما كانت في الدنيا"^(٣).

فاستقبلت الأمة هذا القرن متأثرة بما جرى لها من أحداث في مشارق البلاد ومغاربها، وعاشت أوضاعا سياسية لم تعرفها العصور الإسلامية، وكانت في غاية من التعقيد والتمزق. ففي الغرب تدهورت أحوال الأندلس، وسعى البابا إلى تأسيس محاكم التفتيش^(٤)، وأطلق يدها

١ (ينظر: فوزي، فاروق عمر: العراق والتحدى الفارسي دراسة تاريخية، ط ١ ١٩٨٧م ص ٢٦٨، وينظر سلام، محمد زغلول، الأدب في العصر المملوكي، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٨م، ج١ ص ٣٣.

٢ (وينظر، شباور، عصام محمد، السلاطين في المشرق العربي، مهام دورهم السياسي والحضاري ٦٤٨-٩٢٣هـ، دار النهضة العربية - بيروت ط ١٩٩٤م، ص ٣٣، ابن سلام، الأدب في العصر المملوكي ج١ ص ١٠٦، مرجع سابق.

٣ (ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الاتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب العلمية - وزارة الثقافة والإرشاد - المؤسسة المصرية العامة، ج٧، ص ٥.

٤ (شكلت محاكم التفتيش في إسبانيا بمرسوم بابوي في تشرين الثاني ١٤٧٨م ينظر مظهر، علي مظهر، محاكم التفتيش بإسبانيا والبرتغال وفرنسا وغيرها وفيه آخر صفحة لتاريخ المسلمين بالفردوس الإسلامي المفقود الأندلس، مطبعة أنصار السنة المحمدية ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م، ص ٧٧-٧٩، وينظر قطب، محمد علي، كتاب مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس، ص ٥٥ وما بعدها.

في ذبح المسلمين وطردهم من ديارهم، وأشعلت النيران بالمصاحف، وهاجر منها من استطاع أن يهاجر ومن بقي من المسلمين أخفى إسلامه، وأظهر النصرانية.^(١)
هكذا اختتمت المأساة الأندلسية، واستولى النصارى على غرناطة آخر الحواضر الإسلامية في إسبانية.

أما على الجانب الآخر من البلاد الإسلامية، فقد آلت الخلافة الإسلامية إلى المماليك في مصر، حيث انتقل مركز السلطة إلى المماليك البرجية^(٢)، فتسلموا سدة السلطة وأداروا دفة الحكم ودعيت هذه الدولة بإسم دولة المماليك الثانية أو البرجية نسبة إلى سكنى هؤلاء المماليك في برج القلعة^(٣).

والذي يهمنا أن هذه الدولة كانت أهلا للبطولات والأمجاد^(٤) فقد وقفت بحزم أمام تيمورلنك عام ٨٠١ هـ^(٥)، وكانت سببا في عودة الحكم إلى الدولة الجلائرية، التي حكمت بلاد فارس في الفترة ما بين ٨٠٧ - ٨١٣ هـ بعد أن جهز حاكم مصر الظاهر برقوق جيشا وسلمه لأحمد بن أويس^(٦) فسار إلى بغداد ودخلها وحكمها، ولما عاد تيمور من ديار بكر خرج منها أحمد بن أويس وصديقه القره يوسف^(٧) متجها إلى مصر، وبعد هلاك تيمورلنك عام ٨٠٧ هـ^(٨)

(١) الصغير، مصرع غرناطة، ص ٩٩: مرجع سابق.

(٢) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار التحرير، طبعة بولاق، ١٢٧٠ هـ، ج ٣، ص ٩٨.

(٣) المرجع السابق، ج ٢، ص ٢١٤. وينظر شباور، السلاطين في المشرق العربي، ص ٩٣، مرجع سابق.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٦٠. وينظر شباور، السلاطين في المشرق العربي، ص ٩٣، وينظر شاكر، محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان، ط ١، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢ م، ج ١١، ص ١١.

(٥) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٤، ص ١٠١.

(٦) هو: أحمد بن أهل بن الشيخ حسن بن غياث الدين، صاحب بغداد وتبريز ملك بعد أبيه، ينظر الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، مطبعة السعادة، بيروت - لبنان، ط ١، ١٣٤٨ هـ، ج ١، ص ٤٢. ينظر الزركلي، الأعلام ١/١٠١-١٠٢.

(٧) هو صديق لأحمد بن أويس خرج معه إلى مصر بعد هروبه من بغداد ينظر ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ٣٩.

(٨) تمرلنك الطاغية، وقيل تيمور بن أيتمش بن زنكي، مولده سنة ٧٢٨ هـ، بقرية قرب سمرقند وكان ابتداء أمره سنة ٧٦٠ هـ، استولى على ممالك فارس وعراق العجم وغيرها من البلاد. ينظر ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ٢٥٤، والعسقلاني، ابن حجر، أنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: الدكتور حسن حبشي، إشراف محمد توفيق عويضة، القاهرة ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م، ج ٢، ص ٣٠١، رقم ٦. والسخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت، ج ٣، ص ٤٦، رقم ١٩٢. وابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٦٢، مرجع سابق.

تمكن أحمد بن أويس من السير إلى بغداد فدخلها وتسلم حكمها بإسم المماليك^(١) عام ٨٠٧ هـ وبذلك يكون قد عاد الحكم إلى الجلانريين^(٢) دون حرب على أنها عاصمة آبائهم^(٣)، ورحب بقومه أهالي المنطقة الذين وجدوا فيه السلطان الحقيقي لهم بعد ما ذاقوه من آلام ورعب وخوف وويلات الدمار والقتل وإراقة الدماء.

وفي هذه الفترة استعادت البلاد رونقها وازدهارها مرة أخرى بعد أن كانت لفترة طويلة ساحة للمجازر وحملات جيوش تيمور القاسية فانبعثت روح جديدة في نفوس الأهالي، واخضرت المزارع بعد طول جفاف وبور.^(٤)

ولكن ما لبثت البلاد أن هدأت حتى بدأ القره يوسف يعكر صفو الأمن، ويقطع الطريق بسبب غيرته من استيلاء أحمد بن أويس على تبريز، فبدأ يشكل من حوله مجموعة يستخدمها في الإغارة على المدن والأماكن، فنمت هذه المجموعة وقوي أمرها فقاتل بها أحمد بن أويس وانتصر عليه ثم أمسكه فأخذه أسيراً فعرضه على السيف وأجبره على كتابة صك بولاية بغداد إلى ولده شاه محمد ابن قره يوسف، وصك آخر بولاية أنزبيجان إلى ولده الثاني بيربوداق، وما إن وقع أحمد بن أويس للصكين حتى قتله وابنه علاء الدين^(٥)، فكانت نهاية حكم هذه الأسرة.

فآل الحكم إلى الأسرة البارانية^(٦) قره قوينلو، وسميت الدولة باسمهم في الفترة ما بين ٨١٣ - ٨٧٤ هـ، فبعد أن قتل أحمد بن أويس وابنه علاء الدين، سار الشاه محمد إلى بغداد وملكها عام ٨١٤ هـ، وبقي حتى توفي والده عام ٨٢٣ هـ، فضم إليه الأجزاء التي كان يحكمها

١ (العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص ٣٠٢، مرجع سابق وابن العماد، شذرات الذهب، ج٤، ص ١٠١ مرجع سابق، ومحمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج١١، ص ١١، مرجع سابق.

٢ (ينظر الصمانجي، عزيز قادر، التاريخ الإسلامي لترجمان العراق، دار الساقى، ط١، ١٩٩٩م، ص ٢٧.

٣ (ينظر شاكر، محمود، التاريخ الإسلامي، ج ١١، ص ١٢-١٣، مرجع سابق.

٤ (الأمين، حسن، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، دار التعارف للمطبوعات، الطبعة الخامسة ١٩٩٥م، ج٥، ص ٣٧١.

٥ (شاكر، محمود، التاريخ الإسلامي، ج ١١، ص ١٣-١٢، مرجع سابق، وينظر الصمانجي، التاريخ السياسي لترجمان العراق، ص ٤٧، وما بعدها وينظر ميربصري، أعلام التركمان، مكتبة الوراق، طبعة لندن، ص ١٤. وينظر ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ٩٩. وينظر: الأعلام، للزركلي، ج ١، ص ١٠١-١٠٢.

٦ ("البارانية" هي قبيلة توصلت إلى الحكم ويعتبر المؤرخون أن القره يوسف هو المؤسس لها. وهم من التركمان استولوا على كرمان وخضعت تحت سيطرتهم ينظر الصمانجي، التاريخ السياسي لترجمان العراق، ص ٤٩، وما بعدها. وينظر الأمين، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، ج ٩، ص ٣٦٤-٣٦٥، مرجع سابق.

والده فاتسعت رقعة ملكه، وكانت دولته تعرف بـ "القرة قوينلو" أي الخروف الأسود لأن الشاه محمد كان ينقش على علمه صورة خروف أسود.^(١)

وما إن دخل عام ٨٣٦هـ، حتى ثار على الشاه محمد أخوه أسبان، الذي دخل بغداد على حين خرج منها أخوه الشاه محمد إلى الموصل حيث قتل عام ٨٣٧هـ.^(٢)

وتوفي أسبان عام ٨٤٨هـ فتولى الحكم جهان شاه واصطدم مع حسن الطويل^(٣) عام ٨٧٢هـ وقتل جهان شاه وأخذ حسن الطويل جزءاً من أملاكه.

وقد ازداد نفوذ حسن الطويل فسيطر على جميع أنحاء الديار، حتى وصل ملكه إلى حدود الشام والعراق، فحكم أذربيجان وخراسان وكان حسن من كبار الفاتحين في القرن التاسع الهجري، ويذكر أن البلاد بلغت ذروتها في القوة في عهده فأنشأ فيها المؤسسات العلمية والدينية، وأسس التنظيمات الإدارية، وأمر بترجمة الكتب المختلفة وأشاد المؤرخون بعدله ورعايته لشؤون الأمة، وعرفت دولته باسم دولة آق^(٤) قولنيو ٨٧٣ - ٩١٤ أي الخروف الأبيض، وبقيت البلاد تحت ظل حكم هذه الأسرة حتى توفي حسن الطويل عام ٨٨٢هـ فخلفه ابنه حسين، ثم نازعه إخوته حتى آل الأمر لمراد بن يعقوب بن حسن الطويل وكان آخر حكام هذه الأسرة^(٥) فلم تدم طويلاً وذلك لأن هذه الدولة الناشئة قامت على عجل، ولم تحظ بما يضمن استمرارها ولهذا انقضت بأسرع مما كان يتوقع لها.

وبعد هذا كله، نخلص إلى أن الفترة التي عاشها الإيجي تميزت بعدم الاستقرار السياسي فكانت مليئة بالفتن والاضطرابات والمؤامرات التي كانت تحاك من أجل الوصول إلى الحكم.

(١) شاكر، محمود، التاريخ الإسلامي، ج ١١، ص ١٢. وينظر ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٦، ص ١٠٨، والصمانجي، التاريخ الإسلامي، ص ٤٧، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق، ص ١٢ - ١٣.

(٣) أمير من أمراء التركمان لبلاد فارس وهو حسن بيك بن علي بيك بن قرة عثمان، ويلقب بـ "اوزون" بسبب طول قامته ينظر أحمد الشنتناوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، دائرة المعارف الإسلامية. وينظر الصمانجي، التاريخ السياسي لتركمان العراق، ص ٤٨ وما بعدها، مرجع سابق.

(٤) آق أو الأعغ: وهي كلمة تركية وتعني الأخ الأكبر لما له عندهم من الإحترام ثم اصطلحت لتدل على الملوك والأمراء، وترجع هذه السلالة التركمانية إلى بهاء الدين قرة عثمان الذي كان أميراً على العراق وأرمينيا وبعد وفاة تيمور تعاضم نفوذها واتخذت من ديار بكر مقراً لها وكان لفترة من الزمن في خدمة ملوك مصر وكلمة آق قوينلو تعني باللغة التركية صاحب الخروف الأبيض الذي كان يرسم على أعلامهم ينظر الأمين، دائرة المعارف الشيعية، ج ٢، ص ٧٣، مرجع سابق. وأحمد الشنتناوي دائرة المعارف الإسلامية، ج ٢، ص ٤٥٥، مرجع سابق.

(٥) شاكر، محمود، التاريخ الإسلامي، ج ١١، ص ١٢، ١٣، مرجع سابق.

فقد عاش الإيجي أكثر من ثلثي حياته تقريبا في ظل هذه البلاد ثم انتقل بعدها إلى أم القرى مكة المكرمة ليحط برحاله بعد أن ارتحل طلبا للعلم فاستقر به المقام هناك وجلس للإقراء والتصنيف، حتى كانت وفاته فيها سنة ٩٠٥ هـ.

وهذه الفترة من أزهى فترات حياته العلمية ولا غرو في ذلك لأن مكة المكرمة كانت وما زالت مركزاً من المراكز العلمية في بلاد المسلمين، فقد أقام بها أئمة الإسلام وعلماءه والتجأ إليها كل محب للعلم وأهله.

ومع هذه الإضطرابات السياسية التي شهدها هذا العصر الغني بالأحداث التاريخية، والذي يجد فيه المؤرخ مادة خصبة حافلة، لا تكاد تبرزغ شمس فيه إلا على حدث جديد، كان عصر علم وفكر وجهد أعطيت فيه الحركة التأليفية عناية كبيرة ولم يشهد الجمود المعهود في مثل هذه الأوضاع لأسباب سنذكرها بإذن الله عند حديثنا عن الحياة العلمية.

جميع الحقوق محفوظة

المطلب الثاني: الحياة الاجتماعية والاقتصادية: الأردنية

تميزت الحالة الاجتماعية والاقتصادية السائدة في تلك البلاد على وجه العموم بعدم الاستقرار، وذلك بسبب الحروب مع التتار، والانقلابات العسكرية التي كانت تدبر من حين لآخر بين الأخ وأخيه، وبسبب تلك المجموعات التي شكلت لزعة الأمن وكبرت حتى أصبح لها شأن ودور في تخريب البلاد وإيابة العباد.^(١)

ومن الجدير بالذكر أن نبيين أن البلاد بعد هذه الأزمات استطاعت أن تعيد إزدهارها ورونقها مرة أخرى بعد أن استولى الجلائريون على الحكم بانتهاء عهد تيمورلنك، وكان هؤلاء يتمتعون بحب كبير في أواسط الأهالي، واحترام بالغ بين رؤساء القبائل والعشائر.^(٢)

وللحديث عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية نخص بالذكر شيراز، والمناطق المجاورة لها حيث نجت لحسن حظها من محاصرة تيمورلنك لها فلم تعان إلا شيئاً قليلاً من الأذى، لأن تيمور قد عسكر بجيشه على القرب منها في منطقة يقال لها تخت قرافة فبقيت على ازدهارها وجمالها الذي عرفت به، فهي في بساط من الأرض تحف بها البساتين من جميع الجهات وتنشقها خمسة أنهر أحدها النهر المعروف بركن آباد، وهو عذب الماء شديد البرودة في

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٢٠١، وج١٤، ص١٠٠.

(٢) الأمين، حسن، دائرة المعارف الشيعية، ج٥، ص٣٧٠.

الصيف سخن في الشتاء ينبعث من عين في سفح جبل يسمى القليعة، ومسجدها الأعظم يسمى بالمسجد العتيق، وهو أكبر المساجد مساحة وأحسنها بناء.^(١)

وأما عن أهلها "فهم أهل صلاح ودين وعفاف، فنساؤها يلبس الخفاف ويخرجن ملتحفات متبرقعات فلا يظهر منهن شيء، ولهن الصدقات والإيثار وقد تغنى الشعراء بشعبها، واختارها الملوك عاصمة لهم".^(٢)

وأهم عوامل الإزدهار في تلك المدينة هي: الزراعة، والصناعة، والثروة الحيوانية، وتقديم المساعدات للفقراء، وإلغاء الضرائب، وضرب النقود، وتوحيد المناطق. فهذه صورة موجزة للحياة الاجتماعية في هذا القرن كما صورتها بعض كتب التاريخ والتراجم ومنتقل إلى الحديث عن الحياة العلمية.

المطلب الثالث: الحياة العلمية: جميع الحقوق محفوظة

على حين تدهورت الأوضاع السياسية في العالم الإسلامي إلى دويلات متنازعة، نجد الأوضاع العلمية على الضد من المفارقات العجيبة أن يكون القرن التاسع من أخصب العصور علماً وأدباً وفكراً على كثرة مصائبه ومشكلاته، فالمتعارف عليه من قبل المؤرخين أن يسود في مثل تلك الأجواء السياسية الجمود والخمود، لكنه شهد حركة علمية نشطة فكانت، "أسواقه نافقة وبحوره زاخرة"^(٣) ترجع إلى عدة عوامل يمكن ذكر بعض منها:

١- احترام الأمراء للعلم وتقدير العلماء:

لا شك في أن تشجيع الأمراء كان عاملاً أساسياً في النهوض بالحركة العلمية والفكرية وتنشيطها ودفعها إلى الأمام، فقد كانت الدولة تعتني بدور العلم والمساجد، ببناء المزيد منها أو بتحديث القائم منها، وهذا سر من أسرار نجاح الدول وظهور عزاها.

(١) الأمين، حسن، دائرة المعارف، ج٥، ص٣٧١، مرجع سابق.

(٢) ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد الطنجي، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار، شرحه وكتبه هوامشه طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، بدون تاريخ الطبعة ص٢١٨ وينظر المقدسي البشاري، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة لندن ١٩٧٦، ص٢٩٥، مدينة شيراز، وينظر الإيجي، عضد الدين، الفوائد الغيائية، تحقيق عاشق حسين، دار الكتب المصرية، ودار الكتاب اللبناني، ط١، ١٤١٢هـ، ص٧، والحميري، محمد بن عبد المنعم، كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، طبعة دار القلم، ص٣٥١.

(٣) القنوجي، صديق حسن، أبجد العلوم والوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م، ج١، ص١٨٤.

وقد كان لسلطين بلاد فارس في تلك المدة دور في تشجيع العلم والعلماء، فتقاطر العلماء والأدباء والشعراء من كل حذب وصوب عليهم، وبنوا الكثير من المساجد والمدارس. ومن هؤلاء السلاطين حسن الطويل الذي قضى أكثر سني حكمه في إشاعة العلم والمعرفة^(١) وقد أسهبت كتب التراجم في وصف هذا السلطان ومعاملته للعلماء والعارفين بالله وحبهم له وكيف أنه كان يقوم على تأمينهم بالمساكن والمدارس وغيرها وكيف أنه كان يباحث أهل العلم ويقدمهم على غيرهم من السادة والأشراف وذكروا الكثير من اهتماماته بالعلم وأهله، مما لا يتسع المجال لذكره".^(٢)

٢- إنشاء المساجد والمدارس والمكتبات العامة والخاصة:

وقد اهتم سلاطين المشرق بها اهتماما بالغاً فأكثروا من بنائها ووقفوا عليها الأوقاف المغلة فكثرت طلاب العلم، بكثرة جرائتهم منها وارتحل إليها الناس في طلب العلم، وكانت سبباً رئيساً لتفضيل أهل المشرق على أهل المغرب^(٣). ويذكر أن أهم هذه المساجد المسجد القديم وهو أول مسجد في شيراز بني في عهد المأمون^(٤)، وجامع عتيق الذي شيد في عهد عمرو بن ليث الصفاري في القرن الثالث الهجري، والمسجد الحديث الذي شيد عام ٨٩٥هـ بأمر من أتابك سعد الدين زنكي^(٥)، ومسجد سنقر الذي بناه أتابك سلغري^(٦)، وغيرها من المساجد التي كانت تمثل دوراً للعلم وأهله.

(١) الأمين، حسن، دائرة المعارف الشيعية، ج٢، ص٦٧.

(٢) ينظر طاشكبري زادة، العقد المنظوم من ذكر أفاضل الروم، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١٣٩٥هـ، ج ١، ص ١٦٠، ترجمته للشيخ عمر الايدني وينظر المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، حققه محمد أمين، ١٩٨٦م، المصرية، ج ٤، ص ١٣٢، في ترجمته لتيمورلنك بعد إسلامه.

(٣) الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج ١، ص ٢٧١-٢٧٤، ينظر ترجمته لشاه رخ ابن تيمور لنك.

(٤) القنوجي، أبجد العلوم، ج ١، ص ١٨٤، ١٨٥، ١٨٧.

(٥) شيراز مدينة الأولياء والشعراء، ترجمة مؤسسة فرنكل، ترجمة الدكتور سامي مكرم، آرثر آربري، مكتبة لبنان، ط ١٩٦٧م، ص ٧١.

(٦) المرجع السابق، ص ٩.

(٦) الشنتاوي، أحمد، وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية، ج ١٤، ص ٢١.

٣- إنشاء الخوانق والربط والزوايا: (١)

كان إلى جانب المساجد والمدارس في تأدية رسالتها الخوانق والربط والزوايا، حيث أسهمت هذه المؤسسات جميعاً في إثراء العصر معرفة وحضارة وقد كانت على أهمية في نشر العلم والحضارة خاصة في التربية الروحية.

٤- الترجمة:

وخصوصاً في عهد السلطان حسن الطويل الذي كان محباً للعلم، فقد أمر بترجمة كتب مختلفة عن التركية. (٢)

٥- الإهتمام بحركة التأليف والتصنيف:

وصفت هذه الفترة أنها متأخرة علمياً، ولكن لو أنعمنا النظر في الحياة الثقافية من خلال الكتب التي درست هذا العصر، لتحصل لنا عكس ذلك، ففي ذلك العصر اتجه العلماء إلى التأليف والبحث والجمع والترتيب والتنسيق والتحصين، بعد أن ضاع ما ضاع من كتب التراث، التي فقدت على أيدي الغزاة من مغول وتتار وصلبيين أو ما لاقتها المكتبة العربية على أيدي المتعصبين الحانقين في الأندلس (٣)، ومن أهم هذه المصنفات: **معمية** في التاريخ العام: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان لبدر الدين العيني ت ٨٧٥هـ. وفي التراجم: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ. والضوء اللامع في أعيان القرن التاسع لشمس الدين السخاوي ت ٩٠٢هـ، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ، وطبقات الشافعية لأبي بكر تقي الدين بن قاضي شهبة الأسدي الدمشقي ت ٨٥١هـ. وفي تاريخ المدن والأصوار: إنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ، والسلوك لمعرفة دول الملوك: لتقي الدين المقرئ ت ٨٤٥هـ.

(١) الخوانق أو الخوانك: وهي جمع خانقاه وهي كلمة فارسية معناها بيت وقيل أصلها خانقاه أي الموضع الذي يأكل فيه الملك والخوانق أحدثت في الإسلام في حدود الأربعمئة هجرية وجعلت لتخلي فيها الصوفية للعبادة، المقرئ، الخطة طبعة بولاق، ج ٣، ص ٤٠١، والربط مفرداً رباط والرباط ما ربط به. وهو بناء يشبه القلعة كان يقطنه المدافعون عن الثغور ثم صار يقطنه المتصوفة. ينظر خطط المقرئ، ج ٢، ص ٤٢٧، والزوايا في اللغة: ركن البيت ثم عنت فيما بعد المسجد الصغير يجتمع فيه أصحاب إحدى الطرق الصوفية. ينظر خطط المقرئ ٣٦٨/١ - ٣٦٩.

(٢) الأمين، حسن، دائرة المعارف الشيعية، ج ٢، ص ٦١، مرجع سابق.

(٣) ينظر الخطيب، الدكتور محمد عجاج، لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ، ص ٦٠-٦١.

وفي الفقه وأصوله: فتح القدير: لابن الهمام كمال الدين محمد بن عبد الواحد الحنفي ت ٨٦١ هـ.

وفي التفسير: الدر المنثور في التفسير بالمأثور لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ت ٩١١ هـ.

وفي الحديث ومصطلحاته: فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر ت ٨٥٢ هـ، وعمدة القارئ في شرح صحيح البخاري: لبدر الدين العيني ت ٨٥٥ هـ.

وفي القراءات: النشر في القراءات العشر: لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري الدمشقي القرشي ت ٨٣٣ هـ.

وفي اللغة والبلاغة: القاموس المحيط لمجد الدين الفيروز آبادي ت ٨١٧ هـ.

وفي العقائد والتصوف: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لابن خلدون ت ٨٠٨ هـ.

المطلب الرابع: أهم العوامل التي أثرت في صقل شخصية الإيجي:

يقطننا الحديث عن الإيجي ومنهجه أن تلقى الضوء على أهم الجوانب والمؤثرات التي احتوت في إطارها حياته وأثرت في شخصيته إذ أن الإنسان ابن بيئته وعصره.

قضى الإيجي رحمه الله ثلاثة وسبعين عاما من أعوام القرن التاسع الهجري ٨٣٢-٩٠٥ هـ، ومع أن هذا القرن يمثل حالة من التمزق والتفريق إلى دويلات في المشرق والمغرب إلا أنه كان من أخصب فترات الحصاد للنهضة العلمية الرائعة، فقد شهد هذا القرن أعلاماً من الأئمة في كل علم وفن، وليس هذا بالأمر الغريب فقد كانت منطقة فارس وريثة للحضارات والفلسفات والعلوم القديمة، ومن أخصب المناطق إنجاباً للعلماء والأئمة.

وكانت شيراز وما حولها والتي نشأ فيها الإيجي من أزهى مدن بلاد فارس وخراسان ونيسابور، فهي بيئة علم وحضارة وفكر مما كان حريا أن يؤثر في شخصية الإيجي - رحمه الله - ويزيد من قريحته واشتعال ذكائه، وتوقد ذهنه، والوقوف أمام أهل البدع والفلسفة.^(١)

كما أننا إذا انتقلنا إلى البيت الذي ولد فيه وإلى أول نسيم استنشقه وأول توجيه تلقاه نجد أنه قد لازم والده السيد صفى الدين^(٢) الذي كان إماما في عصره أخذ عنه الفقه والعربية

(١) الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٤.

(٢) ابن العماد، شذرات الذهب، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٨م، ١٤١٩هـ، ج ٤، ص ٢٩٧، مرجع سابق.

والأصلين^(١) وغيرها، وأخذ أيضا عن ابن عمه القطب عيسى^(٢) المعاني والبيان، وعن أخيه الذي عرف بلقبه، السيد أحمد بن عبد الرحمن يقول عنه ابن العماد في شذراته: "انه توفي في جمادى الأولى سنة ٨٩٥هـ عن إحدى وسبعين سنة وأخذ عن الشيوخ ودخل مكة والمدينة وبيت المقدس والشام وتلقى عن بعض علمائها وحدث وأقبلت ملوك عصره عليه ومات بمكة"^(٣). وممن كان حوله ابن أخته السيد عبيد الله الذي رافقه في طلب العلم^(٤) يقول الشوكاني: "هو السيد عبيد الله أبوحامد الحسيني الإيجي الشافعي، ولد سنة ٨٤٢هـ بشيراز وتحول إلى مكة وقرأ على جماعة كالمحب الطبري، وأبي الفتح المراغي، وحفظ القرآن وبعض الحاوي، وفي الصرف النخبة لجده، وفي النحو الكافية وشيئا من الطوالع وغير ذلك، وأخذ عن الصفي جده لأمه، في علوم عدة وعلى النور أبي الفتوح، وأجاز له الكثير من أمصار مختلفة، وتصدر في إيجح للإفتاء والإقراء والتحديث، ترجمه السخاوي وذكر أنه فارقه في سنة أربع وتسعين يعني وثمان مئة وقال: "لعله عاش إلى نهاية القرن التاسع والله أعلم"^(٥).

وهكذا فإن الإيجي كان محاطا ببيئة علمية منذ نعومة أظفاره مما جعل منه شخصية مجبولة على حب العلم وأهله، كما أنه ارتحل من أجله ففي هذه البيئة الصالحة درج، وفي هذا البيت الطاهر نما وترعرع، وسيأتي بيان المزيد في معرض الحديث عن رحلاته بإذن الله تعالى.

(١) أصول الفقه وأصول الدين.

(٢) ينظر ترجمته في مبحث الحديث عن شيوخه.

(٣) المرجع السابق، ج٧، ص٣٥٧.

(٤) السخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص٣٧، مرجع سابق.

(٥) الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع، ج١، ص٤١١، مرجع سابق.

المبحث الثاني

التعريف بالإيجي "حياته الشخصية وثقافته العلمية"

المطلب الأول: اسمه ونسبه:

هو العالم الفاضل محمد بن عبد الرحمن، السيد معين الدين بن السيد صفي الدين الحسيني الإيجي الصفوي الشيرازي الشافعي. (١)

صفي الدين: والده وهو: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسيني الإيجي، ثم المكي الشافعي، ويعرف بالسيد صفي الدين، ولد في ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة بايج من بلاد العجم، مات بمكة في جمادى الأولى سنة أربع وستين وثمانمائة، ودفن بالمعلاة رحمه الله. (٢)

والحسني: نسبة إلى جده الشيخ العالم الصالح حسن بن أبي الحسن كبير الدين الإيجي أحد الرجال المعروفين بالفضل والصلاح، سافر إلى البلاد ودار الربع المسكون ثم قدم مدينة أج وسكن بها.

قال الشيخ عبد الحق بن سيف الدين الدهلوي في أخبار الأخيار: "أسلم على يده خلق كثير. وكان إذا رآه أحد لا يسعه إلا أن يذعن له الإطاعة. وكانت وفاته سنة ست وتسعين وثمانمائة بمدينة أج فدفن بها". (٣)

(١) ينظر ترجمته حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص٦١. والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، والسيوطي، طبقات المفسرين، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١٩٦٢، ج١، ص٣٧٣. والسخاوي، شمس الدين، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٣، ج٢، ص٢٧٧. والسخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، ج٧، ط غير مذكورة، ص٣٧ - ٣٨، والزركلي، خير الدين، الأعلام - دار العلم للملايين - بيروت، ط الخامسة، ١٩٨٠، ج ٦ ص١٩٥. وابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٧، ص٣٥٧، مرجع سابق. وسركيس، يوسف النيان دمشقي، معجم المطبوعات العربية والمعربة، عالم الكتب، مطبعة سركيس بمصر، ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م، ج١، ص٥٠٠ - ٥٠١. ونويهض: عادل معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، قدم له الشيخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية، ط١٤٠٣هـ، ج٢، ص٦.

(٢) السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج٢، ص١٥٠، مرجع سابق.

(٣) الحسيني، عبد الحي بن فخر الدين، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر - يتضمن لتراجم علماء الهند وأعيانها في القرن الثالث عشر - وطبع تحت مراقبة شرف الدين أحمد، مدير دائرة المعارف العثمانية، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر - آباد، الدكن - الهند، ط١٣٨٨هـ، ج٣، ص٦١.

والإيجي: نسبة إلى إيج، وهي: بلدة في أقصى بلاد فارس، كثيرة البساتين والخيرات، قال ياقوت: "كنت بجزيرة كيش وكانت فواكهها الجيدة تجلب منها وأهل فارس يسمونها إيك".^(١)

والشيرازي: نسبة إلى شيراز، وهي: بلد عظيم مشهور وقصبة بلاد فارس في الإقليم الثالث، فسيحة الأرجاء شهيرة الذكر، يقول عنها ابن بطوطة إن لها بساتين مونقة، وأنهاراً متدفقة كثيرة العمارة، متقنة المباني عجبية الترتيب وأهلها حسان الصور نظاف الملابس، وليس في المشرق بلدة تداني مدينة دمشق في حسن أسواقها وبساتينها وأنهارها وسكانها إلا شيراز.^(٢)

الشافعي: نسبة إلى المذهب الشافعي الذي كان منتشراً في بلاد فارس، يقول صاحب طبقات الشافعية: "لم يبرحوا شافعية أو ظاهرية على مذهب داود، والغالب عليهم الشافعية فيها نحو مائة منبر يختص بالشافعية لا يستطيع أحد أن يذكر فيها غير مذهب الشافعي".^(٣)

المطلب الثاني: ولادته ونشأته: جميع الحقوق محفوظة

ولد السيد معين الدين الإيجي في إيج من نواحي شيراز، وكان مولده في جمادى الأولى، يوم الجمعة ثامن عشره، أو ثامن عشره، سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة.^(٤)

نشأ وترعرع تحت كف والده في إيج، ثم انتقل إلى البلاد الأخرى طلباً للعلم، وقد هيات له الأسباب أن ينخرط في سلك الدراسات القرآنية واللغوية، وأهمها الوراثة ووجوده في شيراز المليئة بعلماء العصر، فضلاً عن أب فاضل يحسن التربية ويجيد التوجيه، وأخ وابن عم وغيرهم ممن عرفوا بعلمهم وفضلهم فقد لازمهم وتعلم على يديهم الفقه واللغة والأصلين وغيرها من العلوم، فعاش رحمه الله في بيت علم ودين.

١ (ينظر الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ج ١، ص ٢٨٧، مرجع سابق.

٢ (ينظر الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٨٠، والبغدادي، مرصد الإطلاع، ص ٨٢٥، وينظر: شيراز مدينة الأولياء، ص ٦٢، مراجع سابقة.

٣ (ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧، ط ١، ج ١، ص ٣٢٨.

٤ (السخاوي، الضوء اللامع، ج ٧، ص ٣٨، مرجع سابق.

المطلب الثالث: طلبه العلم ومنزلته فيه.

روى لنا السخاوي أن الإيجي ابتداء طلبه للعلم على يد والده، فأخذ عنه الفقه والعربية والصرف والأصليين وغيرها، ثم تعلم المعاني والبيان على يد ابن عمه القطب عيسى، ثم ارتحل إلى كرمان وقرأ على المولى علي أحد تلامذة السيد الجرجاني حاشية شرح المطالع لشيخه، ثم أخذها أيضاً عن المولى خواجه علي أحد العظماء من تلامذة السيد الجرجاني أيضاً^(١)، وقد وفقه الله لطلب أكثر العلوم، ورزقه فهما لمعاني القرآن، والوقوف على تفسيره مما كان دافعا له في التفكير بكتابة تفسير لكتاب الله، ولكنه تردد كثيراً قبل كتابته فاستخار الله عز وجل ثم صرفت همته وعزيمته وأحكمت نيته فأخرج لنا هذا التفسير ثمرة طيبة الطعم والريح.

يقول الإيجي في مقدمته: "فكم من مرة عزمت وأبت المقادير، ونويت وعرضت المعادير، حتى لازمني رفيق التوفيق، وجاوزني فناء بيت الله العتيق، وكحل عيني برؤية أهل الله، ونلت زوارف الفيض من بذل الله، أنار في أعشاب كبدي تلك الخامدة، وأدار في دار خلدي تلك الجامدة، فاستخرت الله تعالى في الملتمزم والمستجار، حتى ألقى في روعي أن لا ضرر ولا ضرار في ذلك الاتجار، ثم صرفت الهمة والعزيمة، وأحكمت النية والصريمة، ونهضت الجناح وأجبت حي على الفلاح، فما قد تم تفسير لاح النور من خلاله، وفاح المسك من أذنيه"^(٢).

وقد شهد له العلماء الأجلء بالعلم والفضل والدين قال فيه شيخه السيد: " لو اجتمع لأحد ما له لغلب العالم"^(٣) وقد قدمه خواجه علي للتدريس بحضرته وأذن له غيره فتصدى لذلك وللإفتاء في بلده كما شهد له السخاوي وأثنى عليه بكلمتين أغنتا عن كثير من الكلام فقال: "لقبته غير مرة في المجاورة الثانية ثم انتقل إلى جهرم"^(٤) متوجهاً للإقراء ونعم الرجل أصلاً ووصفاً"^(٥).

١ (المرجع السابق، ج٧، ص٣٨.

٢ (الإيجي، جامع البيان، ج١، ص٤.

٣ (ينظر السخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص٣٨.

٤ (جهرم: موضع ببلاد فارس تنسب إليها الثياب والبسط، ينظر البكري، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي أبو عبيد، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣، ج١، ص٤٠٠، وابن منظور، محمد بن مكرم الأفرريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، ج١٢، ص١١٢.

٥ (السخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص٣٨.

المطلب الرابع: إجازاته وشيوخه وتلاميذه:

تلقى الإيجي ثقافته من منابع متعددة فكان يجلس إلى شيوخ التفسير وغيرهم فأخذ من كل فن بطرف ولا يظن ظان أن المفسرين كانوا يقصرون دراستهم على بعض العلوم بل كان لهم حظ وافر في مختلف العلوم اللغوية والنحوية.

وقد نقل لنا السخاوي في ترجمته للمفسر مجموعة من شيوخه الذين أجازوه:

١- ابن عمه القطب عيسى:

هو عيسى بن محمد بن عبيد الله الإيجي درس في غجرات ودلهي من بلاد الهند ثم استوطن مصر، ألف كتباً كثيرة منها شرح الفوائد الغيائية. قال ابن العماد: "كان من أعاجيب الزمان، توفي عام ٩٥٣هـ له كتب منها "مختصر النهاية لابن الأثير" و"تفسير" من سورة عم إلى آخر القرآن ورسالة في الحمدة" و"شرح الحديث الأول من الجامع الصحيح للبخاري"^(١) أخذ عنه الإيجي المعاني والبيان كما بين سابقاً.

٢- أبو الفتح المراغي:

وهو محمد الشرف بن علي ولد في أول سنة خمس وسبعين وسبعمئة بالمدينة ونشأ بها فحفظ القرآن، وتلا به لنافع، وابن كثير وأبي عمرو، والعمدة، والشاطبية، وألفية الحديث، والمنهاج، وحدث باليمن، ودرس بها وبنى لأجله بعض ملوكها مدرسة وجعل له فيها معلوماً وافرأ، كان يحمل إليه بعد انتقاله عنها برهة، وكذا حدث بالمدينة بعد سؤال أخيه أبي الفرج له في ذلك وتوقفه فيه تأديبا مع الجمال الكازروني لتقدمه في السن عليه فقرأ عليه أخوه الصحيحين وقد قال البقاعي: أنه تقدم في العلوم وبرع جداً سيما في الفقه وغلب عليه الإنقطاع عن الناس والتخلي والعزلة ولزوم بيته مع حسن سمته وكثرة تواضعه وهضم نفسه واقتصاده وحسن تأنيه ولم يزل على أوصافه حتى مات بمكة سنة ٨٥٩ هـ ودفن بالمعلاة"^(٢).

٣- التقي بن فهد:

هو الحافظ أبو الفضل تقي الدين بن فهد المكي: محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن فهد تقي الدين، أبو الفضل بن نجم الدين المكي الشافعي، ولد سنة ٧٨٧هـ بأصفون من صعيد مصر، وكان والده سافر إليها لاستخلاص جهات موقوفة على أمه خديجة ابنة العلامة

(١) ينظر ابن العماد، شذرات الذهب، ج٨، ص٩٧، والزركلي، الأعلام، ج٥، ص١٠٨.

(٢) السخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص١٦٦، مرجع سابق.

نجم الدين عبد الرحمن بن يوسف الصفوني الفقيه الشافعي، فتزوج فولد له صاحب الترجمة هناك ثم انتقل به أبوه في سنة خمس وتسعين إلى بلدة مكة فحفظ بها القرآن والعمدة وألفية النحو والحديث، وعرض على جماعة وسمع الأبناسي، والجمال بن ظهيرة، والزين المراغي وأبو اليمين الطبري، والشريف عبد الرحمن الفاسي، ولقي باليمن المجد اللغوي صاحب القاموس، وأجاز له خلق كثير منهم العراقي والهيثمي، وسمع من ابن حجر لما لقيه بمكة، وتميز في هذا الشأن وعرف العالي والنازل، قال السخاوي: وأكثر من المسموع والشيوخ وجمع له ولده معجماً وفهرسة واستقدت منهما كثيراً وله مؤلفات عديدة منها نهاية التقريب، وتكميل التهذيب بالتهذيب، جمع فيه بين تهذيب الكمال ومختصره للذهبي وابن حجر، ومنها لحظ الألاحظ بذييل طبقات الحفاظ، قال السخاوي: "ولم ينفك عن المطالعة والكتابة واهتمامه بكثرة الطواف والصوم والإستمرار على الشرب من ماء زمزم ومات سنة ٨٧٠هـ" (١)

٥- محمد بن علي الصالحي المكي: الحقوق محفوظة

هو محمد بن علي بن محمد بن عثمان الصالحي الأصيل المكي، ولد في ذي القعدة سنة ٧٦٩هـ بمكة وسمع بها من أحمد بن سالم المؤذن، وابن الصديق، وغيرهم، ودخل القاهرة والشام غير مرة فسمع من التنوخي والبلقيني والعراقي والهيثمي وغيرهم وسمع من أبي هريرة بن الذهبي، والشهاب أحمد بن أبي بكر ابن العز، وآخرين بالشام، وأجاز له النشاوري والأميوطي والكمال بن حبيب وأخوه البدر والبهاء السبكي وخلق وحدث، سمع منه النجم بن فهد، والبرهان بن ظهيرة وآخرون، ومات بمكة في جمادى الآخرة سنة ٨٤٦هـ" (٢)

٦- الشمس محمد بن محمد بن عمر بن الأعسر:

هو محمد بن محمد بن عمر بن محمد الشمس القرشي الهاشمي الجعفري الغزي الشافعي، ويعرف بابن الأعسر ولد سنة ٧٦٣هـ حفظ المنهاج، وعرضه على البدر محمود العجلوني، نزيل بيت المقدس، تفقه عليه وأجازه بل أذن له بالإفتاء بشرط التثبيت والتقوى وكذا أذن له الجلال البلقيني في سنة ٨٠٩هـ وسمع الصحيح من أحمد بن محمد الجاكي الكردي، وأجاز له في سنة اثنتين وثمانمائة البهاء بن عقيل، وكان فقيهاً فاضلاً علامة، قال التقى بن

(١) ينظر الشوكاني، البدر الطالع، ج٢، ص٢٥٩، ومقدمة كتاب ابن فهد: ذيل تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ص ٢-٥.

(٢) السخاوي، الضوء اللامع، ج٩، ص١٨، رقم الترجمة ٥٣.

قاضي شهبة: انه كان يرصد ما يتحصل من القضاء مات بغزة قاضيا في رجب سنة ٨٤٦هـ رحمه الله وإيانا".^(١)

٧- المحب المطري:

وهو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن خلف الأنصاري الخزرجي المطري الأصل، المدني الشافعي، وهو سبط الزين أبي بكر المراغي، ولد في رمضان سنة ٧٨٠هـ، بطيبة ونشأ بها فحفظ القرآن والعمدة والأربعين النووية والمنهاج وغيرها، تفقه بأبيه وجده لأمه، والشمس البوصيري وأخذ النحو عن أبيه ويحيى التلمساني، وحج أزيد من ثلاثين مرة، ودخل القاهرة فسمع بها على جمال الحنبلي وأجاز له التتوخي وابن الذهبي وابن العلامي وآخرون، وخرج له النجم بن فهد مشيخة وحدث بالكثير أخذ عنه التقي بن فهد وابنه النجم والكمال إمام الكمالية وكتب عنه البقاعي ووصفه بالثقة الأمين، وكان إماماً عالماً مدرساً ناظماً، ناب في القضاء والخطابة والإمامة والرياسة عن والده ثم تلقى الرياسة عنه وكذا ناب عن جده لأمه، مات بطيبة ودفن بالبقيع بعد الصلاة عليه بالروضة ولم يخلف بعده بها مثله - رحمه الله تعالى -".^(٢)

٨- زينب بنت الياضي: مركز ايداع الرسائل الجامعية

هي أم المساكين زينب بنت عبد الله بن أسعد الياضي اليماني ثم المكي، فاضلة عارفة بالحديث، ولدت بالمدينة سنة ٧٦٨هـ، وتوفيت بمكة سنة ٨٤٦هـ، خرج لها نجم الدين بن فهد "مشيخة" كانت تحدث بها وبغيرها.^(٣)

٩- والده السيد صفي الدين:

الذي تعلم على يديه الفقه والعربية والصرف.^(٤)

كما يذكر السخاوي أيضا من شيوخه بعضا من تلامذة السيد الجرجاني^(٥) من أهمهم المولى خواجا علي حيث قال فيه: "أحد العظماء من تلامذة السيد الجرجاني أخذ عنه في رحلته

١ (السخاوي، الضوء اللامع، ج٩، ص١٧٦، رقم الترجمة ٤٥٠.

٢ (المرجع السابق، ج٩، ص١٠١-١٠٢.

٣ (الزركلي، الأعلام، ج٣ ص١٠٨، مرجع سابق.

٤ (وقد سبقت ترجمته في مبحث "التعريف بالإيجي".

٥ (الجرجاني ٧٤٠-٨١٦هـ، هو: "السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، ولد بدار المؤمنين بجرجان ولما بلغ سن الرشد وحصل فيه التميز توجه إلى هراة حيث درس على قطب الدين محمد بن محمد الرازي ثم نصحه أن يذهب إلى مصر ليستمع إلى دروس تلميذه مبارك شاه ولكن الجرجاني فضل البقاء في هراة وفي عام ٧٧٠

إلى خراسان^(١). وذكر أيضاً المولى محمد الجاجرمي الذي أخذ عنه شرح المواقف^(٢).

* تلامذته:

بقي الإيجي - رحمه الله - ينتقل بين المدن حتى استقر في مكة فمكث فيها أكثر من عشر سنين متوالية أولها سنة سبع وستين على طريقة جميلة إقراءً وتصنيفاً وتقللاً من الخوض فيما لا يفيد وانتفع به جماعة ذكرت كتب التراجم منهم علي بن سعيد بن محمد بن عبد الوهاب بن علي بن يوسف النور بن الجمال بن فتح الدين الأنصاري الزرندي المدني الحنفي قاضي المدينة ذكر صاحب التحفة اللطيفة أنه أخذ عن الإيجي الصنف^(٣).

ولم أستطع الوقوف على المزيد وإن كان حرياً بمثل الإيجي أن يكثر تلاميذه ويتعدد طالبوه، والحق أن كتب التراجم والتواريخ لم ترو الغليل في هذا.

جميع الحقوق محفوظة

مكتبة الجامعة الأردنية

المطلب الخامس: مؤلفاته:

برع الإيجي - رحمه الله - ونبغ في علوم عدة، كال تفسير واللغة والحديث، والمطلع على

تفسيره يلحظ ذلك جلياً، وقد أشارت كتب التراجم إلى بعض مصنفات الإيجي منها:

* **في التفسير:** عمل تفسيراً في مجلد ضخيم وهو التفسير المسمى "جامع البيان في تفسير القرآن" وهو موضوع هذه الدراسة. وقد ذكرته بعض المصادر باسم "الجامع الكبير" وهو موجود في صنعاء قسم المخطوطات برقم ٣٧^(٤)، كما له رسالة في تفسير سورة الكوثر^(٥).

هـ ذهب إلى كرمان فحضر دروس محمد الفناري وذهب معه إلى مصر حيث تتلمذ على مبارك شاه وعلى أكمل الدين محمد محمود ثم توجه إلى شيراز حيث عينه شاه شجاع أستاذاً في دار الشفاء فكان يشغل هناك بإفادة العلوم، من مصنفاته المواقف، ومفتاح العلوم، ورسالتاه المشهورتان في المنطق، ينظر الجرجاني، أبو الحسن علي، التعريفات، عالم الكتب للنشر، ط١، ١٩٧٨م، تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة، ص٩.

١ (خراسان: بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق وآخر حدودها مما يلي الهند، ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص٣٩٦.

٢ (ينظر السخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص٣٨، مرجع سابق.

٣ (ولد بعد الأربعين وثمانمائة بالمدينة حفظ أربعين النووي وألفية العراقي والكنز وأصول الكلام وألفية ابن مالك. للمزيد ينظر السخاوي، شمس الدين، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢، ج٢، ص٢٧٨.

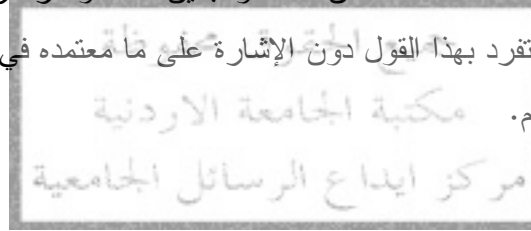
٤ (زمامة، عبد القادر، فاضل عبد النبي، عبد الوهاب سعود، محمد الكتاني، معجم تفاسير القرآن الكريم، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو، ط ١٩٤١هـ، ص٦٣٧.

٥ (السخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص٣٧.

- * وفي الحديث: شرح الأربعين النووية في مجلد لطيف.^(١)
- * وفي العقيدة: رسالة في تفضيل البشر على الملك.
- * وفي الفقه: رسالة في الحيض.^(٢)
- * ورسالة في قوله صلى الله عليه وسلم "اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك" إلى غيرها.^(٣)
- * ورسالة في "بيان المعاد الجسماني والروح".^(٤)

المطلب السادس: وفاته.

تنقل الإيجي رحمه الله بين مدن فارس وغيرها من البلاد حتى وافته المنية في مكة المكرمة رحمه الله سنة ٨٩٤هـ^(٥) عن ثلاثة وسبعين عاماً وذكر الزركلي خير الدين أنه من وفيات ٩٠٥هـ^(٦) وقد تفرد بهذا القول دون الإشارة على ما معتمده في ذلك والقول الأول أشهر وعليه أكثر كتب التراجم.



(١) يقول صاحب كشف الظنون: "الأربعين النووي: للإمام المحدث محي الدين يحيى بن شرف النووي الشافعي، المتوفى سنة ٦٧٦هـ، وهي أربعون حديثاً مشتملة على جميع أصول ومقاصد الدين وكل حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين وقد اعتنى العلماء بشرحه وحفظه فكثرت شروحه منها شرح الإمام الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد المعروف بابن رجب البغدادي، وشرحه أيضاً الشيخ ولي الدين محمد المصري الشبثي سماء الجواهر البهية ومعين الدين بن صفي الدين عبد الرحمن، المتوفى سنة ٩٠٥هـ أوله الحمد لله والمنة على أن أتم علينا النعمة الخ. ينظر كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ج١، ص٥٩-٦٠.

(٢) السخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص٣٧.

(٣) المرجع السابق، ج٧، ص٣٨.

(٤) الزركلي، الأعلام، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠م، ج٦، ص١٩٥.

(٥) السخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص١٨٣.

(٦) الزركلي، الأعلام، ج٦، ص١٩٥، مرجع سابق.

المبحث الثالث

تعريف عام بتفسير "جامع البيان"

تمهيد:

اعتز الإيجي بتفسيره هذا وفخر به - وحق له ذلك - فإن الناظر فيه لا يتردد في الثناء عليه وعلى مفسره - رحمه الله - .

فهو تفسير قيم، حوى لطائف التفسير بأسلوب سهل، ومنهجية واضحة، قال عنه صاحبه: "فها قد تم تفسير لاح النور من خلاله، وفاح المسك من أذباله، يقول المتأمل اللبيب دروا واشيها^(١) من مطالعة شمس أنوار التبيان قد طلعت، وأيم الله إن مما لا عين رأت ولا أذن سمعت كتاب موفى فيه الحكمة والمعرفة".^(٢)

كما أنه لقي اهتماماً واضحاً من العلماء، فتداولوه بينهم بالنظر والدراسة والتعليق والتحشية كما سيأتي بيانه بعد قليل.

وقد وصف هذا التفسير بأنه من أحسن كتب التفسير، لأنه اعتمد فيه على التفاسير المرفوعة المروية عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وعلى ما جاء عن السلف الصالح من الصحابة والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين، راعى فيه المفسر الإيجاز، وبين فيه وجوه الإعجاز، ومع كل هذه الميزات، فهو تفسير جامع لفوائد ومحاسن، لم تجتمع في تفسير قبله، وهو مغن مع اختصاره وصغر حجمه عن كثير من الأسفار الكبار.^(٣)

لذا فتفسير جامع البيان يعد من أحسن شروح كتاب الله المجيد، لما فيه من الفوائد والفرائد العظيمة، ولتميزه بسهولة عبارته وبتحقيق ما يحتاج إلى تحقيق، فللمبتدئ فيه حظ كثير وللعالم حظوظ.^(٤)

١ (الشبية: كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره، وقوله تعالى: "لا شبية فيها أي ليس فيها لون يخالف سائر لونها ويقال وشى الثوب يشيه وشياً وشية ووشاه توشية شدد للكثرة فهو موسى والوشى من الثياب معروف وقيل الحائك واش وشياً أي نسجاً وتالياً" فعلى هذا واشيها أي مؤلفها ينظر الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طبعة جديدة، ١٤١٥هـ، ص ٣٠١.

٢ (الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٤.

٣ (المرجع السابق، ج ١، ص أ.

٤ (المرجع السابق، ج ١، ص ٥.

المطلب الأول: تحقيق نسبة جامع البيان للإيجي.

ليس هناك مجال للشك في نسبة جامع البيان إلى السيد معين الدين الإيجي، فقد صرح بذلك في مقدمته بقوله: "وسميته جامع البيان في تفسير القرآن وأنا أحوج الخلق إلى رحمة ربه معين الدين بن صفي أدركهما الله بلطفه الجلي والخفي".^(١) وقد أكدت نسبة هذا الكتاب إلى الإيجي كثير من المصادر والمراجع التي عنيت بمثل هذا العلم من هذه المصادر:

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، في طبقات المفسرين^(٢)، **والسخاوي**، شمس الدين، في كتابه الضوء اللامع لأهل القرن التاسع^(٣)، **والزركلي**، خير الدين، في أعلامه^(٤). **وابن العماد**، في كتابه شذرات الذهب في أخبار من ذهب^(٥). وفي معجم المطبوعات العربية والمعربة^(٦)، **وعادل نويهض**، في معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر^(٧).

وممن أكده أيضاً صاحب كتاب كشف الظنون إلا أنه قال: "جوامع التبيان في التفسير للسيد الفاضل معين الدين محمد بن عبد الرحمن الإيجي الصفي أوله الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى، طبع في لاهور عام ١٨٧٩".^(٨) **رسائل الجامعة** ولعل تصحيحاً وقع في اسم التفسير عنده فقال جوامع التبيان، والأصح جامع البيان لأنه الاسم الذي نص عليه الإيجي نفسه في مقدمته مما لا يدع مجالاً للشك فيه وطبع على غلاف التفسير في الطبعة الباكستانية والمصرية بتحقيق أحمد شاكر ومحمد الفقي.

١ (المرجع السابق، ج ١، ص ٥.

٢ (السيوطي، طبقات المفسرين، ج ١، ص ٣٧٣، مرجع سابق.

٣ (الضوء اللامع، مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، ج ٧، ص ٣٧ - ٣٨، مرجع سابق.

٤ (الأعلام، دار العلم للملايين - بيروت، ط الخامسة ١٩٨٠، ج ٦، ص ١٩٥.

٥ (ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٣٥٧، مرجع سابق.

٦ (معجم المطبوعات، عالم الكتب، مطبعة سركيس بمصر، ١٣٤٦هـ، ج ١، ص ٥٠٠.

٧ (نويهض، عادل، معجم المفسرين، مؤسسة نويهض الثقافية، ط ١، ١٤٠٣هـ، ج ٢، ص ٦.

٨ (ابن حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ١، ص ٣٧٣، مرجع سابق.

المطلب الثاني: التعريف بطبعات الكتاب وبالنسخة المستخدمة في الدراسة:

طبع تفسير جامع البيان لأول مرة في آخر شعبان سنة ١٢٩٦هـ، بسعي محمد بن عبدالله الغزنوي، وعبد الأحد بن قاضي محمد حسن خانفوري، وبهامش هذه النسخة الإكليل في استنباط التنزيل، ومفحمت الأقران في مبهمات القرآن للعلامة السيوطي، وفوائد مستنبطة من سورة النور، وتفسير آية "وكلم الله موسى تكليماً" وقاعدة القرآن لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد ابن تيمية الحراني، وكتاب الرد على الجهمية للشيخ الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، والفوز الكبير لأصول التفسير للإمام شاه ولي الله دهلوي رحمهم الله أجمعين.

وطبع سنة ١٣٤٤هـ، في المطبع النامي في دهلي، على يد الشيخ أبي المساكين عبد الله السنهلي ابن أمان الله، وبهامشه الكتب والرسائل المذكورة، إلا أن الرسالة الوجيزة بعنوان عقيدة صابونية للشيخ الإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني أدرجت بدلاً من كتابي الإكليل والمفحمت للسيوطي.

كما طبع في المطبع الملجبائي - دار نشر الكتب الإسلامية - الباكستان، وذلك في صفر ١٣٩٦هـ - فبراير ١٩٧٦م، لاهور وقد وضع حواشي هذه النسخة الشيخ محمد عبد الله الغزنوي وبتصحيح منير أحمد كما قام بوضع فهرس لها.

وطبع أخيراً في مطبعة حجازي - بالقاهرة ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م، تعليق محمد حامد الفقي ومراجعة الشيخ المحدث أحمد محمد شاكر وهذه الطبعة مطبوعة على نسخة الأستاذ محمد شاكر وكيل الأزهر سابقاً وعلى نسخة دار الكتب والنسخة الهندية.

وقد اعتمدت في دراستي هذه على طبعة المطبع الملجبائي من تفسير سورة الفاتحة إلى نهاية تفسير سورة الروم وعلى طبعة مطبعة حجازي من بداية تفسير سورة لقمان إلى آخر تفسير القرآن الكريم، وهاتان الطبعتان تتميزان بخلوهما من الأخطاء المطبعية إلا ما ندر، إضافة لتميز طبعة مطبعة حجازي بوضوح الخط وحسن الطباعة إلا أنني لم أعثر إلا على الجزء الثالث منها المبدوء بسورة لقمان إلى آخر القرآن الكريم.^(١)

(١) ينظر الصفحات الآتية، مصورة من تفسير جامع البيان.

المطلب الثالث: تاريخ تأليفه ودافعه:

بين الإيجي في مقدمته أن كتابته لهذا التفسير، جاءت تلبية لرغبة في نفسه بعد أن نازعها وتردد في ذلك.

وفي بعض كتب التراجم أن والده هو الذي طلب منه كتابة التفسير يقول صاحب كشف الظنون: "ان والده شرع فكتب من سورة الأنعام نبذاً، فترك، وقال له أنت مأمور بذلك فاستخار الله سبحانه وتعالى في الملتزم فشرع بكتابته"^(١) مستعينا بالله عز وجل، حتى ألف هذا التفسير وكان بين ابتدائه وانتهائه سنتان وثلاثة أشهر حين بلغ سنه أربعين.^(٢)

المطلب الرابع: الدراسات السابقة:

على الرغم من اهتمام بعض الباحثين والمحققين بهذا التفسير إلا أني لم أعر على دراسات حول الإيجي أو تفسيره جامع البيان إلا تعليقا أو تحشية ومن هؤلاء العلماء الذين كان لهم جهوداً في خدمة هذا التفسير:

أولاً: الشيخ محمد بن عبد الله الغزنوي المتوفى سنة ١٢٩٦هـ، حيث قام بالتعليق على هذا التفسير على شكل حاشية عليه، وقد جاءت هذه الحواشي على قدر عظيم شهد لها العلماء بذلك.^(٣)

ثانياً: منير أحمد: قام بتحقيقه وتصحيحه.

ثالثاً: محمد حامد الفقى من علماء الأزهر الشريف فقد وقف أيضاً على تصحيح نسخة

مطبعة حجازي - بالقاهرة ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م.

رابعاً: أحمد محمد شاكر: حيث قام بمراجعة النسخة السابقة نفسها وخرج أحاديثها وقام

بالتعليق على بعض المسائل الواردة فيه.

(١) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص٦١٠.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج١، ص٥.

(٣) ينظر الإيجي، جامع البيان، ج١، ص٤.

المطلب الخامس: دوافع الإيجي لجعل تفسيره مختصراً:

يقع تفسير جامع البيان في ثلاثة أجزاء كبيرة في الطبعة المصرية وبجزأين كبيرين في الطبعة الباكستانية المكتوبة بخط اليد وتجدر الإشارة إلى أن مؤلفه رام فيه الاختصار مبينا سبب ذلك في مقدمته والذي أخصه بما يلي:

١. حاجة المفسر إلى تفسير يغني عن المطولات، يقول الإيجي: "ولا تستصغر قدر نجمه فإنك تراه من بعيد، وإنما هو بين الوشح وحيد، فهو مع صغر حجمه يحوي ما تحويه أكبر التفاسير مع معان صحيحة نفيسة لم توجد في كثير منها".^(١)
٢. علو همم أبناء عصره، فإنهم أرادوا حوز العلوم بأسرها وقصدوا جمع الفنون حبرها وسبرها، يقول الإيجي: "لاسيما أنهم علموا أن العمر قصير والخطب خطير فلو أنهم استطلعوا على طلل المطولات لوقعوا في فتات الشتات ويعرض الكل في معرض الفوات".^(٢)
٣. وآخر هذه الأسباب وأهمها تركه لنقل كثير من المعاني لمخالفتها للظاهر أو فيها شبهة يتعسر حملها على الآية أو أنها غير منقولة عن السلف يقول: "قد ترى أحيانا معاني لم تلق فيه وما ذلك إلا لأن مطابقتها مع ظاهر الآية لا يخلو من شبهة على أنها غير منقولة عن السلف، وقليلاً ترى بعض المعاني قد ترك فيه لما أن تطبيقه مع الآية متعسر أو متعذر".^(٣)

المطلب السادس: الأسلوب العام في تفسير جامع البيان:

سأتعرض بإذن الله تعالى في هذا المطلب إلى السمات العامة لأسلوبه في التفسير، وذلك من خلال تفسيره ومقدمته التي عرض فيها قضايا مهمة وفوائد جلية، بشكل موجز محاولاً تقديم الدليل على ذلك من كلام المفسر نفسه بإذن الله تعالى، فمن السمات العامة لأسلوبه ما يلي:

* سار الإيجي في تفسيره كله على طريقة واحدة مطردة، تناول فيها تفسير القرآن الكريم وفق ترتيب المصحف الشريف.

* ابتعد الإيجي في تفسيره عن ذكر التفاصيل في كثير من المسائل ملتزماً بالاختصار الذي شرطه على نفسه في المقدمة^(٤) فنجدته إذا عرضت له مسألة فيها تطويل قال:

(١) الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٣.

(٢) المرجع السابق، ج ١، ص ٣.

(٣) المرجع السابق، ج ١، ص ٣.

(٤) ينظر الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٣.

"ولولا التزامنا الاختصار لذكرنا نبذا منها" كما فعل عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَلَا نَزْرُ وَإِزْرَةٌ وَرَزَّ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَدِّينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١) حيث ذكر آراء المذاهب في مسألة من نشأ في جبل شاهق ولم يسمع رسولا، هل هو معذور أم لا؟ ثم رجح مذهب أهل السنة والجماعة، وقال: "وهو مختار البيهقي ومحقق العلماء والنقاد وعلى هذا أحاديث منها ما هو صحيح ومنها ما هو حسن ومنها ما هو ضعيف ولولا التزام الإختصار لذكرنا نبذا منها مع تحقيق المسألة رداً وإثباتاً". (٢)

* إحالة القاريء خشية التطويل في كثير من الأحيان كما فعل عند قوله تعالى ﴿الْمَلِكُ﴾ (٣) في أول سورة آل عمران حيث قال "قد مر تفسيره فلا نعيده" (٤) وعند قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنذِرَكَ حَدِيثٌ ضَلَّ فِيهِمُ الْمُكْرَمَاتُ﴾ (٥) حيث قال "والحكاية قد مرت في سورة هود والحجر". (٦)

* يبدأ التفسير بذكر اسم السورة، وعدد آياتها، وبيان المكي والمدني مع التفصيل في ذكر المستثنى من المكي أو العكس فيقول على سبيل المثال: "سورة الزمر مكية إلا قوله تعالى" ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٧) وهي خمس وسبعون آية. (٨)

* أشار في مقدمته إلى بعض الاصطلاحات التي تهم القارئ فقال: "وكل معنى ذكرنا فيه بصيغة "أو" فما هو إلا للسلف وما ذكرنا "بقيل" فأكثره من مخترعات المتأخرين وما ظفرنا فيه من نقل". (٨)

١ (سورة الإسراء، الآية: ١٥ .

٢ (الإيجي، جامع البيان، ج١، ص٣٩٥ .

٣ (سورة آل عمران، الآية: ١ .

٤ (الإيجي، جامع البيان، ج١، ص٧٦ .

٥ (سورة الذاريات، الآية: ٢٤ .

٦ (الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٣٠٥، ينظر للمزيد ج١، ص١١، ١٤٥، وج٣، ص١٢٣ .

٧ (المرجع السابق، ج٣، ص١٣٠ .

٨ (المرجع السابق، ج١، ص٤ .

* ومن أسلوب الإيجي في التفسير أن يحلل الآيات إلى أجزاء وأبعاض الآية حسب المعنى الذي تفيدته تلك المجموعة من الكلمات، فيتطرق من خلال هذه المجموعة إلى المعنى التفصيلي ذاكراً اشتقاقها وما فيها من القراءات متعرضاً في كثير من الأحيان إلى إعرابها وما يترتب على هذا الإعراب أو هذه القراءة من معنى.

* وفي بعض الأحيان يتعرض إلى المعنى الإجمالي إذا شعر أن الآية فيها إشكال على القارئ قائلًا "وحاصل الآية" وكل ذلك بإيجاز واختصار. من ذلك ما فعله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ فَاتَكُمْ سَاءُ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَابَبْتُمْ فَتَأْتُوا الذَّرِبَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا ﴾^(١) فالإيجي بعد تفصيل وبيان الآية المتقدمة يقول: "وحاصله: ان لم يؤدوا مهر المرتدة المنفلتة منكم فلا تؤدوا أنتم أيضاً إلى الكفار المهاجرة المنفلتة منهم، حين جاءت نوبتكم، بل أعطوا أزواج المرتدات منكم مثل مهرها مما في نمتكم من مهر المهاجرات، أو أعطوا زوجها مثل مهرها من مال الغنيمة"^(٢) جعل لنفسه حاشية على تفسيره، ذكر فيها ما سمح له الخاطر من لطائف وإشارات، يرى الإيجي أنه من المناسب تناولها والإشارة إليها، وقد اصطلح المحقق أحمد محمد شاكر على كلمة "منه" ليفرق بين كلام الإيجي وكلامه الذي أشار إليه بحرف "م" أي أنه من كلام المحقق، يقول الإيجي: "وقلما تجد آية إلا وقد رمزت في تفسيرها إلى دفع إشكال أو إلى تحقيق مقال بعبارة وجيزة أو مأت إليه بإشارة لطيفة دقيقة وفي كثير من المواضع أوضحته في الحاشية وقد تعرضت فيها بوجوه آخر من المعاني والإعراب"^(٣) وقد تعاملت في دراستي مع هذه الحاشية واستشهدت بها في كثير من مواضيع الدراسة وجعلت لها علامة بين شرطيتين.

وهكذا سار الإيجي على هذا الأسلوب من أول تفسيره إلى آخره ملتزماً بما رسمه لنفسه من خلال مقدمته.

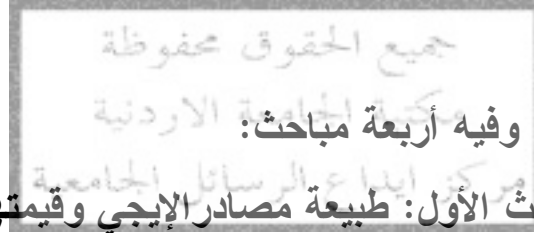
(١) سورة الممتحنة، الآية: ١١.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٣٨١.

(٣) المرجع السابق، ج١، ص٥.

الفصل الثاني

مصادر الإيجي في جامع البيان



المبحث الأول: طبيعة مصادر الإيجي وقيمتها العلمية.

المبحث الثاني: طرق نقل الإيجي عن مصادره

المبحث الثالث: نقد الإيجي لمصادره .

المبحث الرابع: التعريف بمصادر الإيجي

تمهيد:

إن دراسة مصادر كتب المتقدمين من أفضل الدراسات المعاصرة، وذلك للفوائد الكثيرة المهمة التي تعود على العلم بالخير، وينتفع بها العلماء وطلبة العلم، ومن هذه الفوائد:

أولاً: الاطلاع على عدد كبير من المصادر التي كانت معتمدة ومتوفرة عند المتقدمين، وبخاصة المفقود منها في وقتنا الحاضر، والاستفادة مما فيها.

ثانياً: الاستفادة من أقوال العلماء في وصف مصادرهم، من حيث، فائدتها، والتحذير من عيوبها.

ثالثاً: أصالة المصادر التي يعتمدها المؤلف، تدل على مدى القوة، والأهمية في كتابه.

رابعاً: المساعدة في تحقيق النصوص وتثبيتها.

خامساً: التحقق من نسبة بعض المصادر إلى مؤلفيها، من خلال نقولات العلماء عنهم.

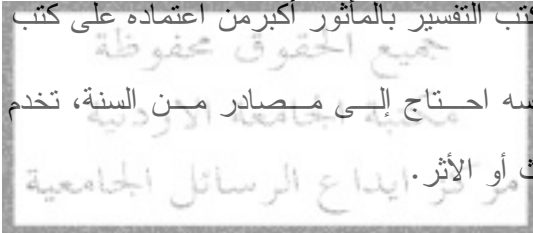
ونظراً للأهمية العلمية لهذا الموضوع قمت بقراءة جامع البيان من أوله إلى آخره، فتابين لدي مدى سعة اطلاع الإمام الإيجي على هذه المصادر، وقدرته على الاستفادة منها أو نقدها.

وقد كانت منهجية البحث التي اتبعتها في هذه الدراسة قائمة على أسلوب الاستقراء العام لجميع مصادر الإيجي في تفسيره ثم رتبها وصنفتها في ستة موضوعات رئيسية هي: مصادر من كتب التفسير، ومصادره من كتب الحديث، ومصادره من كتب التاريخ والسير والتراجم، ومصادره من كتب اللغة والنحو، ومصادره من كتب علوم القرآن ذكراً اسم الكتاب كاملاً، حيث لم يكن الإيجي يذكره كاملاً، وإنما كان يسميه بشكل مختصر، أو أنه كان يذكر اسم مؤلفه فقط، مع تعريف موجز به إن لزم الأمر هذا مع الإشارة إلى بعض المواطن التي استفاد الإيجي فيها من ذلك المصدر في تفسيره جامع البيان وكنت قد قدمت قبل ذلك دراسة تناولت هذه المصادر من حيث طبيعتها وقيمتها العلمية، وطرق نقل الإيجي عنها.

المبحث الأول

طبيعة مصادر الإيجي وقيمتها العلمية

فيما يتعلق بطبيعة مصادر الإيجي فإنه استخدم المصادر الأصلية، التي من شأنها أن تخدم موضوع التفسير الذي هو غرضه وقصده، من هنا نجد أن كتب التفسير تحتل الصدارة في قائمة مصادره ولأنه كان مهتما بالتفسير بالمأثور بالدرجة الأولى فقد كان اعتماده على كتب التفسير بالمأثور أكبر من اعتماده على كتب التفسير بالرأي.

وللسبب نفسه احتاج إلى مصادر من السنة، تخدم هدفه في عدم اللجوء إلى الرأي مع وجود الحديث أو الأثر. 

ولما كان لا بد للمفسر من إلمام بعلوم اللغة العربية، فقد استخدم الإيجي طائفة من كتب العربية، واستشهد بكلام علمائها في تفسيره، إضافة إلى ذلك فإنه لا بد للمفسر من إلمام بالسيرة النبوية، والتاريخ، لتفسير الأحداث التاريخية في القرآن الكريم، فرجع الإيجي إلى طائفة من كتب التاريخ والسيرة مما يخدم غرضه هذا.

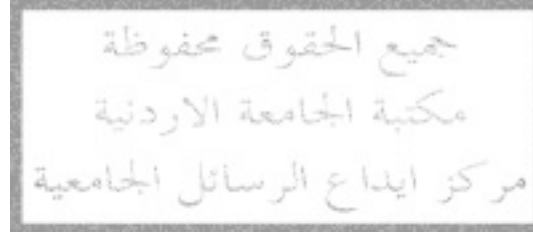
ومع ملاحظة سلوك الإيجي لمنهج الاختصار والايجاز، نجد أنه كان مقلا من الاعتماد على مصادره، كما كان مقلا في عدد المصادر ذاتها.

وأما ما يخص قيمة مصادره العلمية، فحسبنا من ذلك أن الإمام الإيجي قد اعتمد في تفسيره على كتب فحول العلماء من المتقدمين والمتأخرين، المقدمين في هذا الشأن. حيث نجده اعتمد في كل فن على الكتب التي تحتل الصدارة في بابها.

فنجده في التفسير مثلاً اعتمد على جامع البيان للطبري، وتفسير القرآن العظيم
لإبن كثير، والكشاف للزمخشري.

وفي الحديث اعتمد على أمهات كتب السنة من الجوامع والسنن، كالصحيحين
والسنن الأربعة وغيرها.

وفي اللغة اعتمد على كتب كبار علماء العربية والنحو، كسيبويه والفراء
وغيرهم وهكذا...



المبحث الثاني

طرق نقل الإيجي عن مصادره

أولاً: اهتم الإيجي - رحمه الله - بعزو الكلام إلى قائله وله في عزو الكلام إلى مصدره أساليب عدة منها:

الأسلوب الأول: أن يذكر اسم المؤلف، واسم كتابه، فيقول مثلاً: "ونقل الواحدي في البسيط"^(١)، أو "قال الواحدي في الوجيز"^(٢)، أو "رواه أبو داود في كتاب المراسيل"^(٣)... وهكذا.

الأسلوب الثاني: أن يذكر اسم المؤلف، ولا يذكر اسم كتابه، فيقول مثلاً "قال ابن جرير"^(٤)، أو "قال أبو عبد الله الرازي"^(٥) ولا يخفى أن مثل هذا الأسلوب في العزو، يعد ناقصاً؛ لأن عدم ذكر اسم الكتاب لا يوصل الباحث إلى المصدر المنقول عنه بسهولة ويسر، خاصة إذا كان للمؤلف عدة كتب. اللهم إلا أن يكون المؤلف اشتهر بأحد كتبه دون غيرها، بحيث إذا أطلق اسمه أريد ذلك الكتاب كالبخاري مع صحيحه، فحينئذ يسوغ مثل هذا الأسلوب في العزو.

الأسلوب الثالث: أن يذكر اسم الكتاب، ولا يذكر اسم مؤلفه، ويستخدمه حيث يكون اسم المؤلف معروفاً، أو إذا أكثر النقل عنه، كقوله: "وفي البحر"^(٦) أو "وفي الكشف"^(٧)، أو "صاحب المعالم"^(٨).

ثانياً: والأغلب في نقل الإيجي - رحمه الله - عن مصادره، هو نقل الكلام باختصار وتصرف فيه، دون أن يخل بالمعنى، مع حذف للسند إن وجد، ومن ذلك ما نقله عن ابن جرير عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ

١ (ينظر الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٤٦٣.

٢ (المرجع السابق، ج ١، ص ٢٥١.

٣ (المرجع السابق، ج ٣، ص ٣٨٦.

٤ (الرجوع السابق، ج ١، ص ١٤.

٥ (المرجع السابق، ج ٣، ص ٨٤.

٦ (المرجع السابق، ج ٣، ص ٢٣٤، ١٨٦، ٤٨١، ٢٤٤، ٢٠٦.

٧ (المرجع السابق، ج ٣، ص ٣٢٦، ١٤٠، ٥١١.

٨ (المرجع السابق، ج ٣، ص ٢٤٢.

خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ

الْحِسَابِ ﴿١١٤﴾ (١) يقول الإيجي: "نزلت لما توفي النجاشي وخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصلى كما يصلي على الجنائز، فقال المنافقون تصلي على علج مات بأرض الحبشة. أو في ابن سلام وأصحابه. أو في جمع من الحبشة والروم أسلموا. أو في مؤمني أهل الكتاب كلهم رواه ابن جرير عن قتادة" (٢).

وعند الرجوع إلى تفسير الطبري وجدته يقول: "اختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية فقال بعضهم عنى بها أصحابه النجاشي وفيه أنزلت، ذكر من قال ذلك: حدثنا عصام بن زياد بن رواد بن الجراح قال ثنا أبي قال ثنا أبو بكر الهذلي عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أخرجوا فصلوا على أخ لكم فصلى بنا فكبر أربع تكبيرات فقال هذا النجاشي أصحابه فقال المنافقون انظروا هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط فأنزل الله ﴿١١٤﴾ وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله ﴿١١٤﴾ وقال آخرون بل عنى بذلك عبد الله بن سلام ومن معه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال نزلت يعني هذه الآية في عبد الله بن سلام ومن معه" (٣).

فلو حظ من خلال النصين السابقين كيف أن الإيجي حاول اختصار ما عند الطبري دون إخلال بالمعنى مع التسليم أن ما اختصره غاية في الأهمية.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٩.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج١، ص١١٤.

(٣) الطبري، جامع البيان، ج٤، ص٢١٨.

المبحث الثالث

نقد الإيجي لمصادره

لم يكن الإيجي - رحمه الله - مجرد ناقل فحسب، وإنما كانت له وجهة نظر خاصة في المنقول، فكثيراً ما كان يستدرك ويتعقب من ينقل عنهم، وأمثلة ذلك كثيرة، حتى لو أراد أحد أن يجمع انتقاداته واستدراكاته على بعض المصادر يستطيع أن يخرج كثيراً منها، ولعل أكثر نقده كان موجهاً إلى الإمام الزمخشري حيث نبه إلى ذلك في مقدمته ونجده ماثلاً في ثنايا تفسيره حيث قال: "وكثيراً تجد الزمخشري ومن يحذو حذوه أعرضوا عن المعنى المنقول عن الرسول صلى الله عليه وسلم في الكتب الصحاح لأجل عدم فهم مناسبة لفظية أو معنوية وإن نقلوه، ما ذكروه إلا آخر الأمر بصيغة التمريض"^(١).

ويقول الإيجي في موطن آخر: "إن قرع سمعك شيء يخالف الكشاف ومن تبعه فلا تعجل إلى الرد إنكاراً وارجع بصر البصيرة لعلك تجد من جانب طور العلم ناراً مع أني لا أدعي عدم الخطأ"^(٢) حيث استدرك عليه في أكثر من خمسين مرة فيما وقفت عليه، قائلاً أحياناً "قلا تغترّ بظاهر عبارة الزمخشري" وكذلك غيره من المفسرين كالواحدي والقاضي وابن جرير وغيرهم، فقد تعقبهم في كثير من الأحيان.

وقد اخترت بعضاً من هذه الانتقادات التي برزت فيها شخصية الإيجي والتي تدل على ما وراءها.

المثال الأول: انتقد الإمام الزمخشري عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ

مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾^(٣) يقول الإيجي: "من العسل، ففي الصحيحين وغيرهما عن عائشة: "أنه عليه الصلاة والسلام كان يمكث عند زينب ويشرب عسلاً، فتواطأت أنا وحفصة أننا نقول له نجد منك ريح مغاير فدخل على إحداهما فقالت له ذلك، فقال: لا بل شربت عسلاً عند زينب ولن أعود له وقد حلفت لا تخبري بذلك أحداً، وكان يبتغي بذلك مرضاة أزواجه فنزلت "ومعنى

(١) الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٤.

(٢) المرجع السابق، ج ١، ص ٥، والخطأ: الكلام الفاسد الكثير المضطرب ينظر ابن منظور، لسان العرب ج ١١، ص ٢٠٩.

(٣) سورة التحريم، الآية: ١.

﴿تَمْتَنَعُ﴾ وليس من التحريم الشرعي، بل حرمة على نفسه بالحلف وللزمخشري المعتزلي كلام به يلام من يتحاشى عنه العامي فضلاً عن العلماء اللهم إنا نعوذ بك من إساءة الأدب".^(١)

وبالرجوع إلى الكشاف نجد أنه نقل كلاماً قال فيه: "روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكنمي علي وقد حرمت مارية على نفسي وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدي أمر أمتي فأخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فأرضاهما بذلك واستكنمتها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعاً وعشرين ليلة في بيت مارية وروى أن عمر قال لها لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك فنزل جبريل عليه السلام وقال راجعها فإنها صوامة قوامة وإنها لمن نساتك في الجنة... إلى أن قال في قوله تعالى: ﴿لَمْ تُحْرَمُوا﴾ من ملك اليمين أو العسل، وكان هذا زلة منه لأنه ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله لأن الله عز وجل إنما أحل ما أحل لحكمة ومصصلحة علمها في إحلاله فإذا حرم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة".^(٢)

فالإيجي رحمه الله يستدرك على الزمخشري فيما قاله ولم يقبله بحال، وكيف يرضى كون النبي صلى الله عليه وسلم يحل حلالاً ويحرم حراماً لزلل وقع فيه، فإن تحريم ما أحل الله من وجهين الأول: اعتقاد ثبوت حكم التحريم فيه فهذا بمثابة اعتقاد حكم التحليل فيما حرمة الله عز وجل وكلاهما محذور - وهذا ما عبر عنه الإيجي بالتحريم الشرعي - والثاني: الامتناع مما أحله الله عز وجل وحمل التحريم بمجرد صحیح لقوله تعالى: ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾^(٣) أي منعنا لا غير "قال ابن المنير في حاشيته على الكشاف: "ما أطلقه الزمخشري في حق النبي صلى الله عليه وسلم تقول واقتراء والنبي صلى الله عليه وسلم منه براء..... ومعاذ الله وحاش لله وأن آحاد المؤمنين حاشى عن أن يعتقد تحريم ما أحل الله له فكيف لا يربأ بمنصب النبي عليه السلام عما يرتفع عنه...."^(٤)

(١) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٣٩٨.

(٢) الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، طبعة دار المعرفة، ج٤، ص١١٣ باختصار يسير.

(٣) سورة القصص، الآية: ١٢.

(٤) ينظر للتفصيل المرجع السابق، ج٤، ص١١٣.

المثال الثاني: وانتقده أيضاً قائلاً "ولا تغتر بعبارة الكشاف" من ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٧﴾^(١) يقول الإيجي^(٢): ﴿مِنْ﴾ متعلق بمتعلق ﴿لَهُ﴾ لا بـ ﴿مَرَدَّ﴾، أي لا يرده الله تعالى بعدما حكم به، - لأنه لو كان متعلقاً بـ ﴿مَرَدَّ﴾ معمولاً له لما صح بناؤه على الفتح لكونه مشابهاً للمضاف فلا تغتر بظاهر عبارة الكشاف"^(٣).

فمن هذا المثال يتبين بوضوح موقف الإيجي من الزمخشري ودعوته لعدم الإغترار بعباراته ولعل في هذا المثال إظهاراً لشخصية الإيجي الناقدة، التي لا تكتفي بمجرد النقل، والتقليد، وإنما تقوم بدور الناقد المحقق.

المثال الثالث: رده على البغوي والواحدي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَإِجْلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤﴾﴾ حيث قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ الظاهر أنه من تنمة كلام الجلود عن ابن عباس رضي الله عنهما "إن الكافر يجحد شركه ويحلف كما يحلفون لكم، فتشهد من أنفسهم جوارحهم، ويختم على أفواههم، ثم يفتح لهم الأفواه، فتخاصم الجوارح، فنقول: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء، وهو الذي خلقكم أول مرة، وإليه ترجعون. فتقر الألسنة بعد الجلود" وهذا رد على البغوي والواحدي حيث قالوا: تم الكلام. وقال الله ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ...﴾ وليس هذا من جواب الجلود. وهذا الذي نقلت عن ابن عباس يدل على ما قلنا. وقد صحح هذا النقل عن ابن عباس: الشيخ المحدث عماد الدين بن كثير"^(٥).

(١) سورة الشورى، الآية: ٤٧.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٢٠٩.

(٣) وعبارة الكشاف "من" صلة "لا مرد" أي لا يرده الله بعدما حكم به أو "من" صلة "يأتي..."، ينظر الزمخشري الكشاف، ج٣، ص٤٠٨، قال القرطبي: "أي: لا يتهيأ لأحد دفعه ويجوز عند غير سببويه لا مرد له وذلك عند سببويه بعيد إلا أن يكون في الكلام عطف والمراد يوم القيامة" ينظر: القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ، دار الشعب، القاهرة، ج١٤، ص٤٢.

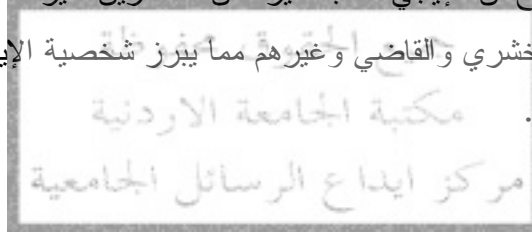
(٤) سورة فصلت، الآية: ٢١.

(٥) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص١٨٥.

وعند الرجوع إلى ما قاله البغوي، نجده قد صرح بما نقل عنه الإيجي حيث قال عند تفسيره لهذه الآية ﴿ وَقَالُوا ﴾ يعني الكفار الذين يحشرون إلى النار ﴿ لَجُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾ قَالَوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴿ تم الكلام ههنا وقال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ وليس هذا من جواب الجلود". (١)

فالإيجي يصرح برد ما قاله البغوي أو الواحدي متفقاً بذلك مع غيره من المفسرين قال ابن كثير: "أي لاموا أعضاءهم وجلودهم حين شهدوا عليهم فعند ذلك أجابتهم الأعضاء ﴿ قَالَوا ﴾ أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿ أي فهو لا يخالف ولا يمانع وإليه ترجعون". (٢)

من هذا يتضح أن الإيجي تعقب غيره من المفسرين غير مسلم لهم بما ذهبوا إليه كما فعل في رده على الزمخشري والفاضلي وغيرهم مما يبرز شخصية الإيجي الناقدة لمصادره التي اعتمد عليها في تفسيره.



(١) ينظر البغوي، الحسين بن مسعود الفراء البغوي أبو محمد، ط٢، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م، ج٤، ص١١٢.

(٢) ابن كثير، ج٤، ص٩٦.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

المبحث الرابع التعريف بمصادر الإيجي

المطلب الأول: مصادره من كتب التفسير.

بما أن جامع البيان كتاب تفسير، فمن الطبيعي أن تكون أكثر مصادره من كتب التفسير، التي استفاد منها في تحقيق ما يريد من تفسير كتاب الله العزيز، وهذه المصادر صرح الإيجي بعدد منها في مقدمته وبعضها الآخر تجده في ثنايا تفسيره. فقال: "ثم إن مأخذ كتابي هذا المعالم، والوسيط، وتفسير ابن كثير، والنسفي، والكشاف مع شروحه الطيبي والكشاف وشرح المحقق التفازاني وتفسير القاضي ناصر الدين البيضاوي".^(١)

وفي هذا المبحث سأقوم بإذن الله - عز وجل - بدراسة بعض منها، مبينا مدى تأثيره بها وهي على النحو التالي:

١- جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠ هـ.

اهتم الإيجي بهذا التفسير اهتماماً واضحاً، وأفاد كثيراً من أقواله، حيث لا تكاد تمر بصفحة إلا وفيها نقل عن ابن جرير صراحة أو رجوع إليه خاصة في أسباب النزول وروايات التفسير بالمأثور المنقولة عن السلف وفي بعض المسائل اللغوية والفقهية وغيرها".^(٢)

وليس هذا بالأمر الغريب إذا ما علمنا أن تفسير الطبري يعد أقوم كتب التفسير وأشهرها، ومرجع المفسرين الأول، قال النووي: "أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسيره".^(٣) وقال ابن تيمية: "وأما التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها تفسير ابن جرير الطبري، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين كمقاتل بن بكير والكلبي".^(٤)

١ (الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٤.

٢ (المرجع السابق، ج ١، ص ٩٢، ١٠٢.

٣ (الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج ١، ص ٢٠٨.

٤ (المرجع السابق، ج ١، ص ٢٠٨.

ومن الأمثلة التي صرح الإيجي فيها بالنقل عن ابن جرير ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ (١) يقول الإيجي: "القط: النصيب والقسط من الشيء وعن ابن جرير: سألوا تعجيل ما يستحبونه من الخير والشر في الدنيا وإنما قالوا ذلك تكديباً واستبعاداً". (٢)

وعند قوله تعالى ﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ (٣) يقول الإيجي: "قال ابن جرير: الآية عامة لبني إسرائيل وغيرهم". (٤)

وعلى الجانب الآخر نجد أن الإيجي لم يسلم لجميع أقوال ابن جرير، بل كما أنه وقف موقف الناقل المتأثر تناول أقواله بالنقد وتعقبها، مما يبرز شخصية الإيجي الناقدة، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الإيجي عند قوله تعالى: ﴿ رُدُّوهَا عَلَىٰ فَطْفِقٍ مَّسْحًا بِالسُّوفِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ (٥) يقول الإيجي بعد ذكر الخلاف في تفسير الآية: "وعن بعضهم مسحها بيده لكشف الغبار حبا لها وهو قول ضعيف بعيد عن مقتضى المقام. اختاره ابن جرير وقال: انه لم يكن ليعذب حيواناً ويهلك مالا من ماله بلا ذنب منها ولا شك في بعد هذا القول". (٦) ففي هذا المثال – وإن كان في المسألة خلاف بين أهل التفسير – إلا أن الإيجي لم يتردد في رد ما اختاره شيخ المفسرين (٧) بل وصفه بالضعف والبعد عن مقتضى المقام، مما يبين لنا أن الإيجي وقف وقفة المتفحص لأراء المفسرين واختار ما هو أقرب وأوفق مع مقتضى الظاهر.

١ (سورة ص، الآية: ١٦.

٢ (الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص١١٥.

٣ (سورة البقرة، آية: ٤٥.

٤ (الإيجي، جامع البيان، ج١، ص١٤.

٥ (سورة ص، الآية: ٣٣.

٦ (الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص١٢٠.

٧ (قال ابن جرير: قال ابن عباس: "قوله فطفق مسحاً بالسوق والأعناق يقول جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها حبا لها، وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية لأن نبي الله صلى الله عليه وسلم لم يكن إن شاء الله ليعذب حيواناً بالعرقبة ويهلك مالا من ماله بغير سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر إليها" ينظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت ١٤٠٥هـ، ج٢٣، ص١٥٦.

٢- البحر المحيط في التفسير للشيخ أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي ت ٧٤٥هـ

وهو كتاب عظيم القدر^(١) اعتمده الإيجي، وجعله من أعمدة تفسيره في مجالات عدة سيأتي بيانها في ثنايا البحث كان من أهمها ما يتعلق بمسائل اللغة والنحو، ولا عجب في ذلك إذا ما علمنا أن أبا حيان عرف بشيخ النحاة كما "اتفقت كلمة أهل عصره على تقديمه وإمامته"^(٢).

ونكتفي بذكر المثال التالي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٣) يقول الإيجي: "في البحر: لا يصح أن يكون ﴿ظَنُّكُمْ بِرَبِّكُمْ﴾ خبراً^(٤)، لأن قوله ﴿وَذَلِكُمْ﴾ إشارة إلى ظنهم السابق فيصير التقدير: وظنكم بأن ربكم لا يعلم ظنكم بربكم. فاستفيد من الخبر ما استفيد من المبتدأ وهو لا يجوز وصار نظير ما منعه النحاة من قولك "سيد الجارية مالكها"^(٥).

والأهم من هذا استعانة الإيجي بهذا المصدر في رده على الزمخشري كما سيأتي بيانه بإذن الله تعالى.

٣- تفسير القرآن العظيم^(٦)، للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمرو ابن كثير الدمشقي ت ٧٧٤هـ.

وهو من التفاسير التي اعتنى فيها مؤلفه بالرواية عن مفسري السلف^(٧)، وقد اعتمد عليه الإيجي اعتماداً عظيماً وجعله أحد أعمدة تفسيره في تصحيح الرواية وتضعيفها، وقد صرح بذلك في مقدمته حيث قال: "فأعتمد على نقل الشيخ الناقد في علم الرواية عماد الدين ابن كثير فإنه في تفسيره قد تفحص عن تصحيح الرواية، وتجسس عن عجزها وبجرها"^(٨).

١ (السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١٣٩٦، ج ١، ص ٢٧٩، وكشف الظنون، ج ١، ص ٢٢٦.

٢ (السيوطي، طبقات المفسرين، ج ١، ص ٢٧٩.

٣ (سورة فصلت، الآية: ٢٣.

٤ (قال الزمخشري: ذلكم: رفع بالإبتداء و"ظنكم" و"أرداكم" خبر أن ويجوز أن يكون ظنكم بدلاً من "ذلكم" وأرداكم خبر "ينظر الزمخشري، الكشاف، ج ٣، ص ٣٨٩، وأبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٨، ص ١١.

٥ (الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ١٨٦، وينظر ج ٣، ص ١٦٩، و ص ٧٦.

٦ (المرجع السابق، ج ٣، ص ٨٤، ١١٠.

٧ (الذهبي، التفسير والمفسرون، ج ١، ص ٢٤٢.

٨ (الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٥.

ويتضح هذا الأمر من خلال تفسير الآيات التالية:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ

عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْحَمِيدُ ﴾^(١)

يقول الإيجي بعد تفسيره لهذه الآية: وعن بعض: "أسر إليها شيئين: تحريم الأمة وتبشيرها بأن الخلافة بعده في أبي بكر وعمر، فأخبرها ببعض ما أفشت وهو تحريم الأمة وأعرض عن ذكر الخلافة كراهة للانتشار روى الطبراني هذا الحديث عن ابن عباس، قال ابن كثير في تفسيره: في إسناد هذا الحديث ضعف".^(٢)

وما رده الإيجي هنا معتمداً على ابن كثير، صرح به أهل التحقيق قال الهيثمي: "رواه الطبراني وفيه إسماعيل بن عمرو البجلي وهو ضعيف والضحاك بن مزاحم لم يسمع من ابن عباس".^(٣)

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُ

عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٤)

يقول الإيجي بعد تفسيره للآية: "فإن الشيخ عماد الدين بن كثير قد نقل في تفسيره عن مجاهد: أن الأعراب الذين قالوا آمنا هم بنو أسد كما نقلنا، وأن قوله ﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ﴾ أنزلت فيهم".^(٥)

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا

كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾^(٦) يقول الإيجي: "كانوا في الابتداء مأمورين بالصبر على أذى المشركين ثم نزلت آية القتال. وعن بعضهم: أنها نزلت في عمر رضي الله عنه حين هم أن يبطش بمن شتمه بمكة وأمر بالعفو فعلى هذا لم تكن الآية منسوخة. على الأول فسره ابن كثير ونقله عن ابن

(١) سورة التحريم، الآية: ٣.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٣٩٩.

(٣) ينظر: الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت، ١٤٠٧هـ، ج٥، ص١٧٨، وينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٣٩١.

(٤) سورة الحجرات، آية: ١٧.

(٥) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٢٩٢، وينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٢٣٠.

(٦) سورة الجاثية، آية: ١٤.

عباس وقتادة. وصاحب المعالم نقل الوجه الثاني عنهما. والواحدى - مع أنه شرط في أول تفسيره: ألا يدع تفسير ابن عباس-: فسرّه بالوجه الأول. وهذا يؤيده ما نقل الشيخ عماد الدين بن كثير رحمه الله.(١)

وهنا نلاحظ جليا اعتماد الإيجي رحمه الله على ابن كثير في نقل الروايات عن السلف وترجيح الوجه الذي يراه ابن كثير على غيره من الوجوه لثقة الإيجي بمنزلة ابن كثير في تصحيح الروايات وتضعيفها.

٤- الكشاف وشروحه:

وهو الكشاف عن حقائق التنزيل للإمام العلامة أبى القاسم جارى الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ت ٥٣٨هـ.

وقد صرح الإيجي باعتماده على هذا التفسير مع شروحه فقال: "ثم إن مأخذ كتابي هذا ... الكشاف مع شروحه الطيبي والكشف وشرح المحقق التفتازاني"(٢) وهم على النحو التالي:

أ. شرح الطيبي المسمى فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للعلامة شرف الدين الحسن بن محمد الطيبي

وهو من أجلّ حواشي الكشاف.(٣)

ومن الأمثلة على ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾(٤) وغيرها من المواطن.(٥)

(١) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٢٤٣، وينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص١٥٠.

(٢) المرجع السابق، ج١، ص٥.

(٣) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص١٤٧٨.

(٤) سورة الواقعة، الآية: ٨٣.

(٥) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٣٥١.

ب. حاشية التفتازاني: للعلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني:

وهي ملخصة من حاشية الطيبي مع زيادة تعقيد في العبارة".^(١)

ومن الأمثلة على ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسْمِهِمْ

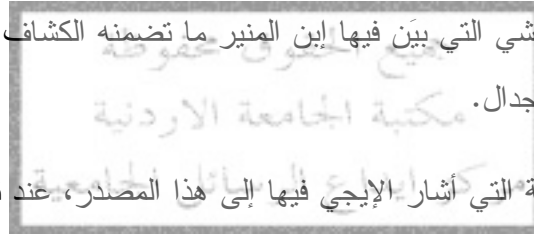
وَلَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾^(٢) يقول الإيجي: "قال التفتازاني: "إن استعمال المضارع مع ﴿وَلَوْ﴾

ربما يشعر بأن الغرض منه مجرد الشرطية والتعليق بالمشيئة، بمنزلة كلمة ﴿أَنْ﴾ دون بيان

سبب انتقال الجزاء على ما هو أصل ﴿وَلَوْ﴾.^(٣)

ج. الانتصاف: للإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الإسكندري المالكي.

وهي من الحواشي التي بين فيها ابن المنير ما تضمنه الكشاف من الاعتزال وناقشه في



أعريب وأحسن فيها الجدل.

ومن الأمثلة التي أشار الإيجي فيها إلى هذا المصدر، عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا

جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾^(٤) يقول صاحب الانتصاف: شبه

تصميمهم على الكفر بذئ الأغلال واستكبارهم بالإقماح فإن المقمح لا يطأطئ رأسه. وقوله:

"﴿فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ تنمة للزوم الإقماح وعدم النظر في العواقب المستقبلية بالسد من

قدامهم".^(٥)

وهكذا يتبين مدى اعتماد الإيجي على الكشاف وشروحه نقلا ونقداً، مصرحاً في النقل

عنه تارة أو نقده تارة أخرى.

(١) المرجع السابق، ج٢، ص١٤٨١.

(٢) سورة محمد صلى الله عليه وسلم، الآية: ٣٠.

(٣) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٢٧٠.

(٤) سورة يس، الآية: ٨.

(٥) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٧٧، وينظر ابن المنير، ناصر الدين أحمد الإسكندري المالكي، الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال وهو بذيل الكشاف، ج٣، ص٢٨٠.

٥- معالم التنزيل لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء البغوي الشافعي المحدث الملقب بمحي السنة ت ٥١٠هـ.

وكتابه متوسط وصفه الخازن في مقدمة تفسيره بأنه "من أجل المصنفات في علم التفسير جامع للصحيح من الأقاويل عار عن الشبه والتصحيف والتبديل".^(١)

وقد عده الإيجي أيضاً من أعمدة تفسيره وهو من المصادر التي صرح بها في مقدمته واعتمد عليها في ثانياً تفسيره، لكنه كان ينقل عنه بحذر ويقارن بينه وبين ابن كثير، فإن وجد مخالفة بين التفسيرين بحث وتقصى في كتب أهل الحديث والاختصاص معتمداً على ما رجحوا حيث قال في مقدمته: "ولو وجدت مخالفة بين تفسيره - أي تفسير ابن كثير - وتفسير محيي السنة الإمام البغوي الذي هو من سراة المحدثين ومهرة المحققين تتبعت كتب القوم الذين لهم يد في التصحيح، ثم بعد الاطلاع كتبت ما رجحوا لكن أعتمد قليلاً على كلام ابن كثير فإنه متأخر معتن في شأن التصحيح، ومحيي السنة في تفسيره ما تعرض لهذا بل قد يذكر فيه من المعاني والحكايات ما اتفقت كلمة المتأخرين على ضعفه بل وضعه".^(٢)

ومن الأمثلة التي أشار إليها الإيجي وصرح بنقله عن محي السنة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٣)، يقول الإيجي: "ونقل محي السنة^(٤) عن ابن عباس ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾، الآخرة فاعملوا لها ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ الدنيا فلا تغتروا بها".^(٥)

١ (الذهبي، التفسير والمفسرون، ج ١، ص ٢٣٦.

٢ (الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٥.

٣ (سورة يس، الآية: ٤٥.

٤ (ينظر البغوي، الحسين بن مسعود الفراء أبو محمد، معالم التنزيل، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ، تحقيق: مروان سوار وآخرون، ج ٤، ص ١٤.

٥ (الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٨٤.

٦- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ت ٤٥٨ هـ.

أخذ التفسير عن الثعلبي، وله عدة تفاسير، هي البسيط، والوسيط، والوجيز^(١) وكان اعتماد الإيجي عليه قليلا بل تجده في أكثر الأحيان يتعقبه ولا عجب في ذلك إذا ما علمنا أن الواحدي كشيخه الثعلبي قليل البضاعة في الحديث بل إن في تفسيره أحاديث وقصصا موضوعة باطلة^(٢).

ومن أمثله في جامع البيان عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾^(٣) يقول الإيجي: "أي بسطها خلق الأرض قبل السماء لكن دحوها بعدها نقل ذلك عن ابن عباس.... إلا ما نقل الواحدي في البسيط عن مقاتل: أن خلق السماء مقدم على إيجاد الأرض فضلا

عن دحوها وعلى أي وجه لا يخلو عن اشكال، فلا تغفل.^(٤)

ومن ذلك أيضا عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾^(٥) قال الإيجي: "يصدون أي يضجون فرحا بأنه أسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن قرأ بضم الصاد فمعناه: من أجل هذا المثل يعرضون عن الحق وعن الكسائي: هما لغتان "كيعرش، ويعرش قال الواحدي: إذا قومك المؤمنون يضجون من هذا غما وشكا"^(٦).

١ (الكتاني، الرسالة المستطرفة، ص ٥٩، بتصرف.

٢ (المرجع السابق، ص ٥٩، بتصرف.

٣ (سورة النازعات، الآية: ٢٠.

٤ (الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٤٦٣.

٥ (سورة الزخرف، آية: ٥٧.

٦ (الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٢٢٥.

٧- أنوار التنزيل وأسرار التأويل لقاضي القضاة ناصر الدين أبي الخير محمد بن علي البيضاوي الشافعي ت ٦٩١ هـ.

وهو كتاب جمع بين التفسير والتأويل على مقتضى قواعد اللغة العربية، اختصره من الكشف وترك ما فيه من اعتراضات ويعد من أمهات كتب التفسير التي لا يستغنى عنها^(١) وهو من المصادر التي صرح الإيجي في مقدمته باعتماده عليها ومن الأمثلة على ذلك ما نقله الإيجي عن البيضاوي عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾^(٢) قال الإيجي: "ولله در من قال - لو لم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق عليه أنه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة - قائله القاضي البيضاوي^(٣)."

ويلحظ هنا دقة الإيجي في النقل عن البيضاوي حيث قال عند تفسير هذه الآية: "ولو لم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق عليه أنه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين ولعل إيرادها عقب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتبنيه عليه يعظكم بالأمر والنهي وليميز بين الخير والشر".^(٤)

٨- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للحافظ جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الشافعي ت ٩١١ هـ.

وهو من التفاسير التي اقتصر على التفسير بالمأثور فلم يخلط بالروايات التي نقلها شيئاً من عمل الرأي^(٥).

١ (الذهبي، التفسير والمفسرون، ج١، ص٣٠٤).

٢ (سورة النحل، الآية: ٩٠).

٣ (الإيجي، جامع البيان، ج٢، ص٣٨٦).

٤ (البيضاوي، ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦ هـ، ج٢، ص٤٧١).

٥ (الذهبي، التفسير والمفسرون، ج١، ص٢٥٤).

وقد اعتمد عليه الإيجي في نقل بعض الروايات وخصوصاً ما روي عن ابن عباس من تفسيره
 لأيات الكتاب العزيز كما فعل عند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصُرُونَ﴾ (١) قال
 الإيجي: "يقول الله تعالى: وأنتم لا تبصرون الملائكة. نقله السيوطي في الدر المنثور من رواية ابن
 مردويه عن ابن عباس في حديث طويل". (٢)

٩- شفاء الصدور "تفسير النقاش": لأبي بكر محمد بن الحسن بن زياد الموصلي
 المعروف بالنقاش ت ٣٥١هـ.

وهو ليس بثقة، ضعفه جماعة من العلماء يقول عنه الذهبي: "ليس بثقة على جلالته
 ونبله". (٣) وقال ابن خلكان: "وفي حديثه مناكير بأسانيد مشهورة". (٤)

وبسبب هذا نلاحظ أن الإيجي لم ينقل عنه إلا في مواضع محددة. (٥)

١٠- تفسير الكواشي لموفق الدين، أحمد بن يوسف الموصلي الشيباني الشافعي المتوفى
 سنة ٦٠٨هـ. مركز أيداع الرسائل الجامعية

وهما تفسيران، كبير سماه بالتبصرة، وصغير سماه بالتخليص (٦) وهو من التفاسير التي
 لم يصرح الإيجي باسم الكتاب وإنما صرح بمصنفه. (٧)

(١) سورة الواقعة، آية: ٨٥.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٣٥٠.

(٣) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ٣، ص ٩٠٨.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٣٢٥.

(٥) الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ١٧.

(٦) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ١، ص ٤٥٧.

(٧) الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٢٥٢.

١١- أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعافري الأندلسي الإشبيلي المعروف

بابن العربي ت ٥٤٣هـ.

وكتابه عمدة المالكية في أحكام القرآن وكان منصفاً في تناوله للأحكام ويتعصب لمالك أحياناً^(١) وقد أشار إليه الإيجي عند تفسيره لقوله الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ﴾^(٢) يقول الإيجي: "قال أبو بكر ابن العربي "الصاخة" هي التي تورث الصمم وانها لمسمعة وهذا من بديع الفصاحة ولعمر الله وإن صيحة القيامة لمسمعة تصم عن الدنيا، وتسمع أمور الآخرة.^(٣)

١٢- مفاتيح الغيب لأبي عبد الله محمد بن عمر التميمي الرازي، الملقب بفخر الدين

والمعروف بابن الخطيب الشافعي ت ٦٠٦ هـ.

وقد حظي بشهرة واسعة بين العلماء، وذلك لأنه امتاز عن غيره من كتب التفسير بالأبحاث الفياضة الواسعة في نواح شتى من العلم، ولهذا يصفه ابن خلكان فيقول: "إنه جمع فيه كل غريب وغريبة"^(٤) وقد صرح الإيجي بنقله عن الرازي كما فعل عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَأَيُّهُمُ هُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ﴾^(٥) قال الإيجي: "قال أبو عبد الله الرازي: وإنما خص الذرية بالذكر لأن الموجودين كأنهم كانوا مستعاراً لا فائدة في وجودهم يعني لم يكن الحمل حملاً لهم وإنما كان حملاً لمن في أصلابهم من المؤمنين".^(٦)

١ (ينظر للتوسع عن هذا الكتاب ما ذكره شيخنا د. مصطفى المشني في كتابه "ابن العربي وتفسيره أحكام القرآن وما كتبه الذهبي في التفسير والمفسرون، ج٢، ص٤٤٨، وما بعدها.

٢ (سورة عبس، الآية: ٣٣.

٣ (الإيجي، جامع البيان: ج٣، ص٤٦٦.

٤ (ينظر الذهبي، التفسير والمفسرون، ج١، ص٢٩٣.

٥ (سورة يس، الآية: ٤١.

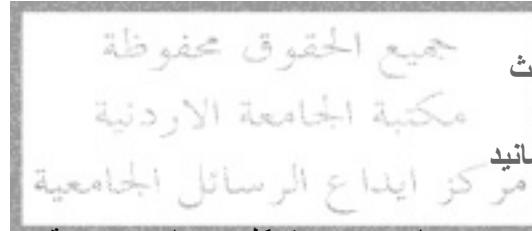
٦ (الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٨٤.

١٣- الكشف والبيان في تفسير القرآن لأبي إسحق أحمد بن إبراهيم الثعلبي

النيسابوري ت ٤٢٧ هـ.

وكتابه من التفسير بالمأثور مع اختصار للأسانيد إكتفاء بذكرها في أول الكتاب والثعلبي قليل البضاعة في الحديث يقول الكتاني: "ولم يكن له - الواحدي - ولا لشيخه الثعلبي كبير بضاعة في الحديث بل في تفسيريهما وخصوصاً الثعلبي أحاديث موضوعة وقصص باطلة".^(١) وقد كان الإيجي مقلاً في الأخذ عنه لا سيما أنه شرط في المقدمة إعماده على ابن كثير في تصحيح الرواية أو ردها.^(٢)

المطلب الثاني



مصادره من كتب الحديث

أولاً: كتب المسانيد

وهي كتب موضوعها جمع حديث كل صحابي مجتمعة، صحيحاً كان أو ضعيفاً، في مكان واحد، وقد ترتب على طبقات الصحابة أو على بلدانهم أو غير ذلك.^(٣) وقد اعتمد الإيجي على هذا الصنف من كتب الحديث في تفسير كتاب الله العزيز، وهذه المسانيد هي:

١. مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ت ٢٤١ هـ.

وهو من أجل كتب السنة جمع فيه أربعين ألف حديث، تكرر منها (٢٨) ألف حديث، وشرطه فيه أن لا يروي عن المعروفين بالكذب عنده، وهو مطبوع، وقد اعتنى به العلماء عناية بالغة ما بين مختصر وشارح ومفهرس ومحقق.^(١)

(١) الذهبي، التفسير والمفسرون، ج١، ص٢٣٣.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٢٠٥.

(١) الكتاني، محمد بن جعفر، الرسالة المستطرفة لبیان مشهور كتب السنة المصنفة، تحقيق: محمد المنتصر محمد الزمزمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٦ هـ، ص٤٦، بتصرف.

هذا ومن أمثلة استعانة الإيجي به ما رواه عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾^(١) قال: "وفي مسند الإمام أحمد^(٢) عن أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن جملتهم مائة ألف وأربع وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر".^(٤)

٢. مسند البزار "البحر الزاخر" للإمام أحمد بن عمرو البزار ت ٢٩٢ هـ.^(٥)

وهو مسند معمل، قال ابن كثير: "ويقع في مسند الحافظ أبي بكر البزار من التعاليل ما لا يوجد في غيره."^(٦)

ومن أحاديث مسند البزار التي استشهد بها الإيجي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾^(٧) قال: "السورة مكية وهذه الآية مدنية نزلت حين وقعت وقعة أحد وفعلوا ما فعلوا بحمزة رضي الله عنه فحين نظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله لئن أظفرتني الله بهم لأمتلن بسبعين مكانك فلما نزلت كقر عن يمينه - كذا قاله عطاء بن يسار وفيه حديث مرسل ذكره الحافظ البزار بطريق متصل وفيه ضعف".^(٨)

١ (الخولي، عبد العزيز، تاريخ فنون الحديث، ص ٦٦ - ٧٠ بتصرف.

٢ (سورة غافر، آية: ٧٨.

٣ (ينظر ابن حنبل، أحمد أبو عبد الله الشيباني، المسند، مؤسسة قرطبة، مصر، رواه عن أبي أمامة، ج ٥، ص ٢٦٥، برقم ٢٢٣٤٢.

٤ (الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ١٧٦، وينظر ج ٣، ص ٥١٢.

٥ (المرجع السابق، ص ٣٠٢.

٦ (ابن كثير، الباعث الحثيث، شرح اختصار علوم الحديث، ص ٦١.

٧ (سورة النحل، الآية: ١٢٦.

٨ (الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٣٩١.

٣. مسند أبي داود سليمان بن داود الطيالسي المتوفى سنة ٢٠٤هـ.

قيل إن مسنده هو أول من مسند صنف، ولكن هذا القول ليس بسديد، لأن الذي جمع هذا المسند ليس أبو داود نفسه، وإنما هو بعض حفاظ خراسان، جمع فيه ما رواه يونس بن حبيب خاصة عن أبي داود، ولأبي داود من الأحاديث التي لم تدخل هذا المسند قدره أو أكثر ذكره البقاعي في حاشية الألفية^(١).

ومن المواطن التي استعان فيها الإيجي بمسند أبي داود الطيالسي عند تفسيره لسورة الماعون فقال: "وروى أبو داود وأبو داود الطيالسي عن ابن مسعود قال: "كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نقول: الماعون: الدلو وأشباه ذلك".^(٢)

ثانياً: كتب الجوامع والصحاح والمستدركات
جميع الحقوق محفوظة

الجامع في اصطلاح المحدثين هو: كل كتاب حديثي، يوجد فيه جميع الأنواع المحتاج إليها من العقائد والأحكام والرفاق والآداب والتفسير والسير والفتن والمناقب وغير ذلك.^(٣) فإذا أضيفت إليه كلمة "الصحيح" فهي تعني أن صاحبه التزم الصحة في ما يورد من الأحاديث. وأما المستدرك فهو كتاب يقصد فيه مؤلفه تخريج أحاديث على شرط المستدرك عليه مما لم يخرج في كتابه.

وقد رجع الإيجي رحمه الله إلى طائفة من هذه الكتب في تفسيره وهي:

١. الجامع المسند الصحيح للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ت ٢٥٦ هـ.^(٤)

وهو أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى وشهرته تغني عن التعريف به.

(١) الكتاني، الرسالة المستطرفة، ص ٥١، بتصريف.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٥١٢، والحديث رواه أيضاً أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، سنن أبي داود، دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد "باب في حقوق الأموال، ج ٢، ص ١٢٤، برقم ١٦٥٧.

(٣) الطحان، أصول التخريج ودراسة الأسانيد، ص ٩٧، بتصريف.

(٤) الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٣٨٠.

هذا ومن أحاديث البخاري التي ذكرها الإيجي في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ

ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مَهْجِرَاتٍ فَاْمَحْجُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ
لَا مِنْ حِلٍّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا
بِعَصْمِ الْكُوفَرِ وَسَأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ مَّا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١﴾ يقول
الإيجي: "وروى البخاري^(٢) عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عاهد كفار قريش يوم المدينة جاء نساء من المؤمنات فانزل الله: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ
ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصْمِ الْكُوفَرِ﴾ فطلق عمر يومئذ امرأتين
تزوج معاوية بن أبي سفيان واحدة وتزوج صفوان ابن أمية الأخرى".^(٣)

٢- الجامع الصحيح للإمام مسلم بن الحجاج.

وهو أصح كتب السنة بعد كتاب البخاري وهو مشهور تكفي شهرته عن التعريف به.

ومن أحاديث مسلم التي استشهد بها الإيجي عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ

لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾^(٤) قال الإيجي: "وفي صحيح مسلم^(٥)
وغيره قال صلى الله عليه وسلم "إن إبليس جاء بشهاب من نار ليحمله في وجهي: فقلت أعوذ

(١) سورة الممتحنة، آية: ١٠.

(٢) رواه البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، في الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب
الغبغا، الطبعة الثالثة، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، ١٤٠٧هـ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل
الحرب وكتابة الشروط، ج ٢، ص ٩٧٨، برقم ٢٥٨١.

(٣) الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٣٨٠.

(٤) سورة ص، الآية: ٣٥.

(٥) روى الإمام مسلم ابن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري في الصحيح، باب جواز لعن الشيطان في
أثناء الصلاة والتعوذ منه وجواز العمل القليل في الصلاة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق محمد فؤاد
عبد الباقي، ج ١، ص ٣٨٥، برقم ٥٤٢.

بإله منك ثلاث مرات، ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة، فلم يستأخر، ثلاث مرات، ثم أردت أن أخذه والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثوقاً يلعب به صبيان أهل المدينة".^(١)

٣- المستدرك على الصحيحين في الحديث للشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري الحافظ المتوفى سنة ٤٠٥ هـ.^(٢)

قصد فيه الحاكم إخراج الأحاديث التي على شرط الشيخين ولم يخرجها، ولكنه خولف في كثير منها، وهو واسع الخطو في شرط الصحيح متساهل في النقاط، كما ذكره ابن الصلاح، قال البلقيني وفيه ضعيف وموضوع أيضاً، وقد بين ذلك الحافظ الذهبي وجمع منه جزءاً من الموضوعات يقارب مائة حديث، قال ابن حجر: إنما وقع للحاكم التساهل لأنه سود الكتاب لينقحه فأعجلته المنية. اختصره الذهبي ونبه على تساهله وتصحيحه.^(٣)

ومن أمثله في جامع البيان عند تفسير قوله تعالى: ﴿رَبِّينَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ﴾^(٤) يقول الإيجي: "والقنطار ألفاً أوقية. أو ألف دينار. أو ألف ومائتا دينار وقيل غيرها والأول رواه الحاكم في مستدركه^(٥) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه والثاني قول أنس وابن عباس والحسن البصري وغيرهم والثالث قول الضحاك".^(٦)

(١) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص١٢٢.

(٢) المرجع السابق، ج١، ص٧٩.

(٣) حاجي حليفة، كشف الظنون، ج٢، ص١٦٧٢، بتصرف.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

(٥) روى الحاكم بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل والقناطر المقنطرة قال القنطار ألفاً أوقية "وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ينظر الحاكم، محمد بن عبد الله أبو عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ هـ، ج٢، ص١٩٤، كتاب النكاح، برقم ٢٧٣١.

(٦) الإيجي، جامع البيان، ج١، ص٧٩.

ثالثاً: كتب السنن.

وهي الكتب المرتبة على الأبواب الفقهية، قصد جامعوها جمع أحاديث الأحكام، لذا لم يتعرضوا في كتبهم إلى ما لا علاقة له بالأحكام كالعقائد والزهد والأخلاق إلا ما ندر. وقد اعتمد الإيجي على أمهات كتب السنن، وهي السنن الأربعة المعدودة من أصول الإسلام، إضافة إلى سنن الدارمي، وسنن البيهقي.

وهذه هي كتب السنن التي اعتمدها الإيجي - رحمه الله - مع ذكر بعض الشواهد عليها:

١. السنن، للإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ت ٢٧٩هـ.

ومن أمثله في جامع البيان عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ ﴿تَبِعَهَا الرَّادِفَةُ﴾^(١) يقول الإيجي: "وفي الترمذي^(٢) وغيره: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: "يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه".^(٣)

٢. السنن الكبرى^(٤)، للإمام أحمد بن شعيب النسائي ت ٣٠٣هـ. وقد اختصرها النسائي وعرفت بـ "المجتبى"، وقيل أن تلميذه ابن السني هو الذي اختصرها.

ومن أمثله في جامع البيان عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى سَعَةَ آيَاتٍ بَيْنَاتٍ﴾ الآية^(٥) يقول الإيجي: "... وأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي وقال صحيح حسن

١ (سورة النازعات، الآية: ٧.

٢ (ينظر الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي، لجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٤، ص ٦٣٦، رقم ٢٤٥٧.

٣ (الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٤٦٠.

٤ (المرجع السابق، ج ٣، ص ٢٥٥.

٥ (سورة الإسراء، الآية: ١٠١.

والنسائي^(١) وابن ماجه وابن جرير في تفسيره: "أن يهوديين سألا النبي عليه السلام عن هذه الآية ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ الآية فقال: "لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا..."^(٢).

٣. السنن الكبرى للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ت ٤٥٨هـ:

ومن أمثله في جامع البيان عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^(٣)

يقول الإيجي: "وعن البيهقي^(٤) وغيره أنها نزلت في أيام التشريق بمنى في حجة الوداع"^(٥)

٤. السنن، للإمام أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني ت ٢٧٥هـ.

٥. السنن، للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد، ابن ماجه ت ٢٧٣هـ.

٦. السنن، للدارمي، وهي نفسها مسند الدارمي، تقدم الكلام عليه في المسانيد.

ومن الأمثلة التي جمعت هذه الكتب عند تفسير قول الله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾^(٦)

يقول الإيجي: "روى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه والدارمي^(٧)... عن عقبة بن عامر الجهني

"أنه لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم" قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اجعلوها في

ركوعكم" فلما نزلت..."^(٨).

(١) ينظر النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، السنن الكبرى، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، الفرار من الزحف وتأويل قوله عز وجل "...، ج ٥، ص ١٩٨، برقم ٨٦٥٥.

(٢) ينظر الإيجي، جامع البيان، ج ١ ص ٤٠٩

(٣) سورة النصر، الآية: ١.

(٤) ينظر البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ، باب خطبة الإمام بمنى أوسط أيام التشريق، ج ٥، ص ١٥٢، برقم ٩٤٦٤.

(٥) الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٥١٤.

(٦) سورة الأعلى، الآية: ١.

(٧) ينظر الدارمي، عبدالله بن عبد الرحمن أبو محمد، سنن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت الأولى ١٤٠٧هـ، باب ما يقال في الركوع، ج ١، ص ٤٣١، رقم ١٣٠٥، وينظر أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، سنن أبي داود، دار الفكر، بيروت، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، ج ١ ص ٢٣٠، برقم ٨٦٩، وينظر ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر، بيروت، باب التسبيح في الركوع والسجود، ج ١، ص ٢٨٧، رقم ٨٨٧.

(٨) الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٤٨٢.

رابعاً: كتب متنوعة في الحديث.

١. الموطأ للإمام مالك بن أنس الحميري الأصبحي المدني إمام الهجرة ت ١٧٩هـ. (١)

قصد فيه جمع الصحيح، لكن إنما جمع الصحيح عنده، لا على اصطلاح أهل الحديث، لأنه يرى المراسيل صحيحة وقد مكث الإمام مالك في تصنيفه أربعين سنة، وهو مروى عنه بروايات كثيرة، أشهرها رواية يحيى بن يحيى الليثي. قال الإمام الشافعي: ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مالك. (٢)

ومما استشهد به من موطأ الإمام مالك عند تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تُوَفَّقُوا لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ

طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٣) يقول الإيجي كما في الحديث الذي رواه مالك في الموطأ (٤) والترمذي قال صلى الله عليه وسلم إنما المؤمن طائر في شجرة الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه وقد صححه الترمذي وغيره قال المحققون هذا غير مختص بالشهداء. (٥)

٢. المعجم الكبير للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني الحافظ ت ٣٣٦هـ. (٦)

جمع فيه مسانيد الصحابة، ورتبهم على حروف المعجم، إلا مسند أبي هريرة، فقد جعله في مسند مستقل به (٧). وقد طبع ناقصاً في خمسة وعشرين مجلداً.

(١) المرجع السابق، ج ٣، ص ٣٧٧.

(٢) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ٢، ص ١٩٠٧.

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٣.

(٤) ينظر الإمام مالك، بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، موطأ الإمام مالك، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء التراث العربي، مصر، باب جامع الجنازة، ج ١، ص ٢٤٠، برقم ٥٦٨.

(٥) الإيجي، جامع البيان، ج ٢، ص ٣٧٧.

(٦) المرجع السابق، ج ٢، ص ٣١٢.

(٦) الكتاني، الرسالة المستطرفة، ص ١٠١.

ومما أخذه من الطبراني عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَّهُمْ مِنْ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾^(١) قال الإيجي: "وفي الطبراني^(٢) قال صلى الله عليه وسلم "إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده، فيقال: إنهم لم يبلغوا درجتك فيقول: يا رب قد عملت لي ولهم فيؤمر بالحاقهم به"^(٣).

٣. المراسيل لأبي داود السجستاني صاحب السنن.^(٤)

وهو جزء لطيف مرتب على الأبواب، نبه فيه على ما روي منها مسنداً صحيحاً أم ضعيفاً.

ومن أمثلة استعانته بمراسيل أبي داود ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْواً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجْرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾^(٥) قال الإيجي: وكان ذلك في أوائل وجوب الجمعة حين كانت الصلاة قبل الخطبة مثل العيد كما روى أبو داود^(٦) في كتاب المراسيل^(٧).

٤. الكاف الشاف في تحرير أحاديث الكشاف للحافظ الكبير شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر توفى سنة ٨٥٢ هـ.^(٨)

خرج الحافظ جمال الدين الزيلعي أحاديث الكشاف للزمخشري، لكنه فاته كثير من الأحاديث المرفوعة التي يذكرها الزمخشري بطريق الإشارة، ولم يتعرض للأثار الموقوفة غالباً. فقام الحافظ ابن حجر بتلخيصه، وزاد عليه ما أغفله الزيلعي.^(١)

١ (سورة الطور، الآية: ٢١.

٢ (ينظر الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ، باب سورة المائدة، ج ١١، ص ٤٤٠، برقم ١٢٢٤٨.

٣ (الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٣١٢.

٤ (الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٣٨٦.

٥ (سورة الجمعة، آية: ١١.

٦ (أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، المراسيل، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، باب ما جاء في خطبة يوم الجمعة، ص ١٠٥، برقم ٦.

٧ (الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٣٨٦.

٨ (المرجع السابق، ج ٣، ص ٢٠٨.

ومن أمثلته عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (٢) قال الإيجي وفي الحديث: "إذا كان يوم القيامة نادى مناد: من كان له أجر على الله فليقم، فيقوم خلق. فيقال لهم: ما أجركم على الله؟ فيقولون نحن عفونا عن ظلمنا. فيقال لهم أدخلوا الجنة بإذن الله" قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف: أخرجه العقيلي والطبراني في مكارم الأخلاق، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الشعب، في السابع والخمسين كلهم من طريق الفضل بن يسار عن غالب العطار عن الحسن بن أنس رفعه. قال "إذا وقف العبد للحساب ينادي مناد من كان أجره على الله فليدخل الجنة - الحديث" وله طريق أخرى عند الثعلبي من رواية زهير بن عباد عن ابن عيينة عن عمرو بن عباس، وأخرى عند البيهقي من رواية الثوري عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. (٣)

٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. (٤)

شرح فيه صحيح الإمام البخاري، وهو أشهر شروح الصحيح، طبع طبعات عدة، جمع فيه الحافظ جهود كل من سبقه في شرح الصحيح، وقدم له مقدمة بدیعة سماها هدي الساري، بين فيها كثيراً من منهج البخاري، والذود عنه، وغير ذلك. (٥)

المطلب الثالث

مصادره من كتب التاريخ والسير والتراجم:

١- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين علي بن محمد، المعروف بابن الأثير الجزري المتوفى سنة ٦٣٠هـ.

ذكر فيه سبعة آلاف وخمسمائة ترجمة، واستدرك ما فاتته على من تقدمه وبين أوامهم، قاله الذهبي في تجريد أسماء الصحابة وذكر فيه أن كتاب ابن الأثير نفيس مستقص لأسماء

٦ (الكتاني، الرسالة المستطرفة، ص ١٣٩.

٢ (سورة الشورى، آية: ٤٣.

٣ (الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٢٠٨.

٤ (المرجع السابق، ج ٣، ص ٤٩٥.

٥ (الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٤٩٥.

الصحابه الذين ذكروا في الكتب الأربعة المصنفة في معرفة الصحابة، وهي كتاب ابن المنذر، وكتاب ابن نعيم، وكتاب أبي موسى الأصبهانيين.

ذكره الإيجي عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾^(١) حيث قال: "وقد نقل ابن الأثير في أسد الغابة، في ترجمة علي بن فلان النميري^(٢) - رضي الله عنه - سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: المسلم أخو المسلم إذا لقيه حيا بالسلام، يرد عليه ما هو خير منه لا يمنع الماعون. قال: قلت يا رسول الله ما الماعون؟ قال: الحجر والحديد والماء وأشباه ذلك."^(٣)

٢- تاريخ مكة، للإمام أبي الوليد محمد بن عبد الكريم الأزرق المتوفى سنة ٢٢٣هـ.^(٤)

وهو أول من صنف في تاريخ مكة، وقد اختصره من زبدة الأعمال وخلص الأفعال للفاضل سعد الدين محمد بن عمر بن محمد بن علي الإسفرائني.^(٥) وقد رجع إليه الإيجي في مواضع عدة.^(٦)

٤- تاريخ دمشق، للإمام الحافظ أبي الحسن علي بن حسن المعروف بابن عساكر الدمشقي المتوفى سنة ٥٧١هـ.

وهو في نحو ثمانين مجلدا ذكر تراجم الأعيان والرواة ومروياتهم على نسق تاريخ بغداد للخطيب لكنه أعظم منه حجماً قال ابن خلكان: "العمر يقصر عن أن يجمع الإنسان مثل هذا الكتاب."^(١)

(١) سورة الماعون، آية: ٧.

(٢) علي بن فلان النميري، ذكر صاحب معجم الصحابة، بسنده عن معاذ بن المثني عن أحمد بن عمرو بن واصل عن فضيل بن سليمان عن عائذ بن ربيعة بن قيس النميري عن علي بن فلان بن عبدالله النميري قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعتة يقول: "المسلم أخو المسلم إذا لقيه حيا بالسلام يرد عليه ما هو خير منه لا يمنع الماعون قلت يا رسول الله ما الماعون قال الحجر والحديد والماء وأشباه ذلك". ينظر: ابن قانع، أبي الحسين عبد الباقي، معجم الصحابة، تحقيق: صلاح بن سالم المصراطي، مكتبة الغرباء الاثرية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، ج٢، ص ٢٦١، رقم ٧٧٨.

(٣) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص ٥١٢.

(٤) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص ٣٠٦.

(٥) المرجع السابق، ج٢، ص ٩٥٠.

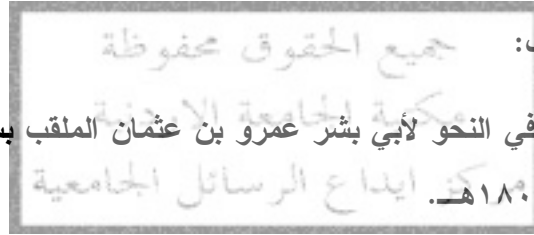
(٦) الإيجي، جامع البيان، ج١، ص ٤٢٥.

وقد رجع إليه الإيجي عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾^(٢) يقول الإيجي: "وروى الحافظ ابن عساكر عن عبد الله ابن عمر ومرفوعا سألت ربي أن لا أتزوج إلى أحد من أمتي ولا يتزوج إلى أحد منهم إلا كان معي في الجنة فأعطاني ذلك."^(٣)

المطلب الرابع

مصادره من اللغة والنحو

اعتمد الإيجي على مصادر لغوية ونحوية متنوعة تعد من أمهات الكتب التي ينبغي على المفسر اعتمادها وكان يكتفي بذكر أصحابها تارة وبذكر أسماء الكتب تارة أخرى.



١ - كتاب سيبويه في النحو لأبي بشر عمرو بن عثمان الملقب بسيبويه النحوي البصري الحارثي المتوفى سنة ١٨٠ هـ. أيداع الرسائل الجامعية

"كان كتاب سيبويه لشهرته وفضله علما عند النحويين، فكان يقال بالبصرة قرأ فلان الكتاب، فيعلم أنه كتاب سيبويه، وقرأ نصف الكتاب فلا يشك أنه كتاب سيبويه، ولم يزل أهل العربية يفضلونه حتى قال المبرد: "لم يعمل كتاب في علم من العلوم مثله، ويقال ان الكتب المصنفة في العلوم مضطرة إلى غيرها وكتاب سيبويه لا يحتاج إلى غيره."^(٤)

ومن أمثلة اعتماد الإيجي على هذا المصدر ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلِ مَا أَنْتُمْ نَطِقُونَ﴾^(٥) قال الإيجي: "قيل: نصب 'مثل' على أنه حال

(١) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص٢٩٤.

(٢) سورة المؤمنون، آية: ١٠١.

(٣) الإيجي، جامع البيان، ج٢، ص٦٥.

(٤) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص١٤٢٨.

(٥) سورة الذاريات، الآية: ٢٣.

من الضمير المستكن في "الحق". وقيل: حال من "الحق" وإن كان نكرة فقد أجاز ذلك سيبويه في مواضع من كتابه".^(١)

وكثيراً ما يكتفي الإيجي بذكر سيبويه، دون ذكر كتابه ومثال ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ﴾^(٢) يقول الإيجي: "وعن سيبويه أن صبغة الله مصدر مؤكد لقوله ﴿أما بالله فإن الإيمان يطهر النفوس كأنه قال طهرنا الله تطهيراً﴾".^(٣)

٢- صحاح اللغة، للإمام أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي المتوفى سنة ٣٩٣ هـ.

هـ.

يعد الجوهري أول من التزم الصحيح مقتصراً عليه ولهذا سمي كتابه الصحاح، وقال في خطبته: "وقد أودعت في هذا الكتاب ما صح عندي من هذه اللغة التي شرف الله تعالى مراتبها، وجعل علم الدين والدنيا منوطاً بمعرفتها، على ترتيب لم أسبق إليه وتهذيب لم أغلب عليه" قال التبريزي: "وكتاب الصحاح هذا كتاب حسن الترتيب، سهل المطلب لما يراد منه وقد أتى بأشياء حسنة وتفسير مشكلات من اللغة"^(٤) ومن أمثلة ما استفاده الإيجي من هذا المصدر عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ﴾^(٥) يقول الإيجي: "والمراد الزناد التي توري بها الأعراب وأكثرها من شجري المرخ والعفار - والعفار بفتح العين الزند وهو الأعلى والمرخ بفتح الميم وسكون الراء المهملة: الزندة وهو الأسفل - كذا في الصحاح عكس ما في الكشاف"^(٦) وسيأتي بيان هذا الشاهد في موطنه.

(١) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٣٠٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٣٨.

(٣) الإيجي، جامع البيان، ج١، ص٣٤.

(٤) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص١٠٧١.

(٥) سورة يس، الآية: ٨٠.

(٦) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٩٠.

وأحياناً يكتفي الإيجي بذكر اسم الجوهرى دون ذكر كتابه وما ذاك إلا لأنه تعلق إسم الكتاب بصاحبه ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ فَأَقْبَلتْ أَمْرَانَهُ فِي صَرَفٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾^(١) يقول الإيجي: ﴿ فَأَقْبَلتْ أَمْرَانَهُ فِي صَرَفٍ ﴾ أي جاءت صارة صائحة أو أخذت في الصيحة كقولك أقبل يشتمني ولا إقبال ولا إخبار قال الجوهرى: الصرة كالصيحة والجماعة والشدة. "يعني في صرة" حال على التقدير الأول وعلى الثاني ظرف لأقبلت".^(٢)

٣- مجمل اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس القزويني اللغوي المتوفى سنة ٣٩٥.

التزم فيه الصحيح والواضح من كلام العرب دون الوحشى المستتكر، وأثر فيه الإيجاز، وعليه كتاب للشيخ مجد الدين أبى طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادى الشيرازي صاحب القاموس المتوفى سنة ٨١٧ هـ وأورد فيه ألف سؤال وأخذه عليه مع ثنائه وحبه وذكر البرهان الحلبى أن صاحب القاموس تتبع أوهام ابن فارس في المجمل في ألف موضع، مع تعظيمه له وثنائه عليه".^(٣)

وقد رجع إليه الإيجي عند قوله تعالى: ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ ﴾^(٤) قال الإيجي: "الأراك - فسرته بالأراك جماعة من مشاهير السلف، كابن عباس وقتادة والحسن والسدي الكبير وقيل: كل شجر ذي شوك - وقيل صيغة تضعيف عند الإيجي - كذا في الكشاف وغيره وفي تفسير القاضي: كل شجر لا شوك له وكذا في مجمل اللغة ومفردات الإمام الراغب. والعجب أن شراح الكشاف لم يتعرضوا لهذه المخالفة".^(٥)

(١) سورة الذاريات، الآية: ٢٩.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٣٠٥.

(٣) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص١٦٠٤.

(٤) سورة سبأ، الآية: ١٦.

(٥) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٥٠.

٤- مفردات ألفاظ القرآن في اللغة، لأبي القاسم حسين بن محمد بن المفضل، المعروف بالراغب الأصبهاني، المتوفى سنة ٥٠٢هـ.

والكتاب نافع في كل علم من علوم الشرع، وهو على حروف التهجي معتبراً فيه أوائل حروفه الأصلية، والإشارة إلى المناسبات التي بين الألفاظ المستعارات والمشتقات".^(١)

٥- أساس البلاغة للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ت ٥٣٨هـ. "وهو كتاب كبير الحجم عظيم الفحوى، من أركان فن الأدب بل هو أساسه ذكر فيه المجازات اللغوية والمزايا الأدبية".^(٢)

وقد رجع إليه الإيجي عند قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾^(٣) يقول الإيجي: ﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾ أي ابتدروا الطريق الذي اعتادوا سلوكه، نصبه بالمفعولية لتضمنه معنى "ابتدروا" أو بنزع الخافض يعني "إلى"، ذكر في الأساس في قسم الحقيقة ﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾ ابتدروه. فعلى هذا لا تضمنين بخلاف ما في الكشف".^(٤)

٦- المطول، لسعد الدين مسعود بن عمر النفثازي المتوفى سنة ٧٩٢هـ.

وهو شرح على تلخيص المفتاح في المعاني والبيان، للشيخ الإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق المتوفى سنة ٧٣٩ هـ، وهو متن مشهور، يعد من أعظم ما صنف في علم البلاغة نفعاً، ولكن كان غير مصون عن الحشو والتطويل، فنصف هذا التلخيص متضمناً ما فيه من القواعد ورتب ترتيباً أقرب تناولاً من ترتيبه وأضاف إلى ذلك فوائد من عنده.^(٥)

(١) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص١٧٧٣، ينظر المثال السابق.

(٢) المرجع السابق، ج١، ص٧٤.

(٣) سورة يس، الآية: ٦٦.

(٤) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٨٨.

(٥) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص٤٧٣-٤٧٥.

وقد ذكره الإيجي عند تفسير قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾^(١) يقول الإيجي: "ويمكن أن يكون التكذيب راجعاً إلى حلف المنافقين وزعمهم أنهم لم يقولوا" ﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾^(٢) "كما سنذكره. وقوله ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾^(٣) مشعر بذلك. وهذا وجه آخر ذكره التفتازاني في المطول. فتدبر".^(٤)

٧- المفصل في النحو، للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ت سنة ٥٣٨هـ.

وهو من المصادر التي استقى منها الإيجي تفسيره وقد جعله الزمخشري في أربعة أقسام الأول: في الأسماء والثاني في الأفعال والثالث في الحروف والرابع في المشترك قيل فيه: "إذا ما أردت النحو هاك محصلاً عليك من الكتب الحسان مفصلاً".^(٥)

وقد رجع إليه الإيجي عند قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾^(٦) يقول الإيجي: "وفي المفصل" عند سيبويه أن ﴿هَلْ﴾ بمعنى ﴿قَدْ﴾ إلا أنهم تركوا الألف قبلها لأنها لا تقع إلا في الإستفهام وقال جميع النحاة أن ﴿هَلْ﴾ لا يأتي بمعنى ﴿قَدْ﴾ أصلاً وتفسير ابن عباس "أراد أن الإستفهام في الآية للتقرير وليس بإستفهام حقيقي. وقد صرح بذلك جماعة من المفسرين وقالوا إن سيبويه لم يقل ذلك".^(٧)

١ (سورة المنافقون، آية: ١ .

٢ (سورة المنافقون، الآية: ٧ .

٣ (سورة المنافقون، الآية: ٢ .

٤ (الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٣٨٨ .

٥ (حاجي حليفة، كشف الظنون، ج١، ص١٦٨ .

٦ (سورة الإنسان، الآية: ١ .

٧ (الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٤٤٧ .

٨- الإيضاح في شرح المفصل للشيخ أبو عمرو عثمان بن عمرو المعروف بابن الحاجب النحوي ت ٦٤٦ هـ.

ومثال استفادة الإيجي من هذا المصدر ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ إِن تَسْتَمُّوهُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عِزٌّ مُّعْجِزٌ بِاللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(١) يقول الإيجي: ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ أي بأنه ﴿بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي من عهودهم ﴿وَرَسُولُهُ﴾ عطف على المستكن في بريء أو مبتدأ محذوف الخبر أي ورسوله كذلك وعند ابن الحاجب جاز في مثله أن يكون عطفاً على محل اسم أن وقال ان المفتوحة قسمان: قسم هو في حكم المكسورة، نحو علمت أن زيدا قائم وعمرأ، فإن العلم لا يدخل إلا على المبتدأ أو الخبر، فلا بد أن نقول أن في حكم إن المكسورة فجاز فيها العطف على اسمها بالرفع، وقسم ليس في حكمها نحو اعجبني أن زيدا قائم وعمرو فلا يجوز إلا النصب في عمرو^(٢). جامعة الاردنية

هذا وقد نقل الإيجي عن طائفة من علماء النحو اكتفى بذكر أسمائهم دون كتبهم وهؤلاء الشيوخ هم:

١- الفراء^(٣): يحيى بن زياد الفراء النحوي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ.

ومن الأمثلة التي اعتمد فيها الإيجي على أقوال وآراء الفراء في النحو ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيْنَا﴾^(٤) قال الإيجي: "قال الفراء: ﴿عَلَيْنَا﴾، اسم موضوع على صفة الجمع ولا واحد له من لفظه كقوله "عشرين وثلاثين" والعرب إذا جمعت جمعاً ولم يكن له بناء من واحده ولا تثنيته قالوا في المذكر والمؤنث بالواو والنون.^(٥)

(١) سورة التوبة، آية: ٣.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج٢، ص٢٦٤.

(٣) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص١٤٦١.

(٤) سورة المنافقون، الآية: ١٩.

(٥) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٤٧٤.

٢- الزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن محمد السري، الزجاج النحوي^(١) المتوفى سنة ٣١٣هـ.

ومن المواطن التي استعان بها الإيجي بأراء الزجاج عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٢) يقول الإيجي: أي غلظ وجفاء عن قبول ذكره كما تقول: أتخمت من طعام وعن طعام أكلته. قال الفراء والزجاج "مِن ذِكْرِ اللَّهِ" و"عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ" سواء كما تقول تخمت من الطعام وعن الطعام"^(٣).

٣- المبرد، أبي العباس محمد بن يزيد، المبرد النحوي، المتوفى سنة ٢٨٥ هـ.

وقد رجع إليه الإيجي عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾^(٤) قال الإيجي: "فرق المبرد بين التحية والسلام فقال التحية دعاء مطلق والسلام دعاء مخصوص"^(٥).

٤- الأخفش، أبي الحسن سعيد بن مسعدة، الأخفش الأوسط،^(٦) المتوفى سنة ٢٢١ هـ.

ومن المواطن التي استعان بها الإيجي بأراءه عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُوْنَ أَعْبُدُ أَهْلًا جَاهِلُونَ﴾^(٧) يقول الإيجي نصب ﴿أَفَعَيَّرَ﴾ بـ ﴿أَعْبُدُ﴾ وقال الأخفش: نصب ﴿أَفَعَيَّرَ﴾ بـ ﴿تَأْمُرُوْنَ﴾ لا بـ ﴿أَعْبُدُ﴾ لأن الصلة لا تعمل فيما قبلها.

(١) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص ١٣٩١.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٢٢.

(٣) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص ٣٧.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٤٤.

(٥) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص ٣٥.

(٦) كشف الظنون، ج١، ص ٦٧٠.

(٧) سورة الزمر، الآية: ٦٤.

أما إذا كان الموصول منصرفاً فرفع. والصلة مع الموصول في موضع النصب بدلاً منه. أي أفغير الله تأمروني عبادة والمعنى: أتأمروني بعبادة غير الله".^(١)

المطلب الخامس

مصادره من كتب علوم القرآن

صرح الإيجي في تفسيره بكتاب واحد في علوم القرآن:

* التبيان في أقسام القرآن لشمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية
الدمشقي المتوفى سنة ٧٥١هـ.

وقد جمع ابن القيم فيه ما ورد بمعنى القسم والأيمان وذكر الكلام عليها.^(٢)

وقد أشار إليه الإيجي عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَأَمْرٌ لِّعِبَادٍ عَرَفًا﴾ ﴿فَالْعَصْفَ عَصْفًا﴾^(٣) يقول الإيجي: "قال العلامة ابن القيم في أقسام القرآن: الله سبحانه يرسل الملائكة ويرسل الأنبياء ويرسل الرياح ويرسل السحاب فيسوقه حيث يشاء ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فأرساله واقع على ذلك كله وهو نوعان: إرسال دين يحبه ويرضاه كإرسال رسله وأنبياؤه. وإرسال كون وهو نوعان: نوع يحبه ويرضاه، كإرسال ملائكته في تدبير أمور خلقه ونوع لا يحبه بل يسخطه ويبغضه كإرسال الشيطان على الكفار فالإرسال المقسم به هنا مقيد بالعرف".^(٤)

(١) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص١٥٠.

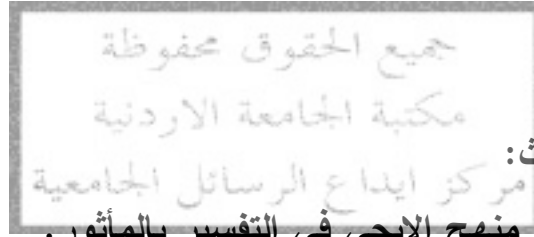
(٢) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص٢٤١.

(٣) سورة المرسلات، الآيات: ١-٥.

(٤) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٤٥٢-٤٥٣.

الفصل الثالث

دراسة منهج الإيجي في "جامع البيان"



وفيه ثمانية مباحث:

- المبحث الأول: منهج الإيجي في التفسير بالمأثور.
- المبحث الثاني: التفسير بالرأي عند الإيجي.
- المبحث الثالث: الاتجاه اللغوي والنحوي في تفسير جامع البيان.
- المبحث الرابع: علوم البلاغة في تفسير جامع البيان .
- المبحث الخامس: منهج الإيجي في العناية بعلوم القرآن .
- المبحث السادس: الاتجاه الفقهي في تفسير جامع البيان.
- المبحث السابع: الاتجاه العقدي في جامع البيان
- المبحث الثامن: الدخيل والإسرائيليات في جامع البيان وموقف الإيجي منه

المبحث الأول

منهج الإيجي في التفسير بالمأثور

تمهيد:

عد العلماء التفسير بالمأثور أحسن الطرق وأصحها لفهم كتاب الله عز وجل، يقول ابن كثير: "فإن قال قائل فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب ان أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى "كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن... قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا يُبَيِّنَ لِمَنْ أَلْفَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾^(٢) ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه"^(٣) يعني السنة... والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه فإن لم تجده فمن السنة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين بعثه إلى اليمن بم تحكم، قال بكتاب الله قال فإن لم تجد، قال بسنة رسول الله ، قال فإن لم تجد قال أجتهد برأبي، قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره وقال الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي رسول الله...، حينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدري بذلك لما شاهدوا من القرأتين والأحوال التي اقتصوا بها ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح لا سيما علماؤهم وكبرائهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين والأئمة المهتدين المهديين"^(٤).

فالتفسير بهذا يقوم على أسس ثلاثة هي: تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.

ونظراً لأهمية التفسير بالمأثور، أولاه الإيجي عناية خاصة، وكان يقدمه على سائر أقوال أهل التفسير، كما سيظهر من خلال هذا المبحث.

(١) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٢) سورة النحل، الآية: ٦٤.

(٣) رواه أبو داود، في سننه باب في لزوم السنة، ج٤، ص٢٠٠، برقم ٤٦٠٤.

(٤) ابن كثير، إسماعيل بن عمر دمشقي أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٦هـ، ج١، ص٤.

وقد جاء هذا المبحث في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: منهج الإيجي في تفسير القرآن بالقرآن.

المطلب الثاني: منهج الإيجي في تفسير القرآن بالسنة.

المطلب الثالث: منهج الإيجي في تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.

المطلب الأول

منهج الإيجي في تفسير القرآن بالقرآن

إن الناظر في القرآن الكريم يجد أنه قد اشتمل على الإيجاز والإطناب، والإجمال والتبيين، والإطلاق والتقييد، والعموم والخصوص، وبذا قد يكون ما جاء موجزاً هنا مبسوطاً هناك، أو مجملاً هنا مبيناً هناك، أو مطلقاً في موضع مقيداً في آخر، أو عاماً في آية قد جاء تخصيصه في أخرى.

ولهذا كان لا بد لمن يتعرض لتفسير كتاب الله تعالى، أن ينظر في القرآن أولاً فيجمع ما كان منه في موضوع واحد، ويقابل الآيات بعضها ببعض، ليستعين بما جاء مسهباً على معرفة ما جاء موجزاً، وبما جاء مبيناً على فهم ما جاء مجملاً، وليحمل المطلق على المقيد، والعام على الخاص، وبهذا يكون قد فسر القرآن بالقرآن، وفهم مراد الله بما جاء من عند الله.

وهذه مرحلة لا يجوز لأحد مهما كان أن يعرض عنها ويتخطاها إلى مرحلة أخرى لأن صاحب الكلام أدرى بمعاني كلامه وأعرف به من غيره^(١).

وعليه أن ينظر في المفردة القرآنية أيضاً، ماذا تعني في القرآن، وذلك بجمعها في

موطن واحد، ليتعرف على معناها في الموطن الذي يقع فيه الإشكال.

كما على المفسر النظر في الآيات التي ظاهرها التعارض والتضاد، ومحاولة رفع

الإشكال بينها.

وقد ارتسم الإيجي هذا المنهج في تفسير القرآن، حيث سعى في تفسيره إلى حمل القرآن

بعضه على بعض، وفهم القرآن من خلال القرآن، ويبدو ذلك جلياً من خلال تفسيره وفيما يلي

دلائل اهتمامه بهذا النوع من التفسير:

(١) الذهبي، التفسير والمفسرون، ج١، ص٣٧.

أولاً: حمل العام على الخاص.

"العام هو لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر"، وفي مقابلته المخصوص: وهو كونه مقصوراً على بعض ما يتناوله.^(١) أو هو "إخراج بعض ما تناوله اللفظ العام".^(٢)

وشواهد العام والخاص في جامع البيان كثيرة، منها عندما تعرض الإيجي لتفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرَبِّصْنَ أَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٣) يقول الإيجي^(٤):

"وخص عنه الحامل لقوله تعالى" ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾^(٥).

فالإيجي يرى أن آية البقرة العامة في المتوفى عنها زوجها، أنها تعتد أربعة أشهر وعشراً قد خصت بآية الطلاق وذلك بحمل العام على الخاص.

ويكرر الإيجي ذات المسلك في حمل العام على الخاص، عند حديثه حول حكم الزواج بالمشركات، فيقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى تُؤْمِنَ﴾^(٦) يقول:

"والمشركات هنا عامة في كل من كفرت بالنبي عليه الصلاة والسلام لكن خصت منها حراير الكتابيات، بقول الله تعالى" ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ﴾^(٧) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم استثنى الله تعالى من ذلك نساء أهل الكتاب".^(٨)

١ (التلمساني المالكي، محمد بن أحمد الشريف، مفتاح الوصول على بناء الفروع على الأصول، تحقيق: محمد علي فركوس، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، ج ١، ص ٢٠٧، وينظر السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق: علي محمد البيجاوي، دار الفكر العربي، ص ٥٢٩ .

٢ (القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة والعشرون ١٤١٥هـ، ص ٢٢٦.

٣ (سورة البقرة، الآية: ٢٣٤.

٤ (الإيجي، جامع البيان، ص ٥٨.

٥ (سورة الطلاق، آية: ٤.

٦ (سورة البقرة، الآية: ٢٢١.

٧ (سورة المائدة، آية: ٥.

٨ (الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٥٣.

فالإيجي ينبه على أن النهي العام الذي في سورة البقرة في هذا النكاح قد خص منه نكاح الكتابيات في سورة المائدة.

ومن الجدير بالذكر أن الإيجي كغيره من المفسرين لا يحمل الآية على التخصيص، إلا إذا قام عنده الدليل عليه وإلا أبقى الآية على عمومها، كما فعل عند تفسيره لقول الله تعالى:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا

يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(١) يقول الإيجي: "...

ومعنى الآية أنه يرفع الذين آمنوا على من لم يؤمن درجات، ويرفع الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا درجات فمن جمع بين الإيمان والعلم رفعه الله بايمانه درجات، ثم رفعه بعلمه درجات، وقيل المراد بالذين آمنوا من الصحابة والذين أوتوا العلم وقيل المراد: الذين قرأوا القرآن، والأولى حمل الآية على العموم في كل مؤمن وكل صاحب علم من علوم الدين، ومن جميع أهل الملة ولا دليل على تخصيص الآية بالبعض دون البعض".^(٢) وهذا هو الأصل المعمول فيه عند أهل العلم، فالعام يبقى على عمومه والخاص على خصوصه، ولا يحمل أحدهما على الآخر إلا بدليل كنص صريح أو اجماع أو غيرها...

ثانياً: حمل المجمل على المفصل.

المجمل: هو ما لم تتضح دلالاته"^(٣) فلا بد له من نص آخر مفصل له، والإجمال والتفصيل قد يأتي في آيتين منفصلتين بحيث يرد مجملاً في آية ومفصلاً في أخرى، وقد يأتي الإجمال والتفصيل في آية واحدة.

ومثال الأول في تفسير جامع البيان ما أورده الإيجي عند تفسيره لقول الله تعالى:

﴿فِي ظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَبَقَاتٍ أُحْلَتْ لَهُمْ وَيَصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾^(٤) يقول

١ (سورة المجادلة، الآية: ١٢.

٢ (الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٣٦٦.

٣ (الغزي، محمد بن محمد، إتيقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسنة، مطبعة الفاروق الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، تحقيق: خليل محمد العربي، ج٢، ص٤٩.

٤ (سورة النساء، الآية: ١٦٠.

الإيجي^(١): "أي استمر تحريمها إلا بظلم عظيم منهم قال تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ مِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَرِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾^(٢).

يشير الإيجي من خلال استشهاده بآية الأنعام على أن المجمل الوارد ذكره في سورة النساء من تحريم طيبات على اليهود قد فصلته آية الأنعام.

ومن الأمثلة على ذلك أيضا عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿فَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(٣) يقول الإيجي: "وهي: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّنَا تَقَفُّرٌ لَّنَا وَرَحْمَةً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٤). فالإيجي يرى أن آية الأعراف جاءت مفصلة لما أجملته آية البقرة.

ومن أمثلة ذلك أيضا عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾^(٥) يقول الإيجي: "إلا ما يتلى عليكم تحريمه أو إلا محرم ما يتلى عليكم وهو قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِعَبِّ اللَّهِ بِهِ... الآية﴾^(٦).

فالإيجي يرى حمل المجمل في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ على المفصل في الآية التي بعدها.

المثال الثاني وهو أن يأتي الإجمال والتفصيل في آية واحدة عند تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُكِرْتُمْ كَافِرًا وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٧) يقول الإيجي: ﴿هُوَ

١ (الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ١٥٢.

٢ (سورة الأنعام، الآية: ١٤٦.

٣ (سورة البقرة، الآية: ٣٧.

٤ (الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ١٣.

٥ (سورة الأعراف، الآية: ٢٣.

٦ (سورة المائدة، آية: ١.

٧ (سورة المائدة، الآية: ٣.

٨ (سورة التغابن، الآية: ٢.

الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ ﴿١﴾ مقدر كفره ﴿٢﴾ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ﴿٣﴾ مقدر إيمانه، ومثله في الإجمال والتفصيل قوله تعالى في سورة النور: ﴿٤﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥﴾ (١) وعند هذه الآية يفصل الإيجي فيقول: فإنه دخل في قوله ﴿٦﴾ كُلُّ دَابَّةٍ ﴿٧﴾ الإنسان وهم ذوو العقول فغلبهم فلما غلبهم في المجمع إستعمل لفظ ﴿٨﴾ مَنْ ﴿٩﴾ التي هي لذوي العقول في تفصيله ليكون على وتيرة المجمع وطريقته فافهم". (٢)

فذكر الإيجي هنا آيتين ينطبق عليهما حصول الإجمال والتفصيل في الآية الواحدة، فآية التغايب الإجمال فيها بقوله تعالى ﴿١٠﴾ خَلَقَكُمْ ﴿١١﴾ والتفصيل في قوله تعالى: ﴿١٢﴾ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ﴿١٣﴾. وفي آية النور الإجمال في قوله تعالى: ﴿١٤﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ ﴿١٥﴾ والتفصيل قوله تعالى: ﴿١٦﴾ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ﴿١٧﴾.

ثالثاً: حمل المبهم على المفسر:

والمبهم هو اللفظ الذي لا يفهم المراد منه (٤)، لذلك احتاج هذا المبهم إلى ما يفسره ويوضحه ومن الأمثلة في جامع البيان على ذلك عند قوله تعالى: ﴿١٨﴾ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ أَعْمَوْا ﴿١٩﴾ (٥) يقول الإيجي في تفسيرها: "لما نزل قوله: ﴿٢٠﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴿٢١﴾" (٦) سأل عمرو بن الجموح عن مقدار ما ينفق فنزل قوله تعالى: ﴿٢٢﴾ قُلِ أَعْمَوْا ﴿٢٣﴾ أي ما فضل من المال عن العيال أو أفضل مالك وأطيبه، قيل أنها منسوخة بآية الزكاة، وقيل مبينة بها قاله مجاهد وغيره... (٧)

١ (سورة النور، الآية: ٤٥ .

٢ (الإيجي، جامع البيان، ج ٢، ص ٧٧ .

٣ (سورة النور، الآية: ٤٥ .

٤ (ينظر السيوطي، الإتيقان، ج ٢، ص ٥٤ .

٥ (سورة البقرة، الآية: ٣١٩ .

٦ (سورة البقرة، الآية: ٢١٥ .

٧ (الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٥٣ .

فالعفو في آية البقرة مبهم لا يعرف المراد منها إلا بنص آخر يبيّنه أشار إليه الإيجي

وهو آية الزكاة في سورة التوبة ﴿ إِنَّمَا أَصَدَقْتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا ﴾^(١).

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً عند قول الله تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا

هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا

يَأْسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾^(٢) يقول الإيجي: (٣) وقد صح أن مفاتيح الغيب خمس^(٤) قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾^(٥).

رابعاً: حمل المطلق على المقيد:

المطلق هو: "الدال على الماهية بلا قيد وهو مع المقيد كالعام مع الخاص. قال العلماء

متى وجد دليل على تقييد المطلق صير إليه، وإلا فليبق المطلق على إطلاقه والمقيد على تقييده

لأن الله تعالى خاطبنا بلغة العرب"^(٦)

وضابط الأمر: أن الله عز وجل إذا حكم في شيء ثم ورد حكم آخر مطلقاً نظر: فإن لم

يكن له أصل يرد إليه إلا ذلك الحكم المقيد وجب تقييده به، وإن كان له أصل يرد إلى غير ذلك

الحكم لم يكن رده إلى أحدهما بأولى من الآخر.^(٧)

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٥٩.

(٣) الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ١٩٥.

(٤) روى البخاري في صحيحه، باب: "وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو بسنده إلى: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتيح الغيب خمس إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم... ج ٤، ص ١٦٩٣، برقم ٤٣٥١.

(٥) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

(٦) وقيل أيضاً في تعريف المطلق والمقيد المطلق هو "ما دل على الحقيقة بلا قيد" والمقيد: "هو ما دل على الحقيقة بقيد كالرقبة المقيدة بالإيمان في قوله تعالى: "فتحرير رقبة مؤمنة" وأيضاً أنه "اللفظ الدال على الشائع في جنسه بلا قيد" ينظر الأمدي، سيف الدين أبو حسن علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: سيد الجميلي، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، ج ٣، ص ٢، والقطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة والعشرون ١٤١٥هـ، ص ٢٤٦.

(٧) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، طبعة دار ابن كثير، دمشق، ص ٧٣٦: ٢، مرجع سابق.

ومن الشواهد على المطلق والمقيد في تفسير جامع البيان عند قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ

يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ﴾^(١) يقول الإيجي: "فالواجب

إعتاق رقبة والشافعي حمل ما أطلق على ما قيد في كفارة القتل بالإيمان لاتحاد الموجب".^(٢)

فالإيجي يشير إلى أن من صور حمل المطلق على المقيد اختلاف السبب واتحاد الحكم

أو الموجب فقيد هذه الآية من سورة المجادلة بما ورد من كفارة القتل الواردة في سورة النساء

وهي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤَمِّناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤَمِّنَةً﴾^(٣) وهو بهذا يرجح ما ذهب إليه

الشافعية محتجين أن كلام الله تعالى متحد في ذاته، لا تعدد فيه فإذا نص على اشتراط الإيمان

في كفارة القتل كان ذلك تنصيماً على اشتراطه في كفارة الظهار.

وقد أكد الإيجي ذات المسلك عند بيانه لكفارة الأيمان عند قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ

بِالْعَفْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ

أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةُ أَيْمَانِكُمْ﴾^(٤)، يقول

الإيجي عند قوله "﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ مؤمنة عند الشافعي. ويقول عند قوله تعالى: ﴿فَصِيَامُ

ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ والتتابع ليس بشرط عند الشافعي".^(٥)

فالإيجي يرى القيد في الأولى لورود الدليل على التقييد، ولا يرى ذلك في الثانية، وهذا

مذهب من يرى أن قراءة ابن مسعود ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ متتابعات ﴿غير متواترة وإن كانت

مشهورة، وهي ليست بحجة فليس هنا مقيد حتى يحمل عليه المطلق.^(٦)

ومن الأمثلة أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَتَ وَهُوَ

كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٧)

١ (سورة المجادلة، الآية: ٢.

٢ (الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٣٦٣.

٣ (سورة النساء، الآية: ٩٢.

٤ (سورة المائدة، الآية: ٨٩.

٥ (الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ١٧٧.

٦ (ينظر القطان، مباحث في علوم القرآن، ص ٢٤٦.

يقول الإيجي: "قيد الردة بالموت عليها في إحباط الأعمال وهي مذهب الشافعي"^(٢) يقول صاحب البرهان معلقاً على هذه الآية: "وقيد الردة بالموت عليها والموافاة على الكفر فوجب رد الآية المطلقة إليها وألا يقضي بإحباط الأعمال إلا بشرط الموافاة عليها، وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه وإن كان قد تورع في هذا التقرير"^(٣).

ومن الشواهد المهمة في الإطلاق والتقييد حمل الدم الوارد في كثير من الآيات على الدم المقيد بالمسفوح في سورة الأنعام وقد أكده الإيجي في مواطن عدة وحمل المطلق على المقيد عندها فنجد عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾^(٤) يقول الإيجي: "أي دمًا مسفوحاً" والسّمك والجراد والكبد والطحال مستثنى بالحديث"^(٥).

وعند قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمَ﴾^(٦) يقول: "أي المسفوح"^(٧).

وهكذا نجد أن الإيجي فسّر آيات القرآن الكريم بآيات أخر وعمل على حمل الآيات على بعضها مما أعانه على توضيح مبهمها وتفصيل مجملها وتقييد مطلقها... وهكذا. ولم يقف الإيجي عند هذا الحد في تفسير القرآن بالقرآن بل نجده قد استعان بآيات القرآن الكريم في مجالات أخرى نذكر منها ما يلي:

١- الاستدلال بالآية للتدليل على معنى المفردة الواحدة وتوضيح المعنى المراد منها.

وهذا المنهج يعد من قبيل تفسير القرآن بالقرآن فإن اللفظة القرآنية قد تأتي في موضع آخر لفظة تدل على معناها ولكن لم تستخدم ذات اللفظة لغاية بيانية وخير ما يفسر هذه اللفظة هو أن ترد بالمعنى ذاته آية خاصة عند اتحاد السياق فمن ذلك: ما أورده الإيجي عند تفسيره ﴿أَمِيرَاتٌ﴾ عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَأَلْسَمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَاتُ﴾^(٨)

١ (سورة البقرة، الآية: ٢١٧

٢ (الإيجي، جامع البيان، ج١، ص٥٢.

٣ (الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار المعرفة، بيروت، ١٢٩٦هـ، ج٢، ص١٦.

٤ (سورة البقرة، الآية: ١٧٣.

٥ (الإيجي، جامع البيان، ج١، ص٤١.

٦ (سورة المائدة، الآية: ٣.

٧ (الإيجي، جامع البيان، ج١، ص١٥٦.

٨ (سورة الرحمن، الآية: ٧.

يقول^(١): "أي كل ما يوزن به الأشياء: من الميزان والمكيال وغيرهما خلقه موضوعاً على الأرض أو المراد الميزان: العدل كما قال تعالى في سورة الحديد: ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾"^(٢).

فمن الملاحظ استعانة الإيجي بما ورد في سورة الحديد لبيان أن من معاني الميزان العدل وهذا ما تناقلته المعاجم، قال صاحب اللسان: "وروى جويبير عن الضحاك أن الميزان العدل"^(٣).

وكما وضح رحمه الله معنى الـ ﴿عُلْفٌ﴾ عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾^(٤) يقول الإيجي^(٥): "أوعية للعلم^(٦) لا يحتاج إلى علم آخر أو عليها غشاوة أو لا نفقه ما تقول كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾"^(٧).

ومن أمثلة ذلك أيضاً وقوفه على معنى ﴿نَبَّأٌ﴾ لإظهار ما في تلك اللفظة من معان بلاغية يطرب لها السامع فيقول عند تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدُهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَبَّأٌ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾^(٨) يقول الإيجي: "نزل حيث نريد، وقد أغنى الله تعالى كلا منهم عن منازل غيرهم... وأعلم أن هذا إظهار لعظمتهم وأنهم في ملك واسع. كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ

(١) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٣٣٤.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٣) ينظر ابن منظور، اللسان، ج١٣، ص٤٤٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٨٨.

(٥) الإيجي، جامع البيان، ج١، ص٢٣.

(٦) ينظر ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٢٧١.

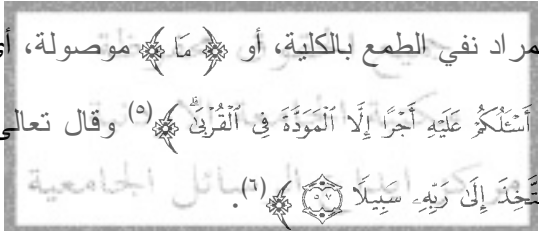
(٧) سورة فصلت، الآية: ٥.

(٨) سورة الزمر، الآية: ٧٤.

بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾^(١) إشارة إلى استيلائه على أرض مصر. وأنها تحت ملكه وسلطانه".^(٢)

وهكذا من خلال ما ذكر من أمثلة لوحظ كيف أن الإيجي استعان بألفاظ القرآن الكريم للوقوف على معنى تلك المفردات مما يزيد لها وضوحا وجلاء.

٢- التأكيد على معنى الآية بما شابهه من آيات في مواطن أخرى.

ومن أمثلة ذلك التأكيد على عدم سؤال الرسل أجرهم وما في ذلك من نفي الطمع عنهم فعند تفسير قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(٣) ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾^(٤) أي شيء سألتكم من أجر التبليغ وأدعي إستحقاقه - فهو لكم -، أي فذلك الشيء ملككم، وأنا معترف بذلك، كما تقول: إن أعطيتني شيئا فخذهُ فالمراد نفي الطمع بالكلية، أو ﴿مَا﴾ موصولة، أي الذي سألتكم فهو لنفعم قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٥) وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾^(٦) 

ومن الأمثلة على ذلك أيضا تأكيده على مسألة الشفاعة عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَلَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾^(٧) حيث قال الإيجي^(٨): "وقال الله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ

١ (سورة يوسف، الآية: ٥٦.

٢ (الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ١٥٤.

٣ (سورة سبأ، الآية: ٤٧.

٤ (الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٦٠.

٥ (سورة الشورى، الآية: ٢٢.

٦ (سورة الفرقان، الآية: ٥٧.

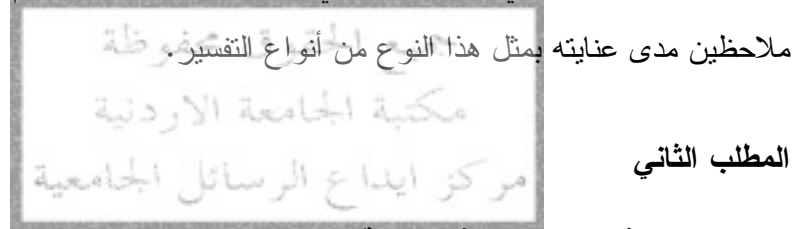
٧ (سورة سبأ، الآية: ٢٣.

٨ (الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٥٣.

مَلِكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُعْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُرِضُ ﴿١﴾ وقال الله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشِيئَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (٢).

ومن الشواهد أيضاً تأكيده على مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَتَهُوتَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ (٣) يقول الإيجي: "يقال فلان من بقية القوم أي من خيارهم، أي هلا كان منهم من فيه خير ينهى عن الفساد وهذا تحريض لأمة محمد عليه الصلاة والسلام كما قال: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ...﴾" (٤).

وبعد فهذه هي أبرز معالمه في تفسير القرآن بالقرآن وفهم مراد الله بما جاء عن الله



منهج الإيجي في تفسير القرآن بالسنة:

سلك الإمام الإيجي في تفسيره منهج الاعتماد على السنة النبوية الشريفة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في شرح وتوضيح كتاب الله عز وجل، يقول الإيجي: "ولكن المسلك في تفسيرنا هذا الاعتماد على المعاني الثابتة عن أنزل عليه الكتاب، المتكلم بفصل الخطاب". (٥).

وهو بهذا يتبع منهج أهل السنة والجماعة من علماء التفسير في فهم القرآن على ضوء السنة المشرفة، مستمدين ذلك من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا

(١) سورة النجم، الآية: ٢٦.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.

(٣) سورة هود، الآية: ١١٦.

(٤) الإيجي، جامع البيان، ص ٣٢٦.

(٥) المرجع السابق، ج ١، ص ٤.

فِيهِ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ وقوله جل من قائل: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٢﴾ ومن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الا إني أوتيت القرآن ومثله معه".^(٣)

لذلك كان لزاماً على المفسر أن يلجأ للسنة في تفسيره للقرآن، هذا وقد اتسم منهج الإيجي في تفسير القرآن بالسنة بعدة أمور منها:

أولاً: الاعتماد على الصحيح من السنة:

يقول الإيجي في مقدمته: "ولكن المسلك في تفسيرنا هذا الاعتماد على المعاني الثابتة عن أنزل عليه الكتاب، المتكلم بفصل الخطاب - صلى الله عليه وسلم - وما نقلنا فيه من شيء إلا بعد تتبع وإطلاع تام"^(٤) وأكد ذلك بقوله: "وأما الأحاديث المذكورة في تفسيرنا فمعظمها من الصحاح الستة وتجد تخريجها مسطوراً في الحاشية عليها".^(٥)

وهذه الحقيقة تتأكد عند الإطلاع على جامع البيان، حيث نجد أن صاحبه أكثر من ذكر الأحاديث المروية في كتب الصحاح وغيرها، وقام بتخريجها في حاشيته على تفسيره، وهذا يدل على سعة إطلاع الإيجي على السنة الشريفة وعلومها، وهذا شرط في المفسر يفقده كثير من المفسرين الذين اعتمدوا في كتبهم على الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

والمواطن التي اعتمد فيها الإيجي على السنة الصحيحة كثيرة أشرت إلى بعضها في الحديث عن مصادره من كتب السنن، ومن الأمثلة في هذا الموطن ما أورده الإيجي من صحيح الإمام مسلم^(٦) عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ ﴿١﴾ يقول: "أي

١ (سورة النحل، الآية: ٦٤.

٢ (سورة النحل، الآية: ٤٤.

٣ (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٤.

٤ (الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٤.

٥ (المرجع السابق، ج ١، ص ٤.

٦ (رواه الإمام مسلم بسنده إلى أبي حازم من حديث طويل عن أبي هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قالوا الجوع.... الحديث،

عن شكر ما أنعم الله به عليكم من لذات الدنيا وفي مسلم ومسنند الإمام أحمد وغيرهما أنه عليه الصلاة والسلام أكل مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهم رطباً وماء بارداً فقال: "هذا من النعيم الذي تسألون عنه".^(٢)

* التنبيه على الضعيف من الروايات.

لم يكتف الإيجي بإيراد الأحاديث الصحيحة، وإنما كان ينبه على الضعيف، كما فعل رحمه الله تعالى من التنبيه على ضعف الرواية المنقولة عن ابن عباس بل على وضعها عند تفسيره قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾^(٣) يقول الإيجي: "يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ" أي أمر الله وحكمه، ففي كل أرض من أرضه وسما من سمائه خلق من خلقه وقضاء من قضائه أما ما يروي عن ابن عباس أن في كل أرض آدم كادنا ونوحاً كنوحنا، ونبي كنبينا، فهو من رواية الواقدي الكذاب، وهو حديث لا شك في وضعه".^(٤)

فلا شك ان الواقدي معروف عند أهل العلم بعلمه بالسيرة ولكنه متروك الحديث وروايته عن ابن عباس خاصة وصفت بأنها من أوهن الطرق قال البيهقي في هذا الأثر: "وهو شاذ بمرة لا أعلم لأبي الضحى عليه متبعاً والله أعلم".^(٥)

ينظر مسلم، بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، باب جواز استنباعه غيره إلى دار من يتق برضاه بذلك ويتحققه تحققاً تاماً واستحباب الاجتماع على الطعام، ج ٢، ص برقم "٢٠٣٨"، ورواه الإمام أحمد بسنده إلى عمار قال: "سمعت جابر بن عبد الله يقول أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رطباً وشربوا ماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا من النعيم الذي تسألون عنه" ينظر الشيباني، أحمد بن حنبل أبو عبدالله، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر، ج ٢، ص ٢٥١، حديث رقم "١٤٨٢٨".

١ (سورة التكاثر، الآية: ٨.

٢ (الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٥٠٨.

٣ (سورة الطلاق، الآية: ١٢.

٤ (الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٩٨.

٥ (ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، طبعة دار الخير، ج ٤، ص ٤٠٧، وقد رواه الحافظ بسنده إلى عطاء بن الثابت عن أبي الضحى عن ابن عباس.

ومن الشواهد على ذلك أيضاً عند تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(١). يقول الإيجي: "نبي مخصوص يدعوهم إلى الهدى أو معناه أنت منذر ولكل قوم هاد يهديهم إذا أراد وهو الله وعن بعض السلف الهادي علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأيضاً في ذلك حديث^(٢) لكن قيل فيه نكارة شديدة"^(٣).

فهاهو يرد هذه الرواية وينبه على نكارتها غير مغتر بنسبتها إلى السلف.

* اعتماده على الإمام ابن كثير في توثيق الروايات.

كان جلّ اعتماد الإيجي في توثيق الرواية أو تضعيفها على ابن كثير، المعروف ببراعته في السنة وعلومها بالإضافة إلى التفسير، يقول الإيجي: "فأعتمد على نقل الشيخ الناقد في علم الرواية عماد الدين ابن كثير فإنه في تفسيره قد تفحص عن تصحيح الرواية وتجسس عن عجزها"^(٤) وبجربها"^(٥).

ومن أمثلة اعتماده على ابن كثير في توثيق الرواية ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَخْرِينَ﴾^(٦). يقول الإيجي: "كل من هلك من لدن آدم وكل من هو حي ومن سيأتي إلى آخر الدنيا، أو المستقدمين في الخير والمبطين عنه، أو المستقدمين في الصف الأول والمستأخرين منه فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما رغب في الصف الأول ازدحموا عليه أو أناساً يستقدمون في الصفوف لئلا يروا النساء وبعضهم

(١) سورة الرعد، الآية: ٧.

(٢) نقله الحافظ ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال لما نزلت إنما أنت منذر ولكل قوم هاد قال: "وضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده على صدره وقال: "أنا المنذر ولكل قوم هاد" وأوماً بيده إلى منكب علي فقال أنت الهادي يا علي بك يهتدي المهتدون من بعدي وهذا الحديث فيه نكارة شديدة ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت طبعة ١٤٠١هـ، ج٢، ص٥٠٣.

(٣) الإيجي، جامع البيان، ج١، ص٣٤٧.

(٤) والعجز القوة مع عظم الجسد والفحل الأعرج الضخم والأعرج كل شيء ترى فيه عقداً والعجرة بالضم كل عقدة في الخشبة ينظر ابن منظور لسان العرب، ج٤، ص٥٤٤، والبجر بالتحريك خروج السرة ونتوها وغلظ أصلها، والأبجر جمع باجر وهو العظيم البطن والبجر العروق المتعقدة في البطن، المرجع السابق، ج٤، ص٤١.

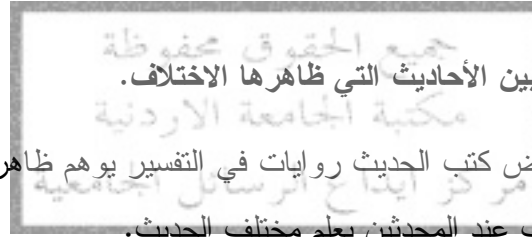
(٥) المرجع السابق، ج١، ص٥.

(٦) سورة الحجر، الآية: ٢٤.

يستأخرون لينظروا إليهن روى الترمذي^(١) والنسائي وابن ماجه وابن أبي حاتم عن أبي الجوزاء عن امرأة حسناء كانت تصلي فتقدم بعض لئلا ينظر إليها، وتأخر بعض لينظروا إليها، إذا سجدوا من تحت أيديهم فنزلت قال الشيخ ابن كثير في هذا الحديث نكارة شديدة".^(٢)

فالإيجي هنا يعتمد أيضاً على ابن كثير في نقد هذه الرواية عن أبي الجوزاء قال الحافظ ابن كثير: "حكي عن ابن معين تضعيفه، وهذا الحديث فيه نكارة شديدة.. والظاهر أنه من كلام أبي الجوزاء فقط ليس فيه لابن عباس ذكر".^(٣)

فمن خلال هذا المثال يتضح عناية الإيجي بابن كثير واعتماده عليه ووثوقه به في مسألة تصحيح الأحاديث وتضعيفها.



ثانياً: التوفيق بين الأحاديث التي ظاهرها الاختلاف. ترد في بعض كتب الحديث روايات في التفسير يوهم ظاهرها التعارض، ولدفع هذا التعارض وجد ما يعرف عند المحدثين بعلم مختلف الحديث.

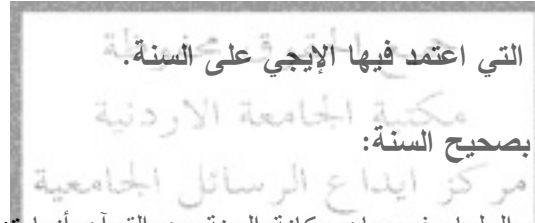
وقد كان للإيجي دور في التوفيق بين مثل هذا النوع من الروايات، فمن ذلك عند بحثه لمسألة سماع الجن للقرآن، هل سمعوه خفية عن الرسول صلى الله عليه وسلم أم أنه ذهب إليهم صلى الله عليه وسلم وكم كان عددهم سبعة أم تسعة وهل كانوا من أشرف نصيبين أم من أشرف الموصل وغيرها، وأين كان استماعهم للقرآن أفي مكة أم الطائف وغيرها، كل هذا

(١) ورواه النسائي بسنده، عن أبي الجوزاء عن بن عباس قال كانت امرأة تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم حسناء... الحديث ينظر النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن السنن الكبرى، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري وزميله، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، ج١، ص ٣٠٢، باب المنفرد خلف الصف ورواه أيضاً، في باب سورة الحجر ج٦، ص ٢٧٣، والترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي بيروت باب "من سورة الحجر"، ج ٥، ص ٢٩٦، ورواه ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، سنن ابن ماجه، دار الفكر، بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ج ١، ص ٣٣٢، باب الخشوع في الصلاة، برقم ١٠٤٦.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج ٢، ص ٣٦٧.

(٣) ينظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت "١٤٠١"، ج ٢، ص ٥٥١، بتصريف يسير.

ورد بروايات مختلفة وبأسانيد مختلفة ذكرها البيهقي في الدلائل والهيثمي^(١) في الزوائد ولا يمكن الجمع بين هذه الروايات إلا بالقول ان استماعهم كان في أكثر من مرة " هذا ما فعله الإيجي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصَتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾^(٢) يقول الإيجي: "والأحاديث الصحاح والحسان بطرق مختلفة تدل على أنه عليه الصلاة والسلام ذهب إلى الجن قصدا فتلا عليهم، والأظهر - كما قاله كثير من العلماء - أن استماعهم القرآن ليس مرة واحدة ولا يمكن التوفيق بين الأحاديث المتضادة إلا بذلك فمرة في طريق الطائف، ومرة في شعاب مكة، ومرة في بوادي المدينة".^(٣)



أ- تأكيد ما في القرآن بصحيح السنة: من المعلوم لدى العلماء في بيان مكانة السنة من القرآن أنها تؤكد ما فيه من الأحكام أو تفصل وتوضح ما أجمل فيه، وقد سلك الإيجي منهج الاعتماد على السنة الشريفة للتأكيد على ما جاء في القرآن الكريم فمن ذلك ما أورده من صحيح السنة في التأكيد على استراق الجن للسمع مما يزيد الآية بيانا وتفصيلاً - فعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَحَفِظْنَهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾^(٤) يقول الإيجي: "فلا يقدر أن يطلع على أحوالها، وفي البخاري^(٥) ان الشياطين يركب بعضهم فوق بعض إلى السماء الدنيا يسترق السمع من

١ (ينظر: الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي القاهرة، بيروت، ١٤٠٧هـ، ج٧، ص١٠٦.

٢ (سورة الأحقاف، الآية: ٢٩.

٣ (الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٢٥٩.

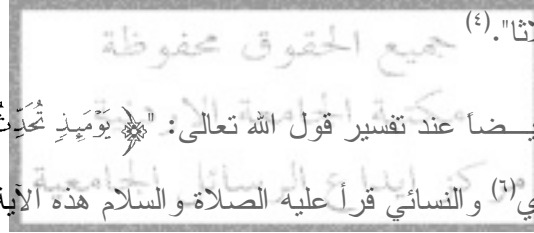
٤ (سورة الحجر، الآية: ١٧.

٥ (رواه البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب السبعا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ، ج٤، ص١٧٢٦، برقم "٤٤٢٤"، باب تفسير سورة الحجر، باب قوله إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين بسنده عن علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن أبي هريرة.. الحديث".

الملائكة فيسمع الكلمة فيلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقبها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقبها وربما يلقبها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء".^(١)

ب- تفصيل ما أجمله القرآن:

كما أن السنة جاءت مؤكدة للقرآن تارة، تجدها أيضا مفصلة لما أجمله القرآن تارة أخرى، وقد اعتنى الإمام الإيجي عناية واضحة في هذا النوع، ومن الشواهد على ذلك، عند تفسيره لقول الله عزوجل: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِمْ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(٢) قال الإيجي: "من كل ما يتقوى به في الحرب، وفي الحديث الصحيح^(٣) ألا



وممن ذلك أيضا عند تفسير قول الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ نُخَبِّرُكَ أَخْبَارَهَا﴾^(٥) يقول الإيجي: "وفي الترمذي^(٦) والنسائي قرأ عليه الصلاة والسلام هذه الآية ثم قال: إن أخبارها: أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا في يوم كذا قال الترمذي حديث حسن صحيح وفي معجم الطبراني حديث يدل صريحا على ما قلنا".^(٧)

فما أجمل في الآيتين السابقتين جاءت السنة الصحيحة مفصلة له مما يزيد الآية وضوحاً.

(١) الإيجي، جامع البيان، ج١، ص٣٦٣.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

(٣) رواه مسلم، باب فضل الرمي والحث عليه ودم من علمه ثم نسيه، بسنده عن هارون بن معروف.. الحديث ج٢، ص٥٢٢، برقم "١٩١٧"، ورواه البخاري باب التحريض على الرمي وقول الله تعالى: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة"، بسنده عن عبد الله بن مسلمة...، ج٢، ص١٠٦٢، برقم "٢٧٤٣".

(٤) الإيجي، جامع البيان، ج١، ص٢٦٠.

(٥) سورة الزلزلة، الآية: ٤.

(٦) ينظر الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي باب: "ومن سورة إذا زلزلت الأرض"، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، ج٤، ص٦١٩، برقم "٣٣٥٣".

(٧) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٥٠٤.

ج- بيان ما أبهمه القرآن:

ومن الشواهد على ذلك ما نقله من صحيح السنة في بيان معنى قوله تعالى ﴿يُظْلِمُ﴾ عند قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْأَمَنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (١) يقول الإيجي: "وقد صح^(٢) أنها لما نزلت قد شق على الصحابة وقالوا أينما لم يظلم نفسه فقال عليه الصلاة والسلام: "ليس كما تظنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح ﴿يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾ إنما هو الشرك وقد فسره السلف بذلك". (٣)

ومن الأمثلة الدالة على ذلك أيضاً بيانه للمقصود من الصلاة الوسطى في قول الله تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى ٱلصَّلَوٰتِ وَٱلصَّلَوةِ ٱلْوَسْطَىٰ وَفُؤِمُوا لَٰهُ قَنِينِينَ﴾ (٤) وما نقله من صحيح السنة في بيان المراد فقال ﴿وَٱلصَّلَوةِ ٱلْوَسْطَىٰ﴾ صلاة العصر وعليه الأكثر وإنها بين صلاتي النهار وصلاة الليل وقد صح^(٥) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يوم الأحزاب: شغلونا عن صلاة الوسطى صلاة العصر رواه مسلم وغيره بروايات متعددة". (٦)

هـ - الاستعانة بالسنة في فهم مفردات القرآن:

كما فعل رحمه الله في تفسيره لمعنى الـ ﴿رَانَ﴾ عند تفسير قول الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٧) يقول الإيجي: "أي ليس الأمر كما يقوله: من أن ذلك

١ (سورة الأنعام، آية: ٨٣.

٢ (رواه البخاري، باب صدق الإيمان وإخلاصه، ج ١، ص ١١٤، برقم ١٢٤، وفي باب ولم يلبسوا إيمانهم بظلم برقم ٤٣٥٣.

٣ (الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ١٩٩.

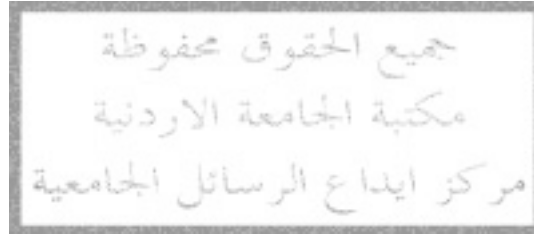
٤ (سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.

٥ (رواه مسلم، في باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، ج ١، ص ٤٢٦، برقم ٦٢٧، وفي باب التعليل في تفويت صلاة العصر، ج ١، ص ٤٢٦، برقم ٧٢٦، والبخاري، في باب الدعاء على المشركين بالهزيمة، ج ٢، ص ١٠٧١، برقم ٢٧٧٣.

٦ (الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٦٠.

٧ (سورة المطففين، الآية: ١٤.

أساطير الأولين بل كثرة ارتكابهم الأثام صارت سبباً لحصول الرين على قلوبهم ولهذا تفوه بهذا المقال وكذب به وفي الحديث^(١): "إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه وذلك الران الذي ذكره الله في القرآن ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ﴾ رواه الإمام أحمد وابن جرير والترمذي وقال: حديث حسن ولفظ الترمذي والنسائي وابن ماجه إن العبد بدل إن المؤمن وعن كثير من السلف: هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب فيموت".^(٢)



(١) رواه الحاكم، محمد بن عبدالله أبو عبدالله النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، دار الکتب العلمیة، بیروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، تحقیق: مصطفى عبد القادر عطا، ج٢، ص٥٦٣، باب تفسیر سورة المطففین، برقم ٣٩٠٨، والترمذی محمد بن عیسیٰ أبو عیسیٰ السلمی، الجامع الصحیح سنن الترمذی، دار إحياء التراث العربی، بیروت، تحقیق: أحمد محمد شاکر وآخرون، ج٥، ص٤٣٤، باب ومن سورة ویل للمنطففین برقم ٣٣٣٤، وابن ماجه محمد بن یزید أبو عبدالله القزوينی فی سننه، طبعة دار الفکر، بیروت، تحقیق: محمد فؤاد عبد الباقي، باب ذکر الذنوب، ج٢، ص١٤١٨، برقم ٤٢٤٤، النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، السنن الكبرى، دار الکتب العلمیة، بیروت، الأولى ١٤١١هـ، تحقیق: عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، ج٦، ص٥٠٩، باب سورة المطففین، برقم ١١٦٥٨.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٤٧٣.

المطلب الثالث

منهج الإيجي في تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.

أولاً: أقوال الصحابة:

إن الرجوع الى أقوال الصحابة^(١) من أسس التفسير التي ينبغي على المفسر الأخذ بها، وذلك لأن الصحابة رضوان الله عليهم أعرّف الناس بما تضمنه كتاب الله العزيز من معان جليّة، ومقاصد سامية بما خصهم الله تعالى به من سلامة الفطرة ونقاء النفس ونور البصيرة، وأسباب العلم، وتمكن من لغتهم العربية ومعرفتهم لقوانينها وأساليبها في البيان، فقد كانوا عرباً خالصاً يفهمون كتاب الله ويدركون معانيه ومراميه، بمقتضى سليقتهم العربية هذا بالإضافة إلى أن صحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتلمذتهم عليه واستماعهم منه ومشاركتهم له بالجهاد والدعوة الى الله تعالى، مكنهم من معرفة كثير من الحوادث التي نزلت فيها آيات القرآن الكريم.^(٢)

جميع الحقوق محفوظة

وقد تفاوتت الصحابة - رضوان الله عليهم - في مقدار فهمهم للقرآن، ومعرفتهم لتفسير آياته، قال مسروق: "جالست أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فوجدتهم كالإخاد - يعني الغدير - فالإخاد يروي الرجل، والإخاد يروي الرجلين، والإخاد يروي العشرة، والإخاد يروي المائة، والإخاد لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم".^(٣)

وقد اختلف العلماء في حجية قول الصحابي فذهب بعض العلماء إلى اعتبار قول الصحابي مطلقاً في التفسير وهو قول الحاكم، في المستدرک^(٤)، وأن له حكم المرفوع. وذهب

(١) الصحابي: "هو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به ومات على الإسلام" وهذا التعريف هو من أصح التعاريف، وقد أشار إلى ذلك الإمام ابن كثير بقوله: "والصحابي من رأى الرسول صلى الله عليه وسلم في حال إسلام الراوي وإن لم تطل صحبتته له وإن لم يرو عنه شيئاً" ينظر: محمد أديب صالح، لمحات في أصول الحديث، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ، ص ٢٥، وينظر الحاكم النيسابوري، ابوعبد الله محمد بن عبد الله، معرفة علوم الحديث، تعليق: معظم حسين، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٣٩٧هـ، ص ٢٢. وينظر السخاوي، محمد، فتح المغيب، شرح ألفية الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٣، ص ٩٣، وينظر ابن حجر، أحمد بن علي، نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص ٢١، وينظر الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، الكفاية في معرفة أصول الرواية، تحقيق: أحمد عمر هاشم، الطبعة الأولى ١٩٨٦هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، ص ٦٨-٦٩.

(٢) دراسة في مآثورات الصحابة وقيمتها في التفسير لأستاذنا الفاضل: الدكتور أحمد فريد أبو هزيم، نسخة مصورة من كتاباته.

(٣) ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ج ٤، ص ٣٤٣.

(٤) الحاكم، محمد بن عبد الله، المستدرک على الصحيحين، وبذيله التلخيص للذهبي، المطبوعات الإسلامية، حلب، ج ١، ص ٢٧.

آخرون إلى أن قول الصحابي لا يحمل حكم المرفوع إلا إذا كان في بيان أسباب النزول ونحوه مما لا مجال للرأي وإلا فهو من الموقوف^(١).

وعلى كل إذا احتف التفسير الموقوف على الصحابي بقرائن معنوية أو لفظية تدل على رفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يكون حجة بلا منازع فيتعين الأخذ به ومن هذه القرائن^(٢): قول الصحابي الذي لم يعرف بالأخذ عن الإسرائيليات مما ليس للرأي فيه مجال وليس له تعلق ببيان لغة أو شرح غريب بل هو من الأمور التي لا تعرف إلا عن طريق الوحي ولا تؤخذ إلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كأسباب النزول وأخبار الغيب وغيرها، وقول الصحابي رأيت رسول الله يفعل كذا، وفعل الصحابي مما لا دخل للرأي، ومنها أيضاً ما سكت عنه رسول الله من فعل شيء في زمانه.

ثانياً: أقوال التابعين^(٣) جميع الحقوق محفوظة

وأما التابعون فقد حملوا عن الصحابة رضوان الله عليهم مآثور التفسير وأضافوا إليه ما فتح الله به عليهم وقد استعان الإيجي بها جميعاً لتوضيح المعاني القرآنية واستنباط الأحكام الشرعية وغيرها مما يعينه على فهم كتاب الله العزيز.

وقد اختلف العلماء في حكم الأخذ بتفسير التابعين؛ وهل هو من باب التفسير بالمآثور والذي يسلم به؟ أم هو من باب التفسير بالرأي والذي يؤخذ منه ويرد؟

فذهبت طائفة: إلى أنه لا يجب الأخذ بتفسير التابعين^(٤) يقول ابن تيمية - رحمه الله -: "قال شعبة بن حجاج وغيره: "أقوال التابعين في الفروع ليست حجة، فكيف تكون حجة في التفسير"، يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم وهذا صحيح، أما إذا اجتمعوا على الشيء فلا يرتاب مرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض، ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن، أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة

١ (الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: فواز زمزلي، الطبعة الأولى ١٩٩٥م، دار الكتاب العربي، بيروت، ج١، ص٢٧، ١٢٣، ٥٤٢.

٢ (دراسة في مآثورات الصحابة وقيمتها في التفسير لأستاذنا الفاضل: الدكتور أحمد فريد أبو هزيم.

٣ (التابعي: هو من لقي الصحابي وروى عنه وإن لم يصحبه". ينظر ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، مقدمة ابن صلاح في علوم الحديث، تعليق: صلاح محمد عويضة، الطبعة الأولى ١٩٩٥م، دار الكتب العلمية، بيروت، ص١٧٩.

٤ (منهم: ابن عقيل، ورواية عن الإمام أحمد، وشعبة بن حجاج ينظر: الذهبي، محمد حسين التفسير والمفسرين، ضبط أحمد الزعبي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ج١، ص٨٧.

في ذلك".^(١) والأخذ بقول التابعين في التفسير هو مذهب جمهور المفسرين لأن التابعين تلقوا علمهم عن الصحابة فمجاهد - مثلاً - يقول: "عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية وأسأله عنها"، أما قتادة فيقول: "ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئاً"، ومثل ذلك عن الشعبي إذ يقول: "والله ما من آية إلا وقد سألت عنها"^(٢) وبالجملة فقول التابعين في أسباب النزول، والنسخ، والقراءة، لا يقبل مطلقاً ما لم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أو إلى أحد الصحابة. أما قوله في التفسير فما وافق اللغة العربية وكان على قواعدها ومعانيها، فيقبل من التابعي، ولكن من غير تسليم مطلق له فيه.

ثالثاً: أبرز معالم منهج الإيجي في التفسير بأقوال الصحابة والتابعين.

١ - التوثيق:

اتسمت المنهجية التي سار عليها الإيجي في استشهاده بأقوال الصحابة والتابعين بالاستقلالية فهو لا يقبل قولاً دون أن يعرضه على النظر فيمحصه سنداً وممتناً، فإذا ثبت لديه صحة هذا القول أخذ دون تردد وإلا رده ومن الأمثلة الدالة على ذلك ما أورده عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّيَ أَلْفَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٣). يقول الإيجي: "وقد ذكر أكثر المفسرين بل كلهم قصة الغرانيق بروايات كلها مرسلة أو منقطعة إلا رواية واحدة عن ابن عباس فإنها متصلة وقد أنكر كثير من العلماء هذه الحكاية وبالغوا في الإنكار وطعنوا في الرواية وقال بعضهم إنها من وضع الزنادقة..."^(٤)

(١) ينظر ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، مصدر سابق، ص ٥١.

(٢) الذهبي، التفسير والمفسرون، مرجع سابق، ج ١، ص ٨٧.

(٣) سورة الحج، الآية: ٥٢.

(٤) وهي "أنه عليه السلام تمنى أن يأتيه من ربه ما يقرب بينه وبين قومه رجاء أن يسلموا فكانوا يوماً في محضر قریش إذ أنزل عليه سورة النجم فأخذ يقرأها فلما بلغ ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان في قراءته فسبق لسانه سهواً أو تكلم الشيطان فحسب أن القارئ رسول الله أو نام نومة فجرى على لسانه تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى فلما وصل قراءته إلى السجدة سجد فسجد من في النادي من المسلم والمشارك وفرح المشركون فأتاه جبرئيل وقال ماذا صنعت لقد ثلوت مالم أتك به فحزن حزناً وخاف خوفاً فعزاه بتلك الآية..."، الإيجي، جامع البيان، ج ٢، ص ٥٢.

وفي صنيعة هذا يقف موقف العلماء المحققين الذين تصدوا لمثل هذه الروايات المكذوبة التي لا تصح من قريب أو بعيد قال الحافظ ابن حجر: "وإنما يروى هذا من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والكلبي متروك ولا يعتمد عليه"^(١) وقال ابن كثير: "إن طرق هذه الرواية كلها مرسلة ولم أرها مسندة من وجه صحيح"^(٢).

ولكن مما لوحظ على الإيجي وقوعه كغيره من المفسرين في بعض السقطات. من ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ تَبَاؤُا الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَاَنسَلَخَ مِنْهَا فَاتْبَعَهُ الشَّيْطٰنُ فَكَانَ مِنَ الْغٰوِيْنَ﴾^(٣) قول الإيجي: "هو رجل من بني اسرائيل والأكثر - صرح بذلك ابن مسعود وابن عباس - على أنه بلعم بن باعورا عالم بإسم الله الأعظم سألوا عنه أن يدعو على موسى وجنوده فأبى ثم ألحوا فألحوا وجاءه بالرشوة فقبل فدعا عليهم فقبل الله، ثم دعا موسى عليه فنزع عنه الإيمان والإسم الأعظم وقال بعضهم ما يسر الله له الدعاء على موسى لكن قالوا لهم أخرجوا النساء تستقبلهم فعسى أن يزنوا ففعلوا فوقع واحد من بني اسرائيل في الزنا فنزل عليهم الطاعون فقتل أحد علمائهم الزاني فكشف عنهم العذاب، قيل فحسب من هلك في الطاعون في ساعة من النهار فوجدوا سبعين ألفاً - كذا رواه ابن جرير^(٤) وغيره"^(٥).

وقد اعتمد الإيجي على ابن جرير في نقل مثل هذه الروايات دون تمحيص وكان عليه أن يظهر تفسيره من مثل هذه الروايات التي نقلها السدي والواقدي عن ابن عباس.

٢- ذكر تفسير التابعين مع تفسير الصحابة في رواية واحدة.

وهذا في الأعم الأغلب، كما فعل رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ

الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَابًا﴾^(٦) يقول الإيجي: "عن عكرمة وأبي العالية والضحاك والحسن وغيرهم"

(١) ينظر: ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، الطبعة ١٣٧٩هـ، ج ٨، ص ٤٢٩.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ، ج ٢، ص ٢٣٠، وينظر الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٧، ص ١١٥، ٧١.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٥.

(٤) ينظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، دار الفكر، بيروت، تاريخ الطبعة ١٤٠٥هـ، ج ٩، ص ١٢٠ و ١٢٢، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٢٦٥ مرجع سابق.

(٥) الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٢٤٢.

(٦) سورة النبا، الآية: ١٤.

أن المعصرات" السحاب وعن ابن عباس وقتادة ومجاهد ومقاتل وغيرهم: "أنها الرياح وعن الحسن وقتادة أيضاً أنها السماوات".^(١)

ومن الشواهد على ذلك أيضاً عند قول الله تعالى: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾^(٢)، يقول: صفة لعمد يعني لها عمود غير مرئية، أو استئناف أي ترونها لا عمود لها، وعن الحسن وقتادة: ليس لها عمود مرئية ولا غير مرئية عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة لها عمود لكن لا ترونها".^(٣)

وهذا النقل الذي يقرن فيه الإيجي أقوال الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين يحمل دلالة عظيمة وهي إما أن يكون التابعي في تفسيره مصدراً عن الصحابي المذكور معه أو منفقاً معه بما حمله عن الصحابي.

٣- الالتزام بكلام السلف إذا نقل الاتفاق بينهم.

ومن الشواهد على ذلك عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾^(٤) يقول الإيجي: "هو الدخان الذي هو من علامات قرب القيامة البين الواضح الذي يراه كل أحد وإليه ذهب حبر الأمة ابن عباس وكثير من الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم مع الأحاديث من الصحاح والحسان".

ومن ذلك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾^(٥) وما أدركنا ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ يقول الإيجي: "والأصح أنها من خصائص هذه الأمة وأنها في رمضان وأنها في العشر الأواخر وأنها في أوتارها وأنها تختلف في السنين جمعاً بين الأحاديث ولا خلاف بين السلف في أنها باقية إلى يوم القيامة".^(٦)

فهو بهذا يحاول الرد على من زعم من الفرق أن ليلة القدر رفعت بالكلية على ما فهموه من الحديث الذي فيه "رفعت" فإن المراد رفع علم وقتها بعينها لأن من تنمة الحديث "فالتمسوها

(١) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٤٥٦.

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٠.

(٣) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٤.

(٤) سورة الدخان، الآية: ١٠.

(٥) سورة القدر، الآيات: ١-٣.

(٦) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٥٠١.

في التاسعة أو السابعة، أو الخامسة^(١). وهذا مما لا خلاف فيه بين السلف - كما أوضحه الإيجي - ملتزماً بما اتفقوا عليه.

رابعاً: المجالات التي استفاد الإيجي بها من أقوال الصحابة والتابعين:

اهتم الإيجي بما ورد عن السلف من تفسير لكتاب الله عز وجل وأفرغ وسعه في ذلك فجاء تفسيره مشتملاً على كثير من مآثوراتهم وقد أفاد الإيجي من أقوالهم رضوان الله عليهم في مجالات عدة منها:

١ - الاستدلال بأقوالهم في بيان معاني المفردات.

فهم أعلم الناس بلغة العرب وإذا ثبت عنهم تفسير لمفردة من كتاب الله فتفسيرهم هذا من القوة بمكان، لذا اعتمد عليه الإيجي في بيان معاني مفردات القرآن فمن ذلك استدلاله بما ورد عن كثير من السلف في بيان معنى قوله تعالى: ﴿مُرْعَمًا﴾ عند تفسيره لقول الله تعالى ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾^(٢) يقول الإيجي في تفسيرها: تمتعاً يراغم به الأعداء وعن كثير من السلف أن المراغم التحول من أرض إلى أرض وعن بعضهم مترحزحاً عما يكره^(٣).

وما ذكره الإيجي رحمه الله هنا عن السلف نقله أهل هذه الصنعة قال الفراء: "المراغم: المضرب والمذهب من الأرض"^(٤) وبهذا المعنى نقله صاحب اللسان فقال: "هو المضرب من بلد إلى بلد"^(٥).

ومن الشواهد على ذلك أيضاً ما ورد عن ابن مسعود في بيان معنى ﴿لَهُوَ الْحَدِيثُ﴾^(٦) الوارد في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا

(١) روى البخاري في صحيحه عن محمد بن المثنى...، عن عبادة بن الصامت قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم ليخبرنا بليلة القدر، فتلاحى رجلان من المسلمين، فقال خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان ففرغت وعسى أن يكون خيراً لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة" باب رفع معرفة ليلة القدر لتلاحى الناس الصحيح، ج٢، ص٧١١، برقم ١٩١٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٠٠.

(٣) الإيجي، جامع البيان، ج١، ص١٤٠.

(٤) ينظر الجوهري، مختار الصحاح، ج١، ص١٠٥.

(٥) ينظر ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٢٤٧.

﴿هُرُوا أُولَئِكَ هُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(١) يقول الإيجي: "من يحب الغناء ويختاره والمزامير على حديث الحق أو يشتري المغنيات ويرغب الناس في سماعها أي ذات لهو الحديث أو نزلت فيمن اشترى كتب أخبار سلاطين العجم ويحدث بها قريشا فيختارون استماعه على استماع القرآن... وقد فسره أكثر الصحابة بما فسرناه أو لا قال ابن مسعود: "هو الغناء والله الذي لا اله غيره يرددها ثلاث مرات".^(٢)

ومن ذلك أيضاً وقوفه على المقصود بقوله تعالى ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ عند تفسيره للآية الكريمة: ﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾^(٣) يقول الإيجي: "أشباههم يعني احشروا عابدي الصنم بعضهم مع بعض وعابدي الكواكب كذلك هذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والسدي وغيرهم وعن عمر "صاحب كل ذي ذنب مع صاحب ذلك الذنب" أو قرناتهم من الشياطين أو نساءهم المشركات وهذا أيضاً منقول عن ابن عباس والمعروف الصحيح عنه الأول".^(٤)

٢- الاستدلال بأقوالهم في بعض المسائل المتعلقة بعلوم القرآن.

كأسباب النزول أو المكي والمدني وغيرها من المسائل.

فمن أمثلة المكي والمدني ما ذكره الإيجي من خلاف حول مكية سورة محمد عند تعرضه لتفسيرها مرجحاً كونها مدنية منكرًا على من ذهب إلى القول بأنها مكية معتمداً في ذلك على معرفته بخصائص المكي والمدني وبما ورد عن أكثر السلف في بيان ذلك حيث يقول: "هذه السورة مدنية عند الأكثر. وقال الضحاك وابن جبير والسدي مكية وهذا غريب منهم لأنها من أشد ما يكون في الحز على القتال وجهاد الكافرين. ولم يكن شيئاً من ذلك بمكة. وقال ابن عباس وقتاده إلا آية: ﴿وَكَانَ مِنْ قَرَبِهِ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرِينِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْتَهُمْ فَلَا تَأْخِذْ بِهِمْ﴾^(٥) فإنها نزلت حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم مهاجراً وجعل ينظر إلى البيت".^(٦)

١ (سورة لقمان، الآية: ٦.

٢ (الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٤.

٣ (سورة الصافات، الآية: ٢٢.

٤ (الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٩٤.

٥ (سورة محمد، الآية: ١٣.

٦ (الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٢٦٢.

ومن ذلك أيضاً عند تفسيره لسورة التغابن: "حيث قال: "مختلف فيها قال الأكثرون في سورة التغابن: مدنية وقال ابن عباس وغيره: مكية إلا آيات من آخرها".^(١)

ومن الشواهد على ذلك استدلاله بما ورد عن ابن عباس في بيان مدنية سورة الحديد وذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ آخِذٍ﴾^(٢) يقول الإيجي: "أي عند ذكر الله والموعظة وسماع القرآن عن ابن عباس رضي الله عنهما" أن الله تعالى استبطن قلوب المهاجرين فعاتبهم بهذه الآية على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن وفي بعض الروايات^(٣) على رأس خمس عشرة سنة وهذا دليل على أن السورة مدنية".^(٤)

٣- الاستدلال بأقوالهم في بعض المسائل الفقهية.

كاستدلاله بأقوالهم ومذاهبهم عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجِدُوهُمْ ثَمَنِينَ جَلْدًا وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٥) إلا الذين أتوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم^(٥) يقول الإيجي: "فحاصله اجلدوهم إذا لم يأتوا بأربعة شهداء ولا تقبلوا أبداً شهادتهم إلا التائبين فاقبلوهم بعد التوبة - وهذا مذهب مالك والشافعي وأحمد وصرح به سعيد بن المسيب وجماعة من السلف وعند من قال: قوله ﴿أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ مستأنف غير داخل في حيز جزاء الشرط والاستثناء من ﴿الْفَاسِقُونَ﴾ يكون محله النصب

(١) المرجع السابق، ج٣، ص٣٩١.

(٢) سورة الحديد، الآية: ١٦.

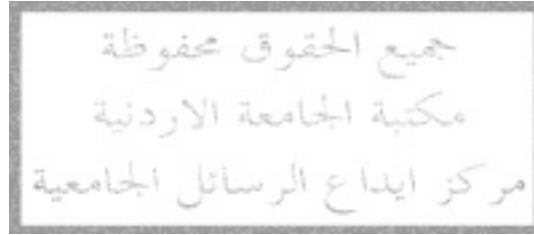
(٣) روى الإمام مسلم في "باب في قوله تعالى: "ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله" بلفظ آخر فقال حدثني يونس بن عبد الأعلى الصدفي، أخبرنا عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال عن عون بن عبد الله عن أبيه أن بن مسعود قال: "ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية "ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله" إلا أربع سنين، ج٤، ص٢٣١٩، رقم "٣٠٢٧"، والبخاري، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، البحر الزخار، بتحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، باب قوله تعالى: "ألم يأن للذين آمنوا" مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم، بيروت، المدينة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، ج٤، ص٢٧٥، برقم "١٤٤٣"، وينظر النسائي في سننه، باب سورة الحديد، ج٦، ص٤٨١، برقم ١١٥٦٨.

(٤) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٣٥٦.

(٥) سورة النور، الآية: ٤،٥.

ويحكم برد شهادته بعد التوبة ايضاً وهو مذهب بعض السلف - كقاضي شريح والنخعي وسعيد بن جبير ومكحول وهو مذهب أبي حنيفة".^(١)

فالإيجي تعرض في هذا المثال إلى مذاهب السلف الفقهية مستدلاً بأقوالهم في بيان حكم جلد القاذف للمحصنة وقبول شهادته من عدمها فبعد أن بين ما على القاذف من عقوبة الجلد، توقف عند قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا...﴾ الآية، ليفصل القول في ما ذهب إليه السلف من آراء فقهية مبينا مبتناهم من اللغة وغيرها.^(٢)



(١) الإيجي، جامع البيان، ج٢، ص٦٩.

(٢) فيشير إلى أن الاستثناء الحاصل في الآية إما أن يكون عائداً على الجملة الأخيرة فقط فترفع التوبة الفسق، ويحكم بقبول شهادتهم، وهذا ما صرح به سعيد بن جبير وغيره من أئمة السلف كما بين ذلك الإيجي، ومن ذهب إلى أن قوله تعالى "إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا" غير داخل في حيز الشرط فإنه يحكم برد شهادته دائماً حتى ولو أنه تاب وهذا ما أشار إليه الإيجي من أنه مذهب سعيد بن جبير ومكحول وغيرهم من السلف.

المبحث الثاني

موقف الإيجي من التفسير بالرأي^(١)

لم يكتف الإيجي رحمه الله تعالى في تفسيره بالجانب النقلي عن سلف هذه الأمة بل أضاف إلى هذا الموروث العظيم شيئاً من نتاج العقل والاجتهاد، محاولاً بذلك الجمع بين المأثور والمعقول في تفسيره، يقول الإيجي: "نعم اجتهد غاية الاجتهاد في تنقيح الكلام وللمجتهد أجر وإن حرم إصابة المرام"^(٢) ويقول أيضاً: "وأدرجت فيه ما سمح به خاطر الفاتر أو سنح للنظر القاصر، وقلمنا تجد آية إلا وقد رمزت في تفسيرها إلى دفع إشكال أو إلى تحقيق مقال... وما نقلنا بصيغة أو فما هو إلا للسلف، وما نقلنا بصيغة قيل فما هو إلا من اختراعات المتأخرين وما ظفرنا به من نقل"^(٣)

وقد وفى بما عقده في مقدمته على نفسه والتزم هذا المنهج في تفسيره، إذ نجده ضمنه التفسير بالمأثور والرأي فجاء ثروة حافلة بالنقول والآثار والروايات والأحاديث وأقوال السلف من الصحابة والتابعين وإلى جانب ذلك تضمن آراء المفسرين وأهل اللغة وغيرهم من أهل التحقيق المتأخرين.

وفيما يلي أبرز معالم منهجه في ذلك:

١. عرضه تفسير أهل اللغة جنباً إلى جنب مع المأثور. وجعلهما في سلك واحد يقوي

أحدهما الآخر:

كما فعل رحمه الله في بيان معنى ﴿السفه﴾ الواردة في قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْعَبْ

عَنْ مَلَأَ إِبْرَهُمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٤)

(١) وهو تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لعلوم اللغة ووجوه دلالتها ووقوفه على الأدوات التي يحتاجها المفسر من العلوم النقلية والعقلية كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وغير ذلك، أبو زهرة، محمد، المعجزة الكبرى، ص ٥٩٧، ينظر السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتيقان في علوم القرآن، ج ٢، ص ١٢٠٩.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص أ.

(٣) المرجع السابق، ج ١، ص ب.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٣٠.

يقول الإيجي: "سفه نفسه أي خسرها أوجهل نفسه فلم يعلم أنها مخلوقة لله ويجب عليها عبادة خالقها وعن المبرد سفه بكسر الفاء متعد وفي الحديث^(١): "الكبر أن تسفه الحق وتغمط الناس"^(٢) فالإيجي نقل رأي المبرد جنبا إلى جنب مع ما صح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن أمثلة ذلك أيضاً وقوفه على معنى ﴿عِضِينَ﴾ وبيان أصلها واشتقاقها جنبا إلى

جنب مع ما نقله عن السلف في بيان معناها فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ

الْمِيثُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾^(٣)،

يقول الإيجي: "أي جعلوا كتبهم المنزلة عليهم أجزاء فأمنوا ببعض وكفروا ببعض أو معناه اقتسموا كتبهم وجزؤه أجزاء فأمنوا ببعض، وكفروا ببعض فعلى هذا من القسمة لا من القسم والقرآن يطلق على جميع الكتب السماوية وعن بعضهم هم الذين اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم ويجزءون القرآن يقولون سحراً ويقولون مفترى ويقولون أساطير الأولين فأنزل الله تعالى بهم خزيًا فماتوا شر ميتة أو اقتسموا القرآن منهم من قال سحر ومنهم من قال كذب ومنهم من قال أساطير الأولين، فعلى هذا الذين جعلوا القرآن عضين بيان للمقتسمين، وهو جمع عضة وأصلها عضوة، فعلة من عضى الشاة إذا جعلها أعضاء وعن عكرمة العضة السحر بلسان قريش.^(٤)

فالإيجي رحمه الله ينقل أقوالاً عدة في بيان معنى قوله تعالى ﴿عِضِينَ﴾ ثم في ختام

هذه النقول يلجأ إلى اللغة وما نقل عن السلف في بيانها فهو يرى أن اللغة هي الظهير للتفسير بالمأثور.

(١) رواه بلفظه ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ، تحقيق شعيب الأرنؤوط، باب ذكر الأخبار عن جواز تحسين المرء ثيابه ولباسه، ج ١٢، ص ٢٨١، برقم "٥٤٦٧"، ورواه مسلم بلفظ آخر "الكبر بظر الحق"، باب تحريم الكبر وبيانه، ج ١، ص ٩٣، برقم ٩١.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٣٣.

(٣) سورة الحجر، الآية ٨٩-٩١.

(٤) الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٣٧٢.

٢. دفع الإشكال المتوهم بين الآيات.

قد يتوهم البعض ممن قصر فهمه عن إدراك معاني القرآن، أنه قد تتعارض آياته وتتناقض كما فعل كثير من المستشرقين. والحق أن كلام الله تعالى يصدق بعضه بعضاً قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (١) ومن هنا اهتم الإيجي بإزالة التعارض المتوهم كما ذكر ذلك في التمهيد للمبحث حيث قال: "وقلما تجد آية إلا وقد رمزت في تفسيرها إلى دفع إشكال أو إلى تحقيق مقال". فعلى سبيل المثال قد يظن بعضهم أن هناك تعارضاً بين قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ (٢) وقوله تعالى: ﴿فَرَبِّكَ لَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٣) ويحل الإيجي هذا الإشكال المتوهم بأحد أمرين إما باختلاف المواطن يوم القيامة أو أن يكون السؤال سؤال توبيخ لأن الله تعالى أعلم بذلك منهم، فعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ (١)، يقول الإيجي: "أي لا يسأل إنس عن ذنبه ولا جان وذلك في موطن خاص" قال تعالى في سورة المرسلات: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (٤) وَلَا يُؤذَنُ لَهُمْ فَيَعْبَرُونَ (٥) ﴿ثُمَّ يَسْأَلُونَ﴾ قال تعالى في سورة الحجر: ﴿فَرَبِّكَ لَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٦) أو ليس سؤال علم بل سؤال توبيخ عن ابن عباس: "لا يسأله: هل عملت كذا وكذا لأنه أعلم بذلك منه. لكن يقول: لم عملت كذا وكذا" (٧)

ومن الأمثلة أيضاً على ذلك وقوفه على الإشكال المتوهم بين قوله تعالى: ﴿لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ (٨) وبين قوله تعالى ﴿مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ﴾ (٩) فعند تفسيره لقول الله تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ (١٠) يقول الإيجي: "فلا تنافي بين هذه الآية وقوله تعالى: ﴿لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ (٨)

(١) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٣٩.

(٣) سورة المرسلات، الآيات: ٢٥، ٢٦.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٩٢.

(٥) الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٣٣٨.

(٦) سورة محمد، الآية: ١١.

رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقَّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَسِينِ ﴿١﴾ (١) لأن المراد من المولى في تلك الآية: الناصر وفي هذه: المالك المتصرف (٢).

٣. توجيه الأقوال المنقولة وتعقب أقوال المفسرين وتحقيقها.

فهو يتحقق مما ينقل فإن وجد خلافاً نظر في المسألة معملاً بها رأيه وخصوصاً إذا كان الأمر يتعلق بحديث النبي صلى الله عليه وسلم مستنداً في ذلك على أسس عدة منها:
أ- استناده على الصحيح الثابت من السنة ورد ما سواه.

ومن الشواهد على ذلك ما فعله رحمه الله تعالى عند تفسير قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ ﴿٣﴾ يقول الإيجي: "ثم اعلم أنه قد ورد في الصحيحين أن عائشة رضي الله عنها قالت: أنا أول من سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله: ﴿لَقَدْ رَأَى بِالْأَفُقِ الْمَيِّينِ﴾ ﴿٤﴾، وقوله تعالى ﴿لَقَدْ رَأَاهُ نَزَّلَهُ أُخْرَى﴾ ﴿٥﴾، فقال: "إنما ذاك جبريل لم أراه في صورته إلا مرتين" (٦). وفي مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: هل رأيت ربك؟ قال: "نور أنى أراه" (٧). وفي رواية لغير مسلم: رأيت نوراً. وكان سؤال عائشة بعد الإسراء فلا يمكن أن يقال: كان نفي الرؤية قبل الإسراء بدليل قولها أنا أول من سأل عن تلك الآية، وما كانت هذه الآية إلا بعد الإسراء بلا خلاف من أحد فلا يمكن أن يقال: كان نفي الرؤية قبل الإسراء. وما قيل أنه عليه الصلاة والسلام خاطبها على قدر عقلاها: فخطأ مردود فإنه يلزم على ما نقلنا من الصحيحين أنه - صلى الله عليه وسلم - فسر القرآن

١ (سورة الأنعام، الآية: ٦٢.

٢ (الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٢٦٥.

٣ (سورة النجم، آية: ١٨.

٤ (سورة التكوير، الآية: ٢٢.

٥ (سورة النجم، الآية: ١٢.

٦ (ينظر: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، ج١، ص١٥٩، باب في ذكر سدرة المنتهى برقم "١٧٧".

٧ (رواه مسلم بسنده إلى قتادة عن عبد الله بن شقيق عن أبي ذر: "ينظر صحيح مسلم، ج١، ص٢٦١، باب في قوله عليه السلام نور أنى أراه وفي قوله رأيت نوراً، برقم "١٧٨".

على ما هو خطأ وكذب، لأنه قال لها إنما ذاك جبريل ولم يتفوه بذلك مؤمن. وأيضا هي رضي الله عنها كاملة مكلمة وليس في إثبات الرؤية ونفيها كبير غموض لا تفهمه النساء -والله أعلم- قال الشيخ عماد الدين بن كثير: لا يصح في أنه رأى ربه ببصره شيء عن الصحابة وأما ما قاله البغوي: ذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه وهو قول أنس والحسن وعكرمة ففيه نظر والحديث الذي رواه الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال عليه الصلاة والسلام: رأيت ربي عز وجل. فهو مختصر من حديث المنام كما رواه الإمام أحمد أيضا، وقد ثبت عن كثير من السلف نفي رؤية البصر، والله أعلم.^(١)

فالإيجي يمحص ويتحقق فيما نقله البغوي من قول أنس والحسن وعكرمة رضي الله عنهم أجمعين ولا يقبله لتعارضه مع ما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة في نفي الرؤية مبينا أن ما ورد عند الإمام أحمد في مسنده ما هو إلا جزء من حديث المنام - وهو على شرط الصحيح - فضلا عن تصريح كثير من المحققين بأنه: "لم يصح في هذا الباب شيء".^(٢)

ومن ذلك أيضا خلاف السلف في المقصود من المسجد الذي أسس على التقوى وهو مسجد قباء أم المسجد الذي بناه النبي صلى الله عليه وسلم في جوف المدينة فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَا نَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾^(٣) يقول الإيجي: ﴿أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ للصلاة، ذهب جماعة من السلف على أنه مسجد قباء منهم ابن عباس رضي الله عنهما وبعض منهم على أنه المسجد الذي في جوف المدينة وعليه حديث صحيح وقال بعضهم: "لا منافاة لأنه إذا كان مسجد قباء قد أسس على التقوى فمسجد المصطفى صلى الله عليه وسلم بطريق الأولى والأحرى ولي في هذا التوفيق خدشة....".

(١) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٣٢٠.

(٢) حديث المنام: روى الحافظ ابن كثير بسنده إلى أبي قلابة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أتاني ربي الليلة في أحسن صورة أحسبه يعني في النوم فقال يا محمد أتدري فيم يختصم الملائكة الأعلى قال قلت لا فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي أو قال نحري فعلمت ما في السموات وما في الأرض ثم قال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملائكة الأعلى قال قلت نعم يختصمون في الكفارات والدرجات... الحديث" ينظر: ابن كثير إسماعيل بن عمر الدمشقي أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ، ج٤، ص٢٥٢.

(٣) سورة التوبة، الآية ١٠٨.

ثم يعلل الإيجي سبب رده لهذا التوفيق بين القولين بأن ما ثبت في صحيح الأحاديث لا يدع مجالاً للاجتهاد، فقال ما نصه: لا ينفعه في التوفيق كما ترى لأن الخلاف في أن المراد في قوله لمسجد أسس، أي مسجد هو؟ والحديث الصحيح على أنه المسجد الذي هو في جوف المدينة، قال صاحب الكشف: أقول ومع بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعبأ بقول غيره أما ما رواه أبو داود والترمذي أن فيه رجال.... "نزلت في أهل قباء فهو لا يعارض نص رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما ما رواه ابن ماجة عن أبي أيوب وجابر وأنس أن هذه الآية: ﴿فِيهِ رِجَالٌ...الآية﴾ لما نزلت قال عليه الصلاة والسلام واقفاً على باب مسجد القباء أن الله قد أتى عليكم يا معشر الأنصار في الظهور فما طهوركم فلا يدل على اختصاص أهل قباء ولا ينافي المحل على أهل مسجده من الأنصار.^(١)

فالإيجي رحمه تعالى يستند على أصول عدة في مناقشاته للنقول فهو لا يقبل رأي من قال أن المسجد المقصود هنا هو مسجد قباء كما لا يرضى التوفيق بين القولين وهو ما ذهب إليه ابن كثير في تفسيره حيث قال: "ولا منافاة بين الآية وبين هذا لأنه إذا كان مسجد قباء قد أسس على التقوى من أول يوم فمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الأولى والأخرى"^(٢)، وذلك لمخالفتها ما صح من السنة فقد عقد الإمام مسلم باباً في ذلك: "باب بيان أن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة"^(٣).

ب- استناده إلى اللغة في مناقشاته للعلماء وفي الترجيح والرد.

لا سيما إذا تعرض للإمام الزمخشري طالبا من القاريء عدم التسرع في الحكم عندما تسمع مخالفته للكشاف بل لا بد من التأمل فيما قاله.

(١) ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص٢٩٠.

(٢) روى الإمام مسلم في صحيحه بسنده إلى قال: "حدثنا يحيى بن سعيد عن حميد الخراط قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن قال مر بي عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري قال قلت له كيف سمعت أباك يذكر في المسجد الذي أسس على التقوى قال قال أبي دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض نسائه فقلت يا رسول الله أي المسجدين الذي أسس على التقوى قال فأخذ كفا من حصباء فضرب به الأرض ثم قال هو مسجدكم هذا لمسجد المدينة" قال فقلت أشهد أنني سمعت أباك هكذا يذكره، ينظر الصحيح، ج٢، ص١٠١٥، رقم ١٣٩٨.

(٣) الإيجي، جامع البيان، ج١، ص٢٨٦.

من ذلك رده على الإمام الزمخشري عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَأَلْمَلِكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾^(١) يقول الإيجي: ﴿وَأَلْمَلِكُ﴾ المراد منه الجنس قال الزمخشري: الملك أعم من الملائكة. ألا ترى أن قولك: ما من ملك إلا وهو شاهد، أعم من قولك: ما من ملائكة. وهذا ليس بشيء لأن ما من ملك: نكرة في سياق النفي، فيشمل كل ملك. والملك في الآية ليس في سياق النفي، ودخلت عليه "من" فيكون أعم من الجميع، غايته هنا أن المفرد هنا لإرادة الجنس من الجمع".^(٢)

وما نقله الإيجي هنا كان موضع سؤال عند الزمخشري على عادته في تفسيره حيث قال: "فإن قلت ما الفرق بين قوله "والمملك" وبين أن يقال "والملائكة" قلت: الملك أعم من الملائكة ألا ترى أن قولك ما من ملك إلا وهو شاهد أعم من قولك ما من ملائكة"^(٣)، وقد رد الإيجي على الزمخشري مبيناً أن ما ساقه من شاهد لغوي لا ينطبق على الآية، قال ابن المنير رحمه الله تعالى: "والمملك والملائكة كلاهما معرف تعريف الجنس فالواحد والجمع سواء في العموم".^(٤)

ج- استناد الإيجي في الترجيح والرد على مقتضى ظاهر النص القرآني.

فهو يقبل ما وافقه ويطرح غيره كما فعل ذلك رحمه الله عند تفسير قول الله تعالى:

﴿قَالَ يَنْوِلُوهُ آعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرَى سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾^(٥)

يقول الإيجي: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ على قتله قيل: أسود جسده وتبرأ منه أبواه وقد ذكر أكثر المفسرين: أن الله شرع لآدم أن يزوج بناته من بنيه وكان يولد له في كل بطن ذكر وأنثى وكان يزوج التي في هذا البطن لذكر البطن الآخر فكانت أخت هابيل ذميمة وأخت قابيل جميلة فأراد أن يستأثر بها على أخيه فأبى آدم ذلك وأمرهما بأن يقربا قربانا فمن تقبل منه فهي له فتقبل من

(١) سورة الحاقة، الآية: ١٧.

(٢) الإيجي، جامع البيان ج٣، ص٤١٧.

(٣) ينظر الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص١٣٤.

(٤) ينظر المرجع السابق، ج٤، ص١٣٤، حاشية ابن المنير. وينظر أيضاً ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ج٤، ص٤١٥.

(٥) المائدة، آية: ٣١.

هابيل فحسد. هذا ما نقلوه والذي صح عن ابن عباس ما نقلناه أولاً وهو يشعر بل يدل على أن قربانها لا عن سبب ولا عن بداءة في امرأة وهو ظاهر القرآن فلذلك اخترناه".^(١)

فالإيجي يرد على كثير من المفسرين ممن ساقوا مثل هذه الروايات في قصة ابني آدم والتي لم تصح عند المحدثين معتمداً في ذلك على ظاهر القرآن الذي يأبى مثل هذه القصص والأخبار وهذا ما أشار إليه قول ابن عباس في تفسيره لهذه الآية والدال صراحة على أن خلاف ابني آدم لم يكن عن سبب ولا عن تدارء في امرأة وغيرها من الروايات، وقد ساق الإيجي هذا الأثر في بداية تفسيره للآيات فقال: "ومن شأنها أنه لم يكن مسكين يتصدق عليه، وإنما كان القربان يقربه الرجل، فبينما ابنا آدم قاعدان إذ قالوا لو قربنا قربانا...."^(٢)

فالإيجي يتعرض لظاهر القرآن لعدم صحة تلك الأخبار وعبرة ابن عباس دالة على ذلك قال ابن كثير: "فهذا الأثر يقتضي أن القربان كان لا عن سبب ولا عن تدارء في امرأة فالسياق وظاهر القرآن يقتضي ذلك".^(٣) جميع الحقوق محفوظة

د- اعتماده في الترجيح على القراءات: اردنية

ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾

﴿قُلْ أَوْلُو جِنَّتِكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ يقول الإيجي: "الظاهر أن" ﴿قُلْ﴾ حكاية أمر ماض أوحى إلى نبينا عليه الصلاة والسلام ويؤيده قراءة "قال" أي انتبعون آباءكم ولو جنتكم بدين أهدى؟ ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾^(٤) فانقمنا منهم بأنواع من العذاب.^(٥)

فالإيجي رحمه الله تعالى يرى أن قوله تعالى قل أولوا جنتكم هي حكاية أمر ماض مستنداً فيما ذهب إليه بما ورد من قراءة في ذلك وسيأتي بيان ذلك في مبحث القراءات. وبعد، فهذه أهم الأسس التي اعتمدها الإيجي في الترجيح والرد والتي جعلها منطلقاً لتحديد آرائه من أقوال السلف والخلف حتى تدرك وجهتها ويبين مبهمها وتزول عقبات فهمها.

(١) الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ١٦٤.

(٢) المرجع السابق، ص ١، ص ١٦٣.

(٣) ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٤٤ باختصار.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٢٤.

(٥) الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٢١٧.

المبحث الثالث

الإتجاه اللغوي والنحوي في جامع البيان

تمهيد:

اهتم الإيجي في تفسيره باللغة اهتماماً بالغاً واعتمد عليها اعتماداً كبيراً مؤمناً بأنها ركنٌ أساسياً في فهم النص القرآني، إذ لا يتوصل لفهم نصوص القرآن إلا بعد أن يتقن المفسر جملة المباحث اللغوية المتصلة بتفسير القرآن كالنحو والصرف والبيان والمعاني، كما بين ذلك كثير من العلماء وجعلوه شرطاً من شروط المفسر.

وقد أخبرنا الإيجي عن إتمام صنيعة في هذا المبحث خاصة بأن وضع حاشية على تفسيره أودعها كثيراً من وجوه المعاني والإعراب غير التي ذكرها في متن تفسيره فقال: "وفي كثير من المواضع أوضحت في الحاشية وقد تعرضت فيها لوجوه آخر من المعاني والإعراب فللمبتدئ حظ كثير من هذا التفسير وللعالم حظوظ".^(١) ولا بد هنا أن نعرض أهم الجوانب والمباحث اللغوية التي طرقتها الإيجي في تفسيره، والتي نقف من خلالها على طابعه العلمي ومنهجه في عرض تلك المباحث بشكل تطبيقي حتى نرى مدى التزامه بالمنهجية التي خطها لنفسه، ثم الإفادة منها في كشف المعنى، وإبراز المدلول اللغوي من مادته اللفظية بعد تحليلها وتمحيصها.

وأولى هذه المباحث وأبرزها:

المطلب الأول: الاشتقاق

اهتم الإيجي بالمفردة القرآنية من جوانب عدة، كان من أهمها هذا المبحث ويقصد به: أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنىً ومادةً أصيلةً، وهيئة تركيب لها ليبدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة كضارب من ضرب وحذر من حاذر^(٢) وقد تميزت عنايته بهذا المبحث بما يلي:

(١) المرجع السابق، ج ١، ص ٥.

(٢) ينظر السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أبو الفضل وعلي محمد البيجاوي، دار الفكر، بيروت، ج ١، ص ٣٤٦.

١- بيان اشتقاقها وأصلها وطرق تصريفها.

كما فعل رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصِرٍ عَاتِيَةٍ ﴿١﴾﴾
سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَمْعَ لَيَالٍ وَتَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ مُخْلِ خَاوِيَةٍ ﴿٢﴾﴾ (١) فإننا
نجده يقف عند كل كلمة في هذه الآية فيقلب تصاريفها وهيأتها على النحو التالي:
فيقول: ﴿صَرْصِرٍ﴾ شديدة البرد من "الصير" بكسر الصاد وقيل المراد شدة صوتها من "الصر"
بفتح الصاد. و﴿عَاتِيَةٍ﴾: أصل العتو: مجاوزة الحد أي عنت على خزانها فخرجت بغير حساب أو
عنت على عاد فلم يقدروا على ردها.

ويقف عند ﴿حُسُومًا﴾ ويفصل فيقول: - وحسوما لا يخلو أن يكون جمع حاسم كشهود
وقعود، أو مصدرا كشكور والكفور، فإن كان جمعا فمعناه: حسمت كل خير واستأصلت كل
بركة أو متتابعة هبوب الرياح ما خفت ساعة حتى أتت عليهم تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم
في إعادة الكي على الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم، وإن كان مصدرا فإما أن ينتصب بفعله
مضمرا أي تحسم حسوما بمعنى تستأصل استئصالا، أو يكون صفة كقولك ذات حسوم أو يكون
مفعولا له أي سخرها عليهم للاستئصال". (٢)

٢- سوق الأدلة على صحة ما ذهب إليه في اشتقاق اللفظة

كما فعل رحمه الله حين استشهد بما ثبت عند البخاري في إثم من فاتته العصر،
وعند مسلم في التغليظ في تفويت صلاة العصر، لتأكيد صحة ما ذهب إليه من اشتقاق
لفظة ﴿يَرْكُمُ﴾ عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ
مَعَكُمْ وَلَنْ يَرْكُمَ أَعْمَلَكُمْ﴾ (٣) يقول الإيجي: "من وترته: أفردته عن قريبه وماله، من
الوتر وهو الفرد فشبهه إضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الوتر، وهو من فصيح

(١) سورة الحاقة، آية: ٦ ، ٧.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٤١٦.

(٣) سورة محمد، الآية: ٣٥.

الكلام وقد ورد: "من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله"^(١) أي أفرد عنهما قتلاً ونهباً"^(٢).

٣- إيراد آراء العلماء وأهل الامصار حول اشتقاق الكلمة وأصلها مع التعقيب عليها أحياناً.

ومن ذلك ما نقله عن الفراء والزجاج والمبرد حول كلمة ﴿وَالطَّارِقُ﴾ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٣﴾ يقول الإيجي: "وسماه طارقاً لأنه يظهر في الليل فالطارق الآتي ليلاً - شبه بالطارق الذي يطرق الناس أو أهله ليلاً قال الفراء: ما أتاك ليلاً فهو الطارق وقال الزجاج والمبرد: لا يكون الطارق نهراً"^(٤).

وانظر ما قاله حول قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْتُمُوهُمْ سَخِرَاءً حَتَّىٰ أَنْتَوَكُمُ ذِكْرِي﴾^(٥) يقول الإيجي: "بكسر السين وضمها لغتان بمعنى الهزاء زيدت ياء النسبة للمبالغة وعند الكوفيين المضموم من السخرة بمعنى الإنقياد والعبودية"^(٦).
إذ ان الخلاف الحاصل أدى إلى اختلاف المعنى وهو من بديع لغة القرآن أنها تحتل معاني عدة، كما أنها تتعدد معانيها نظراً لاختلاف حركة الإعراب.

ونجد الإيجي يتعقب أقوال العلماء في الاشتقاق وينظر فيما قالوه، لا سيما صاحب الكشف كما فعل رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ

١ (رواه البخاري، في باب إثم من فاتته العصر، برقم ٥٢٧، ج ١، ص ٢٠٣، ومسلم في باب التغليظ في تفويت صلاة العصر، برقم ٦٢٦، ج ١، ص ٤٢٥، مرجع سابق.

٢ (الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٢٧٠.

٣ (سورة الطارق، الآية: ١.

٤ (الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٤٨١.

٥ (سورة المؤمنون، الآية: ١١٠.

٦ (الإيجي، جامع البيان، ج ٢، ص ٦٦.

إِثْمٌ ﴿١﴾ يقول الإيجي: "تقول أثم يَأْثِمُ فهو آثم، والأثيم والآثم فالهمزة أصلية وليست عن الواو، أما تأثيم فأصله توثيم فهو من مادة أخرى فما قاله الزمخشري ليس بشيء". (٢)

ومما يؤكد صحة ما ذهب إليه الإيجي، ودقته في تعقب الزمخشري ما تناقلته كتب المعاجم في بيان أصل الكلمة قال الجوهري في مادة "أ ث م": "الإثم الذنب وأثم بالكسر إثماً ومأثماً إذا وقع في الإثم فهو آثم وأثيم وأثوم أيضاً، قال الفراء أئمه الله يَأْثِمُهُ إِثْمًا وَأَثَامًا جازاه جزاء الإثم فهو مأثوم أي مجزي جزاء إثمه وتأثم أي تخرج عن الإثم وكف والآثم جزاء الإثم قال الله تعالى ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ (٣) ولم يقل أحد - ممن وقفت عليهم - أن الهمزة منقلبة عن واو كما صرح به صاحب الكشاف رحمه الله.

كما تعقبه أيضاً ونوه على مخالفته لما في الصحاح عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِي

جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ تُؤْقِدُونَ﴾ (٤) يقول الإيجي: "الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً مع مضادة الماء النار، والمراد الزناد التي توري بها - الأعراب - وأكثرها من شجري المرخ والعفار الخضر اوين - والعفار: - بفتح العين - الزند، وهو الأعلى، والمرخ - بفتح الميم وسكون الراء المهملة - : الزندة، وهو الأسفل. كذا في الصحاح عكس ما في الكشاف". (٥)

وبالرجوع إلى كتب المعاجم تتبين مدى دقة الإيجي في نقده للزمخشري، (٦) وهو تماماً

كما أشار الإيجي وعكس ما في الكشاف. (٧)

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٢٨٩. قال الزمخشري: والإثم: الذنب الذي يستحق صاحبه عليه العقاب ومنه قيل لعقوبته: الآثم والهمزة فيه عن الواو كأنه يثم الأعمال أي يكسرها بإحباطه، ينظر الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص٣٦٢.

(٣) الجوهري، مختار الصحاح "أ ث م"، ج١، ص٢، مادة.

(٤) سورة يس، الآية: ٨٠.

(٥) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٨٠.

(٦) قال صاحب الصحاح المرخ: شجرٌ سريعُ الورْيِ. وفي المثل: "في كلِّ شجرِ نار، واستمجد المرخُ والعفار" ... والعفار: الزند وهو الأعلى، والمرخ: الزندة وهي الأسفل ينظر الجوهري، مختار الصحاح مادة مرخ، ج١، ص٢٥٧، وابن منظور، اللسان: العفار الزند وهو الأعلى والمرخ الزندة وهو الأسفل قال الشاعر إذا المرخ لم يور تحت العفار، لسان العرب، ج٢، ص٥٤، مادة مرخ.

(٧) والذي في الكشاف: "أن المرخ ذكر على العفار وهي أنثى، فيسحق المرخ مع العفار فتتقدح النار بإذن الله"، ينظر الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج٤، ص٣٠، بتصرف.

٤- التنبيه على الحروف المنقلبة عن أصلها.

وهذا إن دل على شيء فانما يدل على تمكن الإيجي من علم الصرف ولا عجب في ذلك إذا ما علمنا أنه تلقاه على يد كبار أهل هذه الصنعة كما بين ذلك في الحديث عند طلبه للعلم. ومن الأمثلة على ذلك بيان أن الياء في ﴿عِتِيًّا﴾ منقلبة عن واو وأن أصلها عتوا مع بيان سبب الانقلاب من النقل فعند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أُنَّى يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَكَانَتْ أَمْرًا قِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾^(١) يقول الإيجي: "يبسا في المفاصل والعظام كالعود اليباس يقال عتا العود أي يبس من أجل الكبر وأصله عتوا استنقلوا توالي الضميتين والواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو الأولى ياء ثم قلبت الثانية وأدغمت، وهذا تعجب منه عليه السلام واستغراب"^(٢).

ومن الشواهد على ذلك أيضا عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾^(٣) يقول الإيجي: "متواترين واحداً بعد واحد، والألف للتأنيث فإن الرسل جماعة والتاء بدل من الواو فإنها من الوتر كتيقور من الوقار ومن قرأ بالتثوين فمصدر وقع جالاً بمعنى المواترة"^(٤) ومما يزيد رأي الإيجي تأكيداً في المثال الأول عند قوله تعالى ﴿عِتِيًّا﴾ ما قاله ابن منظور: "عتا يعتو عتوا و عتيا... الأصل عتو ثم أبدلوا إحدى الضميتين كسرة فانقلبت الواو ياء فقال عُنْيَا ثم أتبعوا الكسرة فقالوا عُنْيَا"^(٥) وفي قوله تعالى ﴿تَتْرًا﴾ يقول: "تترا أي متواترين التاء مبدلة من الواو... قال الزجاج قال ومن قرأها بالتثوين فمعناه وترا فأبدل التاء من الواو كما قالوا تولج من ولج وأصله وولج قال العجاج فإن يكن أمسى البلى تيقوري أراد ويقوري وهو فيعول من الوقار ومن قرأ تتري فهو ألف التأنيث قال وتتري من المواترة"^(٦).

١ (سورة مريم، الآية: ٨.

٢ (الإيجي، جامع البيان، ج ٢، ص ٤.

٣ (سورة المؤمنون، الآية: ٤٤.

٤ (الإيجي، جامع البيان، ج ٢، ص ٦٠.

٥ (ابن منظور، لسان العرب، ج ١٥، ص ٢٧-٢٨، مادة عتا.

٦ (المرجع السابق، ج ٥، ص ٢٧١، قال الجوهري: "وأصلها وتري من الوتر وهو الفرد قال الله تعالى ثم أرسلنا رسلنا تتري أي واحداً بعد واحد، ينظر الجوهري، مختار الصحاح، ج ١، ص ٢٥١.

٥- تعرضه بعض الأحيان لأوزانها.

كما فعل رحمه الله في بيان وزن ﴿مَمَزَقَ﴾ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُكُرُ عَلَىٰ رَجُلٍ يَبْتَئِكُمُ إِذَا مَرَقْتُمْ كُلَّ مَمَزَقٍ إِنَّكُمْ لَفِي حَلْقٍ جَدِيدٍ﴾^(١) يقول: "فرقتم وقطعتم كل تفريق وتقطيع - إشارة إلى أن ممزق^(٢) مصدر جاء على زنة اسم المفعول على القياس في إسم المصدر من كل فعل زائد على الثلاثي"^(٣).

ومن الشواهد على ذلك أيضاً وقوفه على ﴿مِعْشَارَ﴾ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا ءَاتَيْنَهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾^(٤)، يقول الإيجي: "أي بلغت الأمم السابقة معشار ما أتينا قريشا من الآيات البينات فان كتاب محمد صلى الله عليه وسلم أكمل وأصح قال ابن عباس: "فليس أمة أعلم من أمته ولا كتاب آمن من كتابه" وهذا القول اختاره أبو عبد الله الرازي، و﴿مِعْشَارَ﴾^(٥) مفعال من العشير ولم يثبت على هذا الوزن من ألفاظ العدد غيره وغير المربع، ومعناها العشر والرابع"^(٦).
ومن الأمثلة أيضاً عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾^(٧) يقول الإيجي: "أي يأمن صاحبه من كل مكروه، وعلى هذا "فعليل" بمعنى مفعول فإنه مأمون العواقب أو من "أمن" أمانه فهو أمين وأمانته أن يحفظ من حفظه كما يحفظ الأمين ما يؤمن عليه"^(٨).

١ (سورة سبأ، الآية: ٧.

٢ (ينظر ممزق: ابن منظور، لسان العرب، ج ١٠، ص ٢٤٢، مادة مزق وينظر الجوهري، الصحاح، ج ١، ص ٢٦٠، مادة (م ز ق).

٣ (الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٤٦.

٤ (سورة سبأ، الآية: ٤٥.

٥ (ينظر الجوهري، مختار الصحاح، ج ١، ص ١٨٢، مادة (ع ش ر). وينظر ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٥٦٨، مادة عشر.

٦ (الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٥٩.

٧ (سورة الدخان، الآية: ٥١.

٨ (الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٢٣٨.

وهكذا يتبين لنا من خلال الأمثلة والشواهد السابقة مبلغ عناية الإيجي بهذا المبحث وكيف أنه تناول اللفظة القرآنية بالدراسة والتحليل ثم إنه لم يقف إلى هذا الحد بل أنه طرق مجالات ومباحث لغوية أخرى كان من أهمها:

المطلب الثاني: الغريب.

وهو باب عظيم يجب على المفسر معرفته وإلا فلا يحل له الإقدام على كتاب الله تعالى^(١) يقول صاحب الإتيان: "أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون منهم: "أبو عبيدة وأبو عمر الزاهد وابن دريد ومن أشهرها كتاب العزيزي فقد أقام في تأليفه خمس عشرة سنة يحرره هو وشيخه أبو بكر بن الأنباري ومن أحسنها المفردات للراغب... ينبغي الإعتناء به، فقد أخرج البيهقي من حديث أبي هريرة مرفوعاً أعربوا القرآن و التمسوا غرائب. والمراد بإعرابه كما يقول السيوطي: "معرفة معاني ألفاظه وليس المراد به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة".^(٢) وعلى الخائض في ذلك التثبت والرجوع إلى كتب أهل الفن وعدم الخوض بالظن فالصحابية وهم العرب العرباء وأصحاب اللغة الفصحى ومن نزل القرآن عليهم وبلغتهم توقفوا في ألفاظ لم يعرفوا معناها فلم يقولوا فيها شيئاً فتهيب كثير منهم الخوض فيه، وتركوا القول فيه، حذرا أن يزلوا فيذهبوا عن المراد".^(٣)

ومن أبرز معالمه في الوقوف على غرائب القرآن:

١- إقتصاره في كثير من الأحيان على ما ورد من أقوال السلف في بيان الغريب.

وقد صرح بهذا المعنى عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾^(٤) يقول الإيجي مبينا معنى ﴿وَالرَّقِيمِ﴾: "هو لوح من رصاص أو حجر موضوع على باب كهفهم مكتوب فيه أسماءهم أو اسم لذلك الجبل أو الوادي أو لقرية هم خرجوا منها

١ (ينظر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ج ١، ص ٣٦٧.

٢ (ينظر السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، تحقيق: عصام قاسم الحرساني ومعه آخرون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، ج ١، ص ٣٧٩، بتصرف.

٣ (الزركشي، البرهان، ج ١، ص ٣٧٠، بتصرف، مرجع سابق.

٤ (سورة الكهف، الآية: ٩.

– وجميع ما نقلنا في تفسير الرقيم أقوال السلف واختار ابن جرير أنه فعيل بمعنى مفعول أي مرقوم أي شيئاً مكتوباً نحو: "كتاب مرقوم".^(١)

فما نقله الإيجي عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَالرَّقِيمَ ﴾ نقلته كتب الغريب^(٢) واللغة وهي منقولة عن السلف قال أبو القاسم الزجاجي^(٣) في الرقيم خمسة أقوال أحدها: عن ابن عباس أنه لوح كتب فيه أسماءهم الثاني: أنه الدواة بلغة الروم عن مجاهد الثالث: القرية عن كعب الرابع: الوادي الخامس: الكتاب عن الضحاك وقتادة وإلى هذا القول يذهب أهل اللغة.^(٤)

وهذا يدل على مدى عناية الإيجي بأقوالهم واقتصاره عليها أحيانا خشية الوقوع فيما لا

يحمد.

ومن الشواهد على ذلك أيضا ما ذكره من معنى ﴿ لَأَوَّهٌ ﴾ عند تفسيره لقول الله تعالى: "

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّهٌ حَلِيمٌ ﴾^(٥) يقول الإيجي: "متضرع كثير الدعاء أو الرحيم - قول الحسن وقتادة - أو الموقن بلسان الحبشة"^(٦) - قول مجاهد - أو المؤمن التواب أيضا بلسانهم - قول ابن عباس - أو المسبح أو كثير الذكر والتسبيح - قول عتبة بن عامر - أو فقيه - قول النخعي - أو يتأوه من الذنوب كثيرا نقل أنه عليه السلام يتنفس تنفس الصعداء كثيرا أو يقول "آه" من النار قبل أن لا ينفعه آه".^(٧)

(١) الإيجي، جامع البيان، ج١، ص٤١٢.

(٢) ينظر شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، التبيان في تفسير غريب القرآن، تحقيق: فتحي أنور الدابولي، دار الصحابة للتراث بطنطا - القاهرة، ١٩٩٢هـ، الطبعة الأولى، ج١، ص٢٧١.

(٣) ينظر ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٢٥٠.

(٤) قال ابن منظور: "والرقيم الدواة حكاها ابن دريد قال ولا أدري ما صحته وقال ثعلب هو اللوح وبه فسر قوله تعالى أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم وقال الزجاج قيل الرقيم اسم الجبل الذي كان فيه الكهف وقيل اسم القرية التي كانوا فيها والله أعلم وقال الفراء الرقيم لوح رصاص كتبت فيه أسماءهم وأنسابهم وقصصهم ومم فروا وسأل ابن عباس كعبا عن الرقيم فقال: "هي القرية التي خرجوا منها وقيل: "الرقيم" الكتاب وذكر عكرمة عن ابن عباس أنه قال ما أدري ما الرقيم أكتاب أم بنيان يعني أصحاب الكهف وحكى ابن بري قال: ينظر اللسان، ج١٢، ص٢٥٠، مادة "رقيم"، باختصار يسير.

(٥) سورة التوبة، الآية: ١١٤.

(٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما: "قال: الأواه الموقن بلسان الحبشة". ينظر الغزي، محمد بن محمد بن محمد، إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن، تحقيق: خليل محمد العربي، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، ج١، ص٢٩٧.

(٧) الإيجي، جامع البيان، ج١، ص٢٨٨.

وهذا أيضاً منقول عن السلف كما بينه الإيجي وذكره القرطبي في تفسيره^(١) وابن منظور في اللسان.

٢- إيراد أقوال أهل اللغة في مدلول اللفظ أولاً، مستشهداً عليها بقول منقول عن السلف أو بشاهد من اللغة، جمعاً بينها:

ومثال الأول: ما أورده رحمه الله عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَفَلَكَمَ وَأَنَّى﴾^(٢) يقول الإيجي: "مرعى من علف الدواب، وقال الزجاج "الأب" جمع الكلاً تعلقه الماشية كما روي عن ابن عباس"^(٣) وهذا ما قاله صاحب التبيان والأب: "ما رعته الأنعام ويقال الأب للبهائم كالفأكة للناس".^(٤)

ومثال الثاني: ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿أَفَنُيْمَىٰ مُكَبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ﴾^(٥) قال الإيجي: "يقال: كبيته فأكب أي صار ذا كب نحو: قشع الله السحاب فاقشع" أي: صار ذا قشع أي يعثر كل ساعة ويخر لعدم علمه بالطريق الوعر... ثم يعقب ويقول: وهو قليل غريب".^(٦)

١ (قال القرطبي: اختلف العلماء في الأواه على خمسة عشر قولاً، الأول أنه الدعاء الذي يكثر الدعاء قاله ابن مسعود وعبيد بن عمير، الثاني أنه الرحيم بعباد الله قاله الحسن وقتادة وروي عن ابن مسعود والأول أصح إسناداً عن ابن مسعود، الثالث أنه الموقن قاله ابن عباس، الرابع أنه المؤمن بلغة الحبشة قاله ابن عباس أيضاً، الخامس أنه المسيح الذي يذكر الله في الأرض القفر الموحشة قاله سعيد بن المسيب، السادس أنه الكثير الذكر لله تعالى قاله عقبة بن عامر وذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يكثر ذكر الله ويسبح فقال إنه لأواه، السابع أنه الذي يكثر تلاوة القرآن وهذا مروى عن ابن عباس قلت وهذه الأقوال متداخلة وتلاوة القرآن يجمعها، الثامن أنه المتأوه قاله أبو ذر وكان إبراهيم عليه السلام يقول آه من النار قبل ألا تنفع آه العاشر أنه المتضرع الخاشع" رواه عبد الله بن شداد بن الهاد عن النبي صلى الله عليه وسلم، ينظر: القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد عبد العليم البردون، الطبعة الثانية، ١٣٧٢هـ، دار الشعب، القاهرة، ج ٨، ص ٢٧٥، وينظر أيضاً شهاب الدين، التبيان في غريب القرآن، ج ١، ص ٢٢٩.

٢ (سورة التكوير، الآية: ٣١.

٣ (الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٤٦٦، وينظر السيوطي، الإتيان الطبعة الأولى، ج ١، ص ٣٨٠.

٤ (ينظر شهاب الدين، التبيان في تفسير غريب القرآن، ج ١، ص ٤٥٠.

٥ (سورة الملك، الآية: ٢٢.

٦ (الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٤٠٦، وينظر ابن الجوزي، أبو فرج، تذكرة الأريب في تفسير الغريب ج ١، ص ٢٣١.

فالإيجي يجمع بين تفسيره للغريب والشاهد عليه من منقول السلف كما في المثال الأول أو من شواهد اللغة كما في المثال الثاني.

المطلب الثالث: تناوب الحروف

"وهو باب في العربية دقيق المداخل والمخارج، ولكنه - على ما فيه من عناء - ممتع شاق لطيف، لأن النظر فيه عمل من أعمال العقل، تتقدح الحقائق للناظر فيه، بعد طول تأمل وإمعان نظر وبعد نفاذ في بواطن المسائل متجاوز الظاهر المكشوف إلى الخفي المستتر".^(١)

اختلف العلماء فيه فمنهم من قال بإبطال وقوع بعض حروف الجر موقع بعضها الآخر، وهذا مذهب البصريين، وهذا خلافا للكوفيين ومن تابعهم كابن قتيبة وغيره".^(٢)

والإيجي في أكثر من موطن ذهب إلى ما ذهب إليه الكوفيون من جواز تناوب الحروف بل إنه صرح بالتناوب عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿أَمْ حُلِفُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِفُونَ﴾^(٣) حيث يقول: من أجل لا شيء يعني ﴿من﴾ بمعنى ﴿لأجل﴾ أي: أن حروف الجر قد يسد بعضها مسد بعض".^(٤)

كما أنه نقل رأي الفراء في التناوب عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾^(٥) يقول الإيجي: "قال الفراء: ﴿من﴾ و﴿على﴾ يتعاقبان في هذا الموضع".^(٦)

ويرى الإيجي أيضاً أن ﴿ما﴾ تكون بمعنى ﴿من﴾، ولكن أقيمت مقامها لما فيها من الإبهام فيذكر عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ

١ (عواد، محمد حسن، تناوب حروف الجر في لغة القرآن، دار الفرقان، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ، ص ٥، بتصرف.

٢ (المرجع السابق، ص ٥.

٣ (سورة الطور، الآية: ٣٥.

٤ (الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٣١٤.

٥ (سورة المطففين، الآية: ٢.

٦ (الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٤٧٢.

نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ ﴿١﴾ يقول الإيجي: "أي نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه أو ﴿مَا﴾ بمعنى ﴿مَنْ﴾ أي أقيم لفظ ﴿مَا﴾ مقام ﴿مَنْ﴾ لما في الإبهام من التفتيح".^(٢)

ومن الجدير بالذكر أن الإيجي يرى أن حروف المعاني إذا كانت مؤدية للغرض وبتأويل صالح فإنها تبقى على أصلها ولا يصح التناوب كما وضح عند تفسير قول الله تعالى:

﴿وَأَخْرُونَ أَعْرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾^(٣) يقول الإيجي: "معنى ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا﴾، كصلاتهم وإنابتهم وغيرهما ﴿وَأَخَرَ سَيِّئًا﴾ كتنقادهم عن تلك الغزوة كسلا، قيل: ﴿الواو﴾ بمعنى ﴿الباء﴾ كما في بعت النشاء شاة ودرهما أي بدرهم، والأولى أن الواو على أصله دال على أن كل واحد مخلوط بالآخر كما تقول خلطت الماء واللبن أي خلطت كل واحد منهما بصاحبه كأنك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء".^(٤)

ف عندما أدت الواو هنا معنى صحيحا رد الإيجي القول بالتناوب وأبقى الحرف على أصله.

المطلب الرابع: معاني الحروف.^(٥) أيداع الرسائل الجامعية

وهذا المبحث أشاد العلماء بأهميته يقول محمد حسن عواد: "والحق أن البحث في معاني الحروف عمل من أعمال اللغوي - اعني الباحث عن دلالات الألفاظ مفردة - وإنما احتقى النحاة بها وأفردوا لها كتباً من مثل: مغني اللبيب لابن هشام، والجنى الداني للمراي والأزهرية للهرودي، ومعاني الحروف للرماني، ورفص المباني للمالقي وغيرها - لأن الحروف روابط في التركيب وعلى التركيب ينصب عمل النحوي".^(٦)

وهو من الأبواب التي اختلف العلماء فيها على مذهبين: الأول يقضي بالتنوع في معنى الحرف الواحد وثانيهما: لا يقضي به، والأول مذهب الكوفيين والثاني مذهب البصريين: قال

١ (سورة الزمر، الآية: ٨.

٢ (الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص١٣٤.

٣ (سورة التوبة، الآية: ١٠٢.

٤ (الإيجي، جامع البيان، ج١، ص٢٨٤.

٥ (حد النحاة الحرف بحدود كثيرة أظهرها قولهم أنه: "كلمة تدل على معنى في غيرها فقط" ومقتضى الحد أن الحروف روابط معانيها، ينظر: عواد، تناوب الحروف، ص٧.

٦ (المرجع السابق، ص٧.

المرادي: "وما تقدم من نيابة الباء عن غيرها من حروف الجر، وهو جار على مذهب الكوفيين ومن وافقهم في أن حروف الجر قد ينوب بعضها عن بعض" وممن ذهب أيضاً إلى القول بتعدد معاني الحروف ابن قتيبة في كتابه "تأويل مشكل القرآن" فقد عقد باباً خاصاً لحروف الصفات التي يقع بعضها موقع بعض ومنهم الهروي الذي عقد أيضاً باباً في كتابه الأزهية" وكذلك أيضاً ابن جني في كتابه الخصائص".^(١)

أما مذهب البصريين فهو إبقاء الحرف على موضعه الأول.^(٢) والإيجي من خلال تفسيره نجد أنه ذهب مذهب الكوفيين من جواز تعدد المعنى للحرف الواحد، وفيما يلي بعض الحروف التي ذكر لها الإيجي معان عدة منها:

أولاً: حرف "الباء" ومن معانيه:

١- القسم: ومن الشواهد ما ذكره الإيجي عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾^(٣) يقول الإيجي: "والنقير: ما أنت كاهن ولا مجنوناً متلبساً بنعمة ربك وتكون حالاً لازمة لا منتقلة فإنه صلى الله عليه وسلم ما زال متلبساً بنعمة الله تعالى وقيل الباء في قول الله تعالى ﴿بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ للقسم وتوسطه بين الإسم والخبر نحو: ما زيد والله بقائم".^(٤)

٢- الاستعانة: وقد ذكر ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُنَ الْأَسِنَّاتِمْ بِالْكَتِّبِ لِيَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾^(٥) يقول الإيجي: "الباء للاستعانة أو الظرفية".^(٦)

(١) عواد، تناوب الحروف، ص ١١.

(٢) المرجع السابق، ص ١١.

(٣) سورة الطور، الآية: ٢٩.

(٤) الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٣١٤.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٧٨.

(٦) الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٩٢.

٣- السببية: وقد أشار إلى هذا المعنى عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَسَجَّى اللَّهُ الَّذِينَ

أَتَقُوا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ الْسُّوْءُ﴾^(١) يقول الإيجي: "أي بسبب فلاحهم وسعادتهم وهو أن تكون الباء للسببية".^(٢)

٤- الملابس: ومن الأمثلة على ذلك عند تفسيره لقوله تعالى ﴿يَوْمَ يَدْعُ الَّذِينَ كَفَرُوا

وَعَصُوا أَرْسُولَ نُوْسُوئِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْفُرُونَ اللَّهُ حَدِيثًا﴾^(٣) يقول الإيجي: "أي لو يدفنون وتبتلعهم الأرض فتسوى أو لم يبعثوا أو يكونون تراباً والباء للملابسة".^(٤)

ثانياً: ومن الحروف التي ذكر الإيجي لها معاني عدة "الفاء" منها:

١- الترتيب: فقد ذكر ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالذَّرِيَّتِ ذَرَوًا﴾ ﴿فَالْحَمَلَاتِ وَقَرًا﴾

﴿فَالْجَرِيَّتِ يُسْرًا﴾ ﴿فَالْمَفْسِكِ أَمْرًا﴾^(٥) يقول الإيجي: "الفاء لترتيب الأقسام بها باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة".^(٦)

وأيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَالْتَلِيَّتِ ذِكْرًا﴾^(٧) يقول الإيجي: "العطف بالفاء

للدلالة على ترتيب الصفات في التفاضل - يعني أجريت هذه الصفات على الملائكة فعطفها بالفاء ليفيد ترتيبها لها في الفضل فالفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة".^(٨)

٢- السببية: وقد ذكر ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلِدَلِكِ فَادَعِ وَأَسْتَفِمَ كَمَا أَمَرْتُ

﴿يَقُولُ الْإِيجِي: "يعني "دعوت" يتعدى باللام وإلى بمعنى واحد أي فادع إلى ذلك وحينئذ تكرر الفاء للمبالغة في السببية".^(٩)

(١) سورة الزمر، الآية: ٦١.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص١٤٩.

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٢.

(٤) الإيجي، جامع البيان، ج١، ص١٢٦.

(٥) سورة الذاريات، الآية: ١، وما بعدها.

(٦) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٣٠٢.

(٧) سورة الصافات، الآية: ٣.

(٨) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٩١.

(٩) سورة الشورى، الآية: ١٥.

ومن ذلك أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا﴾^(٢) يقول الإيجي:
 "عطف على قوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾^(٣) بالفاء
 ليدل على التسبب والدلالة على تعكيس الكافر الأمر وجعله ما هو أبعد الأشياء عن الإلتجاء
 وسيلة إليه".^(٤)

ثالثاً: ومن الحروف التي ذكر لها معاني عدة أيضاً "اللام" فهي:

١- موطنة للقسم: ومن الشواهد على هذا المعنى في جامع البيان عند تفسير قوله
 تعالى: ﴿وَلَيْنَ فُتِلْتَمَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتَّمَّ لِمَغْفِرَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(٥)،
 يقول الإيجي إشارة إلى أن اللام في ﴿وَلَيْنَ فُتِلْتَمَ﴾ هي الموطنة للقسم وكذا اللام في ﴿وَلَيْنَ
 مُتَّمَّ﴾^(٦)

وأيضاً عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ
 وَحِكْمَةٍ﴾^(٧) يقول الإيجي: واللام لتوطنه القسمة وما شرطية".^(٨)

٢- للبيان: ذكر ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَفِي لَكُمُّ﴾^(٩) يقول الإيجي: "اللام لبيان
 المتأفف به".^(١٠)

٣- للابتداء: ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيُبْتَئَنَّ﴾^(١) يقول الإيجي:
 واللام الأولى للابتداء والثانية جواب قسم تقديره وإن منكم لمن أقسم بالله ليبطن".^(٢)

١ (الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٢٠٠.

٢ (سورة الزمر، الآية: ٤٩.

٣ (سورة الزمر، الآية: ٤٥.

٤ (الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص١٤٥.

٥ (سورة آل عمران، الآية: ١٥٨.

٦ (الإيجي، جامع البيان، ج١، ص١٠٧.

٧ (سورة آل عمران، الآية: ٨١.

٨ (الإيجي، جامع البيان، ج١، ص٩٣.

٩ (سورة الأحقاف، الآية: ١٧.

١٠ (الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٢٥٥.

٤- للتأقيت: ذكرها عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمُ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾^(٣) يقول الإيجي:

"واللام في الأزمان وما يشابهها للتأقيت نحو" ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾^(٤).

٥+٦- للتمليك والتعليل: ذكر ذلك عند تفسير قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً

وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُؤَيِّبَهُمْ سُقُفًا مِّنْ فَضَّةٍ﴾^(٥) يقول الإيجي: "اللام الأولى للتمليك والثانية للتعليل."^(٦)

٧- للاختصاص: ذكر ذلك عند تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ

اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ﴾^(٧) يقول الإيجي واللام للاختصاص.^(٨)

المطلب الخامس: التضمين.

هو "إيقاع لفظ موقع غيره لتضمنه معناه"^(٩) وقيل "التوسع في استعمال لفظ توسعا يجعله

مؤدياً معنى لفظ آخر مناسب له فيعطى الأول حكم الثاني في التعدي واللزوم."^(١٠)

وللعلماء فيه طرق مختلفة فقال بعضهم: أنه مجاز، وقال آخرون، انه كناية، وقال

بعضهم أنه جمع بين الحقيقة والمجاز، على طريقة الأصوليين لأن العلاقة عندهم لا يشترط فيها أن تمنع من إرادة المعنى الأصلي."^(١١)

١ (سورة النساء، الآية: ٧٢.

٢ (الإيجي، جامع البيان، ج١، ص١٣٢.

٣ (سورة التغابن، الآية: ٩.

٤ (الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٣٩٢.

٥ (سورة الزخرف، الآية: ٣٣.

٦ (الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٢٢٠.

٧ (سورة الأنبياء، الآية: ٩٨.

٨ (الإيجي، جامع البيان، ج٢، ص٤٢.

٩ (السبوطي، الإتقان، مرجع سابق، ج٢، ص٢٤٧، ينظر الخلاف في وقوع التضمين في القرآن الكريم في المرجع نفسه، ص٢٤٧، وما بعدها.

١٠ (عواد، تناوب الحروف، ص٥١.

١١ (المرجع السابق، ص٥١.

وأما الإيجي فقد ذهب إلى جواز وقوع التضمين في القرآن الكريم والأمثلة والشواهد من جامع البيان على ذلك كثيرة نذكر منها على سبيل المثال ما ذهب إليه الإيجي من أن لفظة ﴿تَلِينُ﴾ تتضمن معنى السكون إذا عدت بحرف الجر ﴿إِلَى﴾ عند تفسير قوله تعالى: "﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِنْبًا مُتَشَدِّهَا مَثَانِي نَفْسَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَحْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾" (١) يقول الإيجي: "لما يرجون من رحمته ولطفه فهم بين الخوف والرجاء ولتضمين ﴿تَلِينُ﴾ معنى السكون عداه بـ ﴿إِلَى﴾". (٢)

ومن ذلك أيضاً تضمين ﴿يَرْهَبُونَ﴾ معنى الخضوع إذا أدخلت عليه اللام ذكر ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَفِي نُحُوتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ (٣) يقول الإيجي: "للخائفين ودخول اللام في المفعول لضعف الفعل بالتأخير. وقيل في ﴿يَرْهَبُونَ﴾ تضمين معنى الخضوع". (٤)

ومن ذلك أيضاً تضمين لفظ ﴿لِتَكْبُرُوا﴾ معنى "تشكروا" عند قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتَكْبُرُوا اللَّهُ عَلَى مَا هَدَيْكُمْ﴾ (٥) يقول الإيجي: "إلى كيفية التقرب إلى الله بها ولتضمين تكبروا معنى تشكروا عداه بعلی". (٦)

ومن ذلك أيضاً تضمين لفظ "الجحود" معنى الكفر عند قوله تعالى: ﴿أَفِينِعْمَةَ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (٧) يقول الإيجي: "حيث يتخذون معه شركاء والباء لتضمين الجحود معنى الكفر وقيل معناه جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم أفضل مما رزق ممالئكم وهو بشر مثلكم

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٢.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ١٣٩.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٤.

(٤) الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٢٣٦.

(٥) سورة الحج، الآية: ٣٧.

(٦) الإيجي، جامع البيان، ج ٢، ص ٥٠.

(٧) سورة النحل، الآية: ٧١.

فكان ينبغي أن تردوا أفضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا في المطعم والملبس ثم جعل عدم ردهم إلى المماليك من جملة جحود النعمة".^(١)

المطلب السادس: القلب.

وهو من المباحث التي لها أهمية بالغة عند أئمة العربية، وقد اختلف العلماء في جواز وقوعه في القرآن، وقد نقل الإيجي رأي أبي حيان في هذه المسألة، وجواز وقوعها في القرآن، فقال الإيجي: "وفي البحر: لا ينبغي أن يحمل القرآن على القلب، إذ الصحيح في القلب أنه إنما يضطر إليه في الشعر ولا ضرورة تدعو إليه هنا".^(٢)

ونقل السيوطي رأي ابن فارس بهذه المسألة فقال: "من سنن العرب القلب وذلك يكون في الكلمة، ويكون في القصة، فأما الكلمة فقولهم جبد وجذب وبكل ولبك، وهو كثير وقد صنفه علماء اللغة وليس في القرآن شيء من هذا فيما أظن".^(٣) إلا أن الإيجي قد ذكر هذا النوع في تفسيره واستشهد به مما يدل على جواز وقوعه عنده من ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ﴾^(٤) يقول الإيجي: "من باب القلب للمبالغة أي تعرض النار عليهم ولا فرق أن يقال يعرض الكافرون على النار وتعرض النار على الكافرين فافهم".^(٥)

وبعد فهذه أبرز المعاني اللغوية التي تلحظ من أقوال الإيجي في التفسير.

المطلب السابع: الاستشهاد بالشعر.

الشعر ديوان العرب، وذلك لأن له دلالة خاصة للمعاني والمفردات القرآنية، وقد أشاد العلماء بأهميته وضرورته وقد فطن المفسرون - منذ عصر الصحابة رضوان الله عليهم - إلى دور الشعر وأهميته باعتباره ديوان العرب، وسجل لغتهم التي نزل بها القرآن يقول حبر الأمة عبد الله بن عباس - رضي الله عنه "الشعر ديوان العرب، فإذا خفي عليهم الحرف من القرآن


(١) الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٣٨٣.

(٢) المرجع السابق، ج ٣، ص ٢٥٦.

(٣) السيوطي، المزهري، ج ١، ص ٤٧٦.

(٤) سورة الأحقاف، الآية: ٢٠.

(٥) الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٢٥٦.

الذي أنزله الله بلغتهم رجعوا إلى ديوانهم" وعنه - من طريق عكرمة - أنه قال: "إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب".^(١) وروي عن عمر بن الخطاب أنه قرأ على المنبر قوله عز وجل "﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾"  ثم قال ما تقولون فيها؟ فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال: نعم قال شاعرنا زهير:


تَخَوُّفَ السَّيْرِ مِنْهَا تَامِكاً قَرِداً كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّقْنِ ^(٢)

فقال عمر: أيها الناس عليكم بديوانكم قالوا وما ديواننا قال: شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه حيث قال "إذا سألتموني في الشعر فإن الشعر ديوان العرب".^(٤)

وقد أورد الإيجي أبياتاً من الشعر في تفسيره، استشهد بها لأغراض عدة منها:

١- توضيح المعنى وتأكيده.

ومن الأمثلة على ذلك ما نقله من شعر حسان بن ثابت عند تفسيره لقول الله تعالى:

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ 

^(٥) يقول الإيجي: "أي أحد الفريقين ممن يوحد الرزاق بالعبادة وممن يشرك به الجماد، لعل أحد الأمرين: إما مستعل على ذروة الهدى أو منغمس في حضيض الضلال وليس هذا على

١ (ينظر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ٢٩٤.

٢ (سورة النحل، الآية: ٤٧.

٣ (المعنى الإجمالي: يعني ناقلة تنقص سيرها من سنامها بعد تمكنه واكتنازه.

والنبيع: شجر معروف.

وقال الأعشى:

ونحن أناس عودنا عود نبيعة إذا افتحر الحيان بكر وتغلب

والسفن: الفأس، وهو ينتقص العود وينحته حتى يصنع منه سفينة، ومنه سميت سفينة بمعنى مسفونة أي منحوتة منجورة منتقصة الأعواد بالسفن والتامك: المرتفع من السنام. والقرود المتلبد بعضه على بعض. ينظر الزركشي، البرهان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ج ١، ص ٣٦٩، وينظر الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، كتاب الأغاني، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٩٩٤م، ج ٦، ص ٣٤٠، وينظر البغدادي، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٢٤٠.

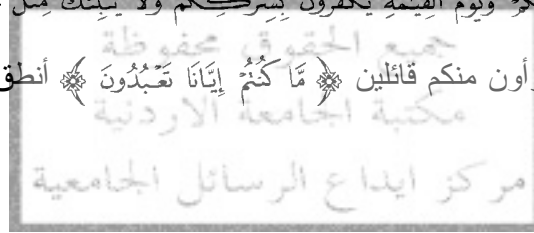
٤ (ينظر الزركشي، البرهان، ج ١، ص ٣٦٩.

٥ (سورة سبأ، الآية: ٢٤.

سبيل الشك بل على الإنصاف في الحجاج وهو أبلغ من التصريح في هذا المقام – قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكَفٍ فَشَرُّكُمْ لَخَيْرِكُمْ الْفِدَاءُ^(١) (٢)

فبعد أن بين الإيجي تخالف حروف الجر الداخلتين على الحق والضلال يستشهد على ما بينته الآية من معنى الإنصاف في الحجاج – أي كل من يسمعه يقول لمن خاطب به أنصفك صاحبك – بما روي من شعر حسان بن ثابت في هجاء أبي سفيان وما فيه من معنى الإنصاف قال صاحب أخبار الرازي بالله: "قال علماء الأدب هذا أنصف بيت قالته العرب، في الهجاء".^(٣) ومن الشواهد على ذلك أيضاً ما أورده عند تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾^(٤) يقول الإيجي^(٥): "أي يتبرأون منكم قائلين ﴿مَا كُنْتُمْ إِنَّا نَعْبُدُونَ﴾ أنطق الله الأصنام وهو القادر



١) هذه الأبيات قالها حسان في أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن الهاشم، وهو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، وكان أخاه من الرضاعة، أرضعتها حليلة ابنة أبي ذؤيب السعدية، وكان من أكثر الناس شبيهاً برسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان له فيه هجاء، وكان حسان يجاوب عنه، ومنها قوله:

ألا أبلغ أبا سفيان عني	مغلطة فقد برح الخفاء
هجوت محمداً فأجبت عنه	وعند الله في ذلك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفٍ	فشركما لخيركما الفداء
فإن أبي ووالده وعرضي	لعرض محمدٍ منكم وقاء

وقوله: فشركما لخيركما الفداء، فيه كلام لأهل العلم لأجل شر وخير لأنهما من أداة التفضيل، وتقتضي المشاركة. وإنما أجابه حسان بأمر النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك. ثم إن أبا سفيان أسلم عام الفتح، وكان ذلك في السنة الثامنة من الهجرة، وحسن إسلامه، وخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وحنين. ولما انهزم المسلمون يوم حنين كان أبو سفيان أحد السبعة الذين ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وسلم.

ينظر: ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، أدب الكاتب، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤١٧ هـ، ص ٤٨، وينظر الأصفهاني، كتاب الأغاني، ج ٤، ص ٣٥٥، وينظر: الصولي، أبو بكر محمد، أخبار الرازي بالله والمتقي لله، أو الدولة العباسية، من سنة ٣٢٢، إلى سنة ٣٣٢ هـ، من كتاب الأوراق، دار المسيرة بيروت، ط ٢، ١٩٧٩ م، ص ١٨.

٢) الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٥٤.

٣) الصولي، أخبار الرازي بالله، ص ١٨، مرجع سابق.

٤) سورة فاطر، الآية: ١٤.

٥) الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٦٧، يقول المحقق أحمد محمد شاکر والبيت لذي الرمة.

على كل شيء قيل: هذا على سبيل التجوز، فإنه لما ظهر جمودها وعدم نفعها فلسان حالها ينطق، كما قيل:

وَقَفْتُ عَلَى رِبْعٍ لَمِيَّةٍ نَاطِقٍ تَخَاطَبُنِي أَثَارُهُ وَأَخَاطِبُهُ^(١)

فالإيجي يذكر معنيين للآية، الأول: على سبيل الحقيقة أي أن الله تعالى أنطق الأصنام حقيقة وهو القادر على ذلك، والثاني: على سبيل التجوز والإفتراض وهو من أساليب العرب في الخطاب وذلك حين ظهر جمودها وعدم نفعها مستشهداً على المعنى الثاني بما نقل على لسان العرب من شعر وهم يخاطبون أطلالهم.

ومن ذلك أيضاً تأكيده على استبعاد إنتفاع الكافر بالذكرى فعند قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن

نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾^(٢) يقول الإيجي: "عظ بالقرآن إن نفع التذكير - قيل ﴿إِن﴾ بمعنى "أو" نحو ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وفي البحر: وهذا الشرط إنما جيء به توبيخاً لقريش، أي إن نفعت الذكرى في هؤلاء الطغاة العتاة ومعناه استبعاد انتفاعهم بالذكرى فهو كما قال الشاعر:

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي^(٣)

١) والبيت فيه خلاف والأرجح أنه لذي الرمة ذكره أصحاب كتب اللغة تحت باب (التوهم والإيهام) وهو ومن سنن العرب التوهم والإيهام وهو أن يتوهم أحدهم شيئاً ثم يجعل ذلك كالحق. ومنه قولهم: وقفت بالربيع أسأله وهو أكمل عقلاً من أن يسأل رسماً يعلم أنه لا يسمع ولا يعقل لكنه تفجع لما رأى السكّن رحلوا وتوهم أنه يسأل الربيع أن اثووا. وذلك كثير في أشعارهم، قال:

وقفتُ على رِبْعٍ لَمِيَّةٍ نَاطِقِي
وأسألُ حتى كادَ مما أَيْئُهُ
فما زلت أبكي عنده وأخاطبُهُ
تكلمني أحجارُهُ وملاعِبُهُ

وتوهم وأوهم أن تمّ كلاماً ومكّماً. ينظر: ابن فارس الصحابي، في فقه اللغة وسنن العرب، في كلامها، تحقيق أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ص ٣٧٧، قال صاحب طبقات فحول الشعراء: "الربيع المنزل وأسقيته أدعو له بأن يسقى الغيث وأبته أخبره بما في نفسي والملاعب جمع ملعب وهو موضع اللعب. ينظر: الجمحي، محمد بن سلام طبقات فحول الشعراء، شرح محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ج ٢، ص ٥٥٢، وينظر: "وابن قتيبة، أدب الكاتب، ص ٤٦٢، وقد أجمعت المصادر السابقة أن البيت لذي الرمة وهذا ما ذكره أيضاً المحقق أحمد محمد شاكر، جامع البيان، ج ٣، ص ٦٧.

٢) سورة الأعلى، الآية: ٩.

٣) قال الراغب الأصفهاني: "اجتمع يحيى بن زياد وحماد وبشار على طعام، فوقف سائل بالباب فقال: يا مسلمين. فقال يحيى: فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون. فقال: ارحموني. فقال حماد: فد رحمنك! فقال: اسمعوا كلامي. فقال بشار:

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي

ينظر: الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تحقيق عمر الطباع، باب "تعويض السائل بمن خيب"، ج ١، ص ٦٢٠.

كما نقول: قل لفلان واعدله إن سمعك فقول "إن سمعك" إنما هو توبيخ وإعلام أنه لن يسمع".^(١)

٢- شرح اللفظة القرآنية والوقوف على المعنى المراد منها.

من ذلك بيان معنى: ﴿ أَتَقِينَ ﴾ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يٰۤاَيُّهَا الَّذِيۤنَ كَفَرُوا مِنْ ٱلنِّسَاءِ إِنۢنَّ ٱتَّقِينَ فَلَآ تَخۡضَعْنَ ٱلۡقَوۡلَ ﴾^(٢) قوله إن اتقيتن يحتمل أن يكون جوابه محذوفا يدل عليه ما قبله لأن جواب الشرط لا يتقدم عليه ويحتمل أن يكون جوابه: ﴿ فَلَآ تَخۡضَعْنَ ﴾ قال صاحب البحر: عندي أن معنى ﴿ أَتَقِينَ ﴾ استقبلتن أحداً فلا تخضعن و"اتقى" بمعنى "استقبل" معروف في اللغة قال النابغة:

سَقَطَ النِّصِيفُ وَلَمْ تُرَدِّ إِسْقَاطُهُ فَتَنَّاوَلْتُهُ وَاتَّقَنَّا بِٱلۡيَدِ^(٣)

أي استقبلتنا باليد ويكون هذا المعنى أبلغ في مدحهن إذ لم يعلق فضيلتهن على التقوى ولا علق نهيهن عن الخضوع بها إذ هن متقيات الله في أنفسهن والتعليق يقتضي ظاهره أنهن لسن متحليات بالتقوى".^(٤)

فالإيجي يرى أنه من الأنسب حمل معنى ﴿ أَتَقِينَ ﴾ على استقبلتن وهو معروف في كلام العرب لما في هذا المعنى مناسبة لظاهر النص إذ أن حمل الآية على غير هذا المعنى - أي من التقوى - يقضي بأن تكون نساء النبي غير متحليات بالتقوى مستشهداً على ما ذكر بما ورد على لسان النابغة الذبياني مما يدل صراحة على أن من معاني إتقيتن "استقبلتن".

(١) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٤٨٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٢.

(٣) قال صاحب التذكرة الحمдонية: "وقال النابغة الذبياني يصف امرأة النعمان بن المنذر:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقنتا باليد

بمخضب رخص كأن بنائه عنم على أغصانه لم يعقد

ينظر: ابن حمدون، محمد بن الحسين بن محمد بن علي، التذكرة الحمدونية تحقيق إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة ١٩٩٦م، ج٥، ص٣٠٣.

والنصيف: الخمار، والجمع أنصفة ونصف. والعنم: فيما ذكر أبو عبيدة، يساريع حمر تكون في البقل في الربيع. ينظر: الأصفهاني أبو الفرج، الأغاني، ج١١، ص١١.

(٤) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٢٩.

ومن ذلك وقوفه على معنى ﴿اللَّمَّ﴾ عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ﴾^(١) يقول الإيجي: "أي الصغائر فالإستثناء منقطع أو ﴿إِلَّا﴾ بمعنى "غير" صفة وحرف التعريف في الموصوف للجنس فهو حكم النكرة وقد ورد أنه عليه الصلاة والسلام قال:

"إِن تَغْفِرَ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا فَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ مَا أَلَمَّا"

أو اللمم من الكبائر فالمعنى يجتنبون من الكبائر كلها مطلقاً إلا القليل منها بمعنى أنه يلم بها مرة أو مرتين فيتوب عن قريب فلا يجعلها عادة وهو قول كثير من السلف.^(٢)

٣- الإستشهاد على قضايا نحوية:

من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنِّي لِي كَرَّةٌ

فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣) يقول الإيجي^(٤): "نصب ﴿فَأَكُونُ﴾ على جواب التمني وقيل:

عطفه على: ﴿كَرَّةٌ﴾ فيكون مثل قوله:

وَلَيْسُ عِبَادَةٌ تَقْرُ عَيْنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لَيْسِ الشُّفُوفِ^(٥)

١ (سورة النجم، الآية: ٣٢.

٢ (الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٣٢٣.

٣ (سورة الزمر، الآية: ٥٨.

٤ (الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص١٤٨.

٥ (ولما اتصلت ميسون بنت بحدل بمعاوية رضي الله عنه ونقلها من البدو إلى الشام كانت تكثر الحنين على ناسها والتذكر لمسقط رأسها، فاستمع عليها ذات يوم فسمعها تنشد وتقول:

لبيتٌ تحفق الأرواح فيه	أحب إلي من قصر منيف
وكلبٌ ينبح الطراق عني	أحب إلي من قطُّ ألصوف
وليس عباةٍ وتقر عيني	أحب إلي من لبس الشفوف
وأكل كسيرة في كسر بيتي	أحب إلي من أكل الرغيف
وأصوات الرياح بكل فجج	أحب إلي من نقر الدفوف

فلما سمع معاوية الأبيات قال: ما رضيت ابنة بحدل حتى جعلتني علجاً عنيفاً. قال: صاحب خزانة الأدب: "على أن تقر" منصوب بأن مضمره بعد الواو، وأن تقر" في تأويل مصدر معطوف على مصدر وهو ليس. وهذه رواية الكوفيين، والرفع رواية البصريين، وليس عباة في غالب كتب النحو لبس بلامين، وهو خلاف الرواية الصحيحة. والعباء، وكذا العباية: الحبة من الصوف ونحوها، وقيل: كساء مخطط. وتقر، بفتح القاف، من قولهم: عين قريرة، أي: باردة من البرد، الذي هو النوم، وقيل من البرد هو ضد الحر، أو من القرار وهو السكون، لأن العين إذا قرت سكنت عن الطموح إلى شيء، والشفوف: جمع شف بكسر الشين وفتحها، وهو الثوب الرقيق، سمي بذلك لأنه يستشف ما وراءه، أي: يبصر. ينظر: البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب وليباب لسان العرب، تحقيق: محمد الطريقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، ص٥٠٥، وابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٧، ص٤١٦، والزمخشري، ربيع الأبرار وفصوص الأخبار، تحقيق: عبد الحميد زياب ورمضان عبد التواب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج١٢، ص١١٧.

فالإيجي يرى في نصب ﴿فَأَكُونَ﴾ وجهين من وجوه النحو، الأول: على أنها جواب للتمني والثاني: أن تكون معطوفة على المصدر وهو ﴿كَرَّةً﴾ المنصوبة، مستشهدا على هذا الوجه بما ورد على لسان ميسون بنت بحدل حين رفعت "وتقرُّ" على تقدير عطفها على المصدر "ليس"، وهذه رواية البصريين وبالنصب على رواية الكوفيين.

٤- الاستشهاد بالشعر على أسلوب من أساليب الكلام .

كما فعل رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^(١) يقول الإيجي: " - وقيل تقديره لو أراد اتخاذ الولد لا يمتنع الإرادة أو الإتيان، لأن الولد محذوف جواب ﴿لَوْ﴾ وقوله ﴿لَأَصْطَفَى﴾ دال عليه قائم مقامه. ووجه الدلالة أنهم لما قالوا في موقع اللازم للشيء ما هو متناظر له علم بذلك امتناعه، لأن تخصيص بعض المخلوقات بالقرب وإكرامه ليس البتة من اتخاذ الولد، والكلام على أسلوب:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب^(٢)

(١) سورة الزمر: الآية: ٤.

(٢) والبيت للنايعة يقول صاحب كتاب معاهد التنصيص: "من الطويل، يمدح بها عمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر حين هرب من النعمان بن المنذر اللخمي من الحيرة... باب: تأكيد المدح بما يشبه الذم: ومنه تأكيد المدح بما يشبه الذم وهو ضربان، أفضلهما أن يستثني من صفة ذم منفية عن الشيء مدح بتقدير دخولها فيها كقول النايعة الذبياني:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

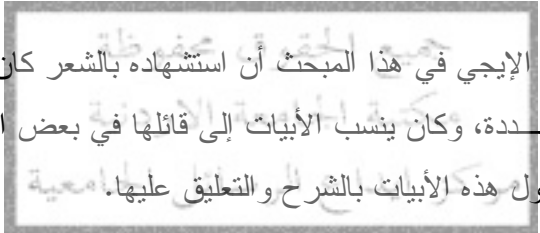
أي إن كان فلول السيف من قراع الكتائب من قبيل العيب فائتت شيئاً من العيب على تقدير أن فلول السيف منه وذلك محال فهو في المعنى تعليق بالمحال، الفلول: جمع فلّ، بفتح الفاء، وهو كسر في حدّ السيف؛ وسيف أقلّ بين الفلّ؛ يقال: فلّه فانفلّ أي: كسره فانكسر؛ وقللت الجيش أي هزمتهم. والقراع: المضاربة، مصدر قارعه؛ يقال قرعته بالمقرعة: إذا ضربته بها؛ وقرعت الباب: إذا طرقته. والكتائب: جمع كتيبة، وهي الطائفة المجتمعة من الجيش.

وهذا البيت مشهور، قد تداوله العلماء في تصانيفهم، وقد أورده علماء البديع شاهداً لتأكيد المدح بما يشبه الذم؛ فإنه نفى العيب عن هؤلاء القوم على جهة الاستعراق، ثم أثبت لهم عيباً وهو تنلّم سيوفهم من مضاربة الجيوش. وهذا ليس بعيب، بل هو غاية المدح؛ فقد أكد المدح بما يشبه الذم.

ينظر: العباسي، عبد الرحيم بن أحمد، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق محي الدين محمد، عالم الكتب، بيروت ١٣٦٧هـ، ج٢، ص ١٨٤.

أي لو فرض اتخاذ الولد لم يكن إلا اصطفاء بعض مخلوقاته بالقرب. وهو ليس الإتيان في شيء وهذا غاية في امتناع الإتيان. والظاهر أنه على قاعدة "نعم العبد صهيبي لو لم يخف الله لم يعصه" وهو ثبوت الجزاء على كل حال. يعني الإمتناع متحقق على تقدير إرادة الإتيان فكيف على تقدير عدمها. فتأمل".^(١)

فبعد أن بين الإيجي أن الله تعالى لو أراد الإتيان لاختار الأفضل لكن اللازم محال - وهو كون المخلوق من جنس الخالق - فكذا الملزوم - وهو إرادة الإتيان فضلا عن الإتيان - ، فالإمتناع متحقق على كلا التقديرين أي - على تقدير إرادة الإتيان فكيف على تقدير عدمها. وهذا أسلوب من أساليب العرب في الخطاب لذا استشهد الإيجي بما نقل على لسان النابغة والمعنى "إن كانت فلول السيف من ذلك عيبا فأثبتته وهي ليست عيبا فلا عيب فيهم قط وهو مبالغة في المدح".^(٢)

ويلحظ على الإيجي في هذا المبحث أن استشهاده بالشعر كان بصورة ضيقة إذ لم ترد إلا في مواطن محددة، وكان ينسب الأبيات إلى قائلها في بعض الأحيان والبعض الآخر لا ينسبها، كما أنه لم يتناول هذه الأبيات بالشرح والتعليق عليها. 

المطلب الثامن: الاستشهاد بأمثال العرب وكلامهم ولهجاتهم:

اهتم الإيجي في جامع البيان بما ورد على لسان العرب من كلام فصيح ولهجات وأمثال، استخدمها في مجالات عدة نذكر منها:

١- بيان معاني المفردات.

استعان الإيجي بما ورد على لسان العرب لتوضيح المفردة القرآنية كما فعل رحمه الله حين استشهد على معنى: ﴿يَعُودُونَ﴾ بما نقل على لسان العرب من الأمثال فعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحَرِّرْ رُبَّهُ﴾^(٣) يقول الإيجي: "أي يتداركون ما قالوا والمتدارك عائد إليه ومنه المثل "عاد غيث ما أفسد" أي تداركه بالإصلاح".^(٤)

(١) الإيجي، جامع البيان ج٣ ص١٢٢

(٢) ينظر المرزوقي، محمد عليان، مشاهد الإنصاف على شواهد الكشف، طبعة دار المعرفة، ص ١٠.

(٣) سورة المجادلة، الآية: ٣.

(٤) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص ٣٦٢.

ومن ذلك أيضا وقوفه عند ﴿بَعْلًا﴾ وبيان أنها من لهجة أهل اليمن عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿أَنْدَعُونَ بَعْلًا وَّنَدْرُوتَ أَحْسَنَ الْأَخْلَاقِينَ﴾ ﴿١٦﴾ 'بين الإيجي أن معنى كلمة "بعل" الرب في لهجة أهل اليمن يقول: "بعلا : ربا والبعل الرب قال ابن عباس وعكرمة وقتادة والسدي بلغة اليمن"^٢

ومن ذلك أيضا وقوفه عند ﴿حَشَّ﴾ وبيان أنها لغة أهل الحجاز عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ وَقَطَّعْتَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَشَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿٣﴾ يقول الإيجي: "أصله حاشا فحذفت الألف تخفيفا وهي من حروف الجر وضعت موضع التنزيه والبراءة كأنه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبيريء وينزه كسقيا لك والمعنى تنزيها لله من العجز وتعجبا من قدرته على هذا الخلق الجميل فإنه لم يعهد للبشر مثل ذلك الجمال،... وهو لغة الحجاز".^(٤)

جميع الحقوق محفوظة

٢- الاستدلال على بعض القضايا النحوية. الجامعة الأردنية

من ذلك استشهاده بلهجة "بني تميم" لبيان النكتة في رفع لفظ الجلالة ﴿اللَّهُ﴾ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْبُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ ﴿٥﴾ يقول الإيجي: "وقد ذكر أنها نزلت حين سأل المشركون متى البعث والإستثناء منقطع ورفع على لغة بني تميم واختيار تلك اللغة لنكتة وهي المبالغة في نفي علم الغيب عن غيره".^(٦)

فمن المعروف عند علماء النحو أن الرفع يدل على الثبات والمبالغة.

(١) سورة الصافات، الآية: ١٢٥.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص١٠٦.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٣١.

(٤) الإيجي، جامع البيان، ج١، ص٣٣٢.

(٥) سورة النمل، الآية، ٦٥.

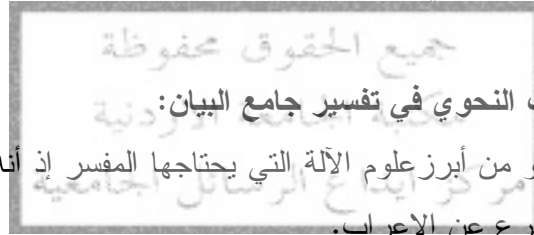
(٦) الإيجي، جامع البيان، ج٢، ص١١٥.

٣ - الإستشهاد على بعض القراءات القرآنية.

من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(١) يقول الإيجي: "أي اتقوا الأرحام أن تقطعوها - هكذا فسره ابن عباس ومجاهد والضحاك وجمع لا يحصى من السلف وقيل عطف على محل به فإن العرب كثيراً ما يقولون أسالك بالله وبالرحم وقراءة من قرأ والأرحام بالجر مشعر بذلك".^(٢)

فالإيجي يستشهد بما نقل على لسان العرب من "سؤالهم بالله وبالرحم" لتوجيه قراءة من قرأ: ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ بالجر.

وهكذا لوحظ كيف أن الإيجي قد سخر ما ورد على لسان العرب من أمثال ولهجات وغيرها في خدمة النص القرآني.



وقد ظهرت الصنعة النحوية بجلاء في جامع البيان مع إيجاز دقيق في العبارة وليس غريباً على الإيجي أن يسلك هذا المسلك في الإستشهاد بعلم النحو في تفسيره بل كان مقتنيا أثر السلف.

ومن الجدير بالذكر أن نبيين أن الإيجي قد تعرض لأصول منهجه في تناول أوجه اللغة والإعراب في مقدمة تفسيره فقال: "أما أوجه الإعراب فما اخترت إلا الأظهر، والذي ذكرت فيه وجهين أو وجوها فلنكتة لا تخفى على المتأدب، فإن قرع سمعك شيء يخالف الكشاف ومن تبعه فلا تعجل إلى الرد إنكاراً وارجع بصر البصيرة لعلك تجد من جانب طور العلم ناراً، مع أنني لا أدعي عدم الخطأ والخلط والسهو والزلل، نعم اجتهد غاية الإجتهد في تنقيح الكلام، وللمجتهد أجر وإن حرم إصابة المرام".^(٣)

١ (سورة النساء، الآية: ١.

٢ (الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ١١٦.

٣ (الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٥.

من الممكن تلخيص كلامه الذي يمثل أبرز معالم منهجه في تناول مسائل النحو والإعراب بمايلي:

١- أنه لم يختَر إلا الأظهر من وجوه الإعراب.

وقد قصد الإيجي من كلامه، أنه في الأعم الأغلب كان يقتصر على عرض رأي إحدى المدرستين النحويتين الكوفية أو البصرية مختاراً منها الأظهر .

كما فعل رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا فِتْنَةَ لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(١) حيث تعرض الإيجي للمدرسة الكوفية فقط فقال: "قوله ﴿لَا تُصِيبَنَّ﴾، إما جواب الأمر على مذهب الكوفيين، فتقديره أن لا تتقوا لا تصب الظالمين خاصة ودخول النون لما فيه من معنى النهي، كان إصابة الفتنة إليهم خاصة مطلوب وإما صفة فتنة ولا للنهي لأن النون لا تدخل المنفي في غير القسم بتقدير القول أي فتنة مقولا في حقها".^(٢)

ومثال تعرضه للمدرسة البصرية ما اختاره منها عند تفسيره لقول الله تعالى: "﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَلَوْ رُؤِسْتُمْ﴾"^(٣) يقول الإيجي: "جزم ﴿يَسْتَغْفِرْ﴾ على جواب الأمر و﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ يطلبه عاملان وإعمال الثاني "﴿يَسْتَغْفِرْ﴾ على المختار عند البصريين ولو عمل "﴿تَعَالَوْا﴾" لقال: إلى رسول الله".^(٤)

٢. وفي بعض الأحيان يذكر الإيجي أكثر من وجه في الإعراب فيكون لنكتة أراد بيانها.

ويقصد من كلامه هذا تعرضه في بعض الأحيان إلى رأي المدرستين معا ويكون هنا قد رأى صوابهما فينقل دون ترجيح كما فعل رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: "﴿يَوْمَ هُمْ بَدْرُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾"^(٥) يقول الإيجي: "قيل ﴿يَوْمَ هُمْ

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٥.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٢٥٣.

(٣) سورة المنافقون، الآية: ٥.

(٤) الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٣٨٩.

(٥) سورة غافر، الآية: ١٦.

بَرُّوْنَ ﴿١﴾ معمول لقوله: ﴿لَا يَخْفَى﴾ و ﴿يَوْمَ﴾ إذا أُضيفت إلى جملة إسمية فعند البصريين أنه معرب وعند الكوفيين يجوز الإعراب والبناء".^(١)

حيث تعرض الإيجي في المثال السابق إلى المدرسة الكوفية والبصرية معا في بيان ما في قوله تعالى ﴿يَوْمَ﴾ من وجوه إعراب مما يدل على تمكنه من معرفة لآراء المدارس النحوية. وقد ينقل تلك الوجوه أحيانا دون ذكر لمدارس النحو ما دامت تلك الوجوه يمكن حملها في الآية الكريمة.

كما فعل رحمه الله في بيان وجوه الإعراب لقوله تعالى ﴿أَنْ يُؤْتِيَ﴾ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتِيَ أَحَدٌ مَثَلًا مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوْكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنْ أَلْفَضَلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢) يقول الإيجي: وفي موقع أن يؤتى ثلاثة أوجه الأول: أن يتعلق بفعل مضمر على حذف اللام أي وقل فعلتم ما فعلتم من الكيد لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ولما يترتب من غلبتهم بالحجة يوم القيامة أي لم يكن لكم داع إلى هذا الكيد سوى الحسد ﴿أَوْ﴾ بمعنى "إلى أن" يعني حتى يحاجوكم فيدحضوا حجتكم الثالث: أن ينتصب بفعل مضمر تقديره قل إن الهدى هدى الله ولا تتكروا أن يؤتى أحد ويكون لأحد وسيلة غلبة عليكم".^(٣)

حيث ذكر الإيجي لقوله تعالى ﴿أَنْ يُؤْتِيَ﴾ ثلاثة أوجه، دون التعرض لأي من المدارس النحوية المشهورة.

(١) الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ١٦١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٣.

(٣) الإيجي، جامع البيان، ج ١ ص ٩١، باختصار يسير.

٣- قد يخالف الكشاف في مواطن كثيرة معتمداً في كثير من الأحيان في مناقشاته هذه على ما ينقله من البحر المحيط لأبي حيان.

وقد صرح الإيجي بموقفه هذا من الزمخشري في أكثر من موطن فقال: "أن الزمخشري ومن يحذو حذوه أعرضوا عن المعنى المنقول عن الرسول صلى الله عليه وسلم في الكتب الصحاح لأجل عدم فهم مناسبة لفظية أو معنوية وإن نقلوه: ما ذكروه إلا آخر الأمر بصيغة التمريض".^(١)

ومن الأمثلة على ذلك ما تناوله الإيجي من نقد للزمخشري عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٢﴾ يقول الإيجي: " - وفي البحر: ولا يراد بقليل هنا النفي المحض كما زعم الزمخشري لأنه منصوب ولم تستعمل العرب قليلاً إذا انتصب بالفعل هنا بل مقابلاً للكثير وإما بمعنى النفي فلا يكون إلا في أقل نحو: "أقل رجل يقول ذلك إلا زيد" ... القليل هو: إقرارهم إذا سئلوا من خلقهم؟ فقالوا الله".^(٣)

وبالرجوع إلى الكشاف نجد أن الزمخشري يقول: "والقلة في معنى العدم أي لا تؤمنون ولا تذكرون البتة"^(٤) وهذا النفي المحض مخالف لما سمع من كلام العرب فالمشهور في كلامهم استعمال ﴿ قَلِيلًا ﴾ في مقابل الكثير وليس في مقابل الكثير نفيًا محضاً أما النفي المحض قد اشتهر استعماله بكلمة "أقل" كما هو مبين في المثال السابق".^(٥)

ومن ذلك أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ بِوَجْدِهِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَتَى وُفِّرَدَيْتُمْ ثُمَّ تَنْفَكُوا مَّا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ ﴾^(٦) يقول الإيجي: "في تفسير ﴿ أَنْ تَقُومُوا ﴾: - في البحر يشترط في عطف البيان أن يكون معرفة على معرفة وهو مذهب البصريين وأما مذهب الكوفيين فهو تابع لما قبله في التعريف والتكثير وأما التخالف فلم يذهب إليه ذاهب وقد رد

(١) المرجع السابق، ج١، ص٥.

(٢) سورة الحاقة، الآية: ٤١.

(٣) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٤١٩.

(٤) الزمخشري، الكشاف، طبعة دار المعرفة، ج٤، ص١٣٦.

(٥) قال أبو السعود في تفسير هذه الآية: "على أن القلة بمعنى النفي المحض أي لا تؤمنون ولا تتذكرون أصلاً" ينظر أبي السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٩، ص٢٧.

(٦) سورة سبأ، الآية: ٤٦.

النحويون على الزمخشري في قوله تعالى: ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (١) أن ﴿ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ عطف بيان من قوله ﴿ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ (٢).

فما ذكره الزمخشري من تخالف في عطف البيان لم تذهب إليه أي من المدرستين النحويتين إلا أن الزمخشري بين الوجه الذي استند إليه في مذهبه هذا فقال عند تفسير قوله تعالى ﴿ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ عطف بيان لقوله ﴿ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ ثم علل هذا العطف بقوله: "كيف بيان الجماعة بالواحد؟ - قلت - فيه وجهان أحدهما أن يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالاته على قدرة الله ونبوة إبراهيم من تأثير قدمه في حجر صلد كقوله تعالى ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ والثاني اشتماله على آيات لأن أثر القدم في الصخرة الصماء آية وغوصه فيها إلى الكعبين آية والآن بعض الصخر دون بعض آية،... (٣) والله أعلم.

وليس هذا معناه أن الإيجي وقف من أبي حيان موقف الناقل المسلم له ومن الزمخشري موقف الناقد، بل نجد أن الإيجي لم يسلم لأبي حيان أيضا في كثير من المسائل، مرجحا في نفس الوقت ما يراه الزمخشري، مما يدل على الشخصية العلمية في التمهيص والترجيح وعدم التعصب الأعمى في موقفه من الزمخشري.

من ذلك ما فعله رحمه الله في الرد على صاحب البحر والاعتماد على الزمخشري عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ﴾ (٤) يقول الإيجي: أي أقبل ظلامه أو أدبر والأول أولى لقوله تعالى: ﴿ وَالضُّحَى ﴾ ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾ (٥) وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا بَغَشَى ﴾ (٦) والتحقيق: أن السواو للعطف والظرف في مثل هذا الموضع معمول مضاف مقدر أي وبعظمة الليل إذا، فإن الإقسام بالشيء إعظام له كما صرح به الزمخشري في ﴿ لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (٧)

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٥٩.

(٣) ينظر الزمخشري، الكشاف، طبعة دار المعرفة، ج ١، ص ٢٠٤.

(٤) سورة التكوير، الآية: ١٧.

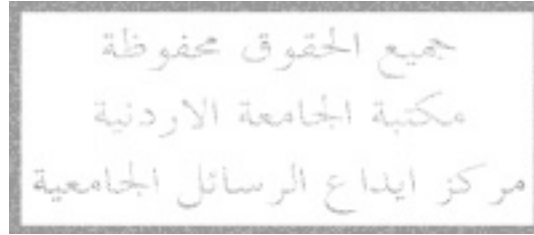
(٥) سورة الضحى، الآية: ٢، ١.

(٦) سورة الليل، الآية: ١.

(٧) سورة القيامة، الآية: ١.

لا أنه معمول لفعل القسم لفساد المعنى إذ ليس المراد إقسامه في الليل وفي الصباح. أو ﴿إِذَا﴾ بدل كأنه قيل: والليل وقت غشيانه ومثل هذا شائع وجاز: تقدير مضاف هو العامل، ويجوز أن يقسم الآن بطلوع النجم في المستقبل، فالقسم في الحال والطلوع في المستقبل، وجاز القسم بما سيوجد وجاز أن يقدر: والنجم كائنا إذا هوى والليل كائنا إذا يغشى ويكون كائنا حال مقدرة وعامله فعل القسم ولا يضر كونه إنشائيا لأن الحال مقدرة هذا هو الصحيح ولا يحتاج لمنع صاحب البحر فافهم^(١).

فيلحظ فيما سبق ميل الإيجي لما رجحه الزمخشري وعدم موافقته لأبي حيان.



(١) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٤٦٩.

المبحث الرابع

علوم البلاغة في تفسير جامع البيان

يعد البحث البلاغي عنصراً أساسياً لا غنى عنه في دراسة وتفسير كتاب الله العزيز، المعجز ببيانه وفصاحته، الباهر بنظمه وبلاغته، إذ لا سبيل إلى الوقوف على خصائص تراكيبه وأسرار بيانه دون التمرس بأساليب البلاغة.

وقد نوه علماء التنزيل بضرورة تحصيل ما يتوصل به إلى إدراك فصاحة الألفاظ والتراكيب القرآنية، والوقوف على أسرارها البيانية، يقول صاحب البرهان: "وهذا العلم أعظم أركان المفسر، فإنه لا بد من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز من الحقيقة والمجاز، وتأليف النظم وأن يؤاخي بين الموارد ويعتمد ما سبق له من الكلام حتى لا يتتأفر".^(١)

وسنتعرف في هذا المبحث على الجانِب البلاغي من تفسير جامع البيان للإيجي، وكيف تناول علوم البلاغة بصورها الثلاث: "علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع" فقد طرقها الإيجي جميعاً، وعرض لكثير من صورها المتنوعة وأسأعرض فيما يلي إلى تلك المباحث مع ذكر الأمثلة والشواهد.

المطلب الأول: علم المعاني:

وهو العلم الذي نؤدي به الكلام حتى يكون مطابقاً لمقتضى الحال من تقديم وتأخير وحذف وذكر وفصل ووصل وتعريف وتكثير وقصر وإيجاز وإطناب".^(٢)

وسنتناول في هذا المبحث أهم ما تناوله الإيجي مما يتعلق بهذا العلم:

أولاً: التعريف والتكثير:

التعريف: "هو كل اسم معروف بنفسه، مختص لا يشكّل بغيره، والتكثير: "كل اسم شائع في جنسه، لا يختص به واحد دون واحد".^(٣)

(١) الزركشي، البرهان، ج١، ص٣١١.

(٢) فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، دار الفرقان، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ، ص٨٨.

(٣) الحيدرة اليمنى، علي بن سليمان بن أسعد، كشف المشكل في النحو، تحقيق: هادي عطية مطر، وزارة الأوقاف، بغداد ١٩٨٤م، ج٢، ص٨٢.

وهما من الأساليب البلاغية التي من حق البلوغ أن يراعيهما في الكلام، إذ لكل منهما موضعه الذي يتطلبه، ولا يحسن فيه غيره، فقد يحسن تعريف الكلمة في موضع، ولا يحسن فيه تنكيرها، ذلك لأن ما يفيد التنكير غير ما يفيد التعريف.

وللتعريف والتنكير عدة أغراض بلاغية، تستفاد من السياق النظمي، الذي يقع فيه وقد تعرض الإيجي في تفسيره لكثير منها نذكر من أهمها:

١- الدلالة على التقليل:

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخَالِطَةِ لَأَبْنَىٰ بِبَعْضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾^(١) يقول الإيجي: ﴿مَا﴾ مزيدة للإبهام وفيه تعجب من قلتهم مستفاد من المقام، وسوق الكلام وفي تنكير ﴿وَقَلِيلٌ﴾ وإفراده في موقع الجمع لكونه خبر ﴿هُم﴾ واقترانته بـ ﴿مَا﴾ الإبهامية من المبالغة في القلة ما لا يخفى.^(٢)

٢- الدلالة على التهويل:

ومن الشواهد في جامع البيان عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٣) يقول الإيجي: "ولكن عليها القفل فلا يدخل فيها الحق وتنكير قلوب للتهويل كأنه قيل: لا يقدر قدرها في القسوة والإفقال، أو لأن المراد قلوب بعضهم وإضافة "الأقفال" للدلالة على أقفال مناسبة لها لا تجانس الأقفال المعهودة".^(٤)

وهذا ما ذكره الزمخشري: حيث قال: "فإن قلت: لم نكرت القلوب وأضيفت الأفعال إليها قلت: أما التنكير ففيه وجهان: أن يراد على قلوب قاسية مبهم أمرها في ذلك أو يراد على بعض القلوب وهي قلوب المنافقين".^(٥)

(١) سورة ص، الآية: ٤.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص١١٨.

(٣) سورة محمد، الآية: ٢٤.

(٤) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٢٦٩.

(٥) الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص٣١٧-٣١٨.

٣- الدلالة على الإبهام:

ومن الأمثلة على ذلك عند تفسير قول الله تعالى: ﴿يَتَأَيَّأَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفُوا اللَّهَ وَتَنْظُرُ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَأَنْفُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١) يقول الإيجي: "لما كان يوم القيامة كائنا لا محالة عبر عنه بالغد على سبيل التقريب قال الحسن: لم يزل يقربه حتى جعله كالغد، وقيل كأن الدنيا والآخرة نهاران: يوم وغد، وتكثيره لتعظيمه وإبهام أمره كأنه قال لغد لا يعرف كنهه لعظمته". (٢)

هذه أهم الأغراض البلاغية للتعريف والتكثير التي ذكرها الإيجي في تفسيره.

ثانيا: التقديم والتأخير:

وهو "جعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية أو بعد، لعارض اختصاص أو أهمية أو ضرورة". (٣)

قال عبد القاهر الجرجاني: "هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية لا يزال يفتر لك عن بديعه، ويفضي بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن رافك، ولطف عندك، أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ من مكان إلى مكان". (٤)

ومن الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير والتي ذكرها الإيجي في تفسيره :

١- الدلالة على الأهمية:

(١) سورة الحشر، الآية: ١٨.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٣٧٥.

(٣) الطوفي، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم، الإكسير في علم التفسير، تحقيق: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة ١٩٧٧هـ، ص١٥٤.

(٤) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، جدة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ، ص١٠٦. قال سيبويه: "والظاهر أنهم يقدمون الشيء الذي شأنه أهم وهم به أعنى وإن كانا جميعا مهمين" وينظر الطوفي، الإكسير، ص١٥٤، مرجع سابق.

أشار إليه عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَيْفَاكَ إِلَهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾^(١) يقول الإيجي: "أي أتريدون آلهة - قدم المفعول وهو ﴿إِلَهَةٌ﴾ للعناية والإهتمام به و قدم المفعول له وهو ﴿أَيْفَاكَ﴾ لأن الأهم عنده أن يواجههم بأنهم على إفك وباطل".^(٢)

٢- تقديم الوسائل على الغايات:

ومن الأمثلة على ذلك في تفسير جامع البيان عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَائِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾^(٣) يقول الإيجي: "تقديم الشكر لأن الناظر بأدنى نظر في النعم يعرف أن لها منعمًا فيشكره وإن لم يعرفه زيادة معرفة ثم يفضي به إلى زيادة النظر في معرفته والتصديق به قدر ما يجب على العبد فالشكر المبهم أصل التكليف من الإيمان وغيره".^(٤)

ويبدو والله أعلم أن الإيجي استنقاد هذا المعنى من الكشف وهذا مما يؤخذ عليه، حيث أنه يأخذ عبارة الزمخشري ثم يتصرف بها قال، الزمخشري عند تفسيره لهذه الآية: "فإن قلت: لم قدم الشكر على الإيمان؟ قلت: لأن العاقل ينظر إلى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع، فيشكر شكرًا مبهمًا، فإذا انتهى به النظر إلى معرفة المنعم آمن به، ثم شكر شكرًا متقدمًا على الإيمان وكأنه أصل التكليف ومداره".^(٥)

٣- الحصر "التخصيص":

ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَتُعَزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٦) يقول الإيجي: "وتقديم الخبر للحصر".^(٧)

ومنه أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾^(٨) يقول الإيجي: "وتقديم الخبر للتخصيص والتشديد في الوعيد".^(٩)

١ (سورة الصافات، الآية: ٨٦.

٢ (الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص١٠٠.

٣ (سورة النساء، الآية، ١٤٦.

٤ (الإيجي، جامع البيان، ج١، ص١١٩.

٥ (الزمخشري، الكشف، ج١، ص٥٦٩.

٦ (سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

٧ (الإيجي، جامع البيان ج١ ص٨١

٤ - التقديم للأفضلية:

ومن شواهد ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَسَيَحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ أَنَايَ اللَّيْلِ فَسَيَحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾ (٣) يقول الإيجي: "وتقديم ﴿ وَمِنْ أَنَايَ اللَّيْلِ ﴾ لاختصاصه بمزيد مزية فإن أفضل الطاعات أحزمها والليل للإستراحة والنفس فيه مولعة إلى النوم والعبادة فيه أبعد من الرياء". (٤)

ثالثاً: الحذف والذكر:

الحذف: "هو ما يحذف فيه المفرد والجملة لدلالة فحوى الكلام على المحذوف ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظه" وهو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذب أنطق ما تكون إذا لم تتطرق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين". (٥)

وللحذف أغراض بلاغية كثيرة تناول الإيجي بعضها منها في جامع البيان وفيما يلي أهمها:

١ - دلالة الجواب عليه:

وقد أشار إليه الإيجي عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ ﴾ (٦) يقول الإيجي: "فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه" (٧)

والمقصود من كلام الإيجي أن مفعول شاء محذوف لأن الجواب يدل عليه والمعنى "ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بها" قال الزمخشري: "ولقد تكاثر هذا الحذف في

(١) سورة الغاشية، الآية: ٢٥.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٤٨٤.

(٣) سورة طه، الآية: ١٣٠.

(٤) الإيجي، جامع البيان، ج ٢، ص ٢٨.

(٥) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ١٠٤.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٠.

(٧) الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٩.

شاء وأراد ، ولا يكادون يبرزون المفعول إلا في الشيء المستغرب كقوله: "فلو شئت أن أبكي دما لبكيتة...".^(١)

٢- للاختصار:

ومن الأمثلة التي تشير إلى هذا الغرض عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ يَمُورُ أَعْمَلُوا عَلٰى مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ﴾^(٢) يقول الإيجي: "أي على منهجي - حذف على منهجي أو على مكاتي للاختصار".^(٣)

٣- للدلالة على الاختصاص:

أشار إلى هذا الغرض عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَحْسَ وَلَا رَهَقًا

﴾^(٤) يقول الإيجي: "أي فهو لا يخاف بحذف المبتدأ للدلالة على الإختصاص".^(٥)

وهذا المعنى أشارت إليه كتب التفسير قال الزمخشري: "فإن قلت أي فائدة في رفع الفعل وتقدير مبتدأ قبله حتى يقع خبراً له... قلت الفائدة فيه أنه إذا فعل ذلك فكأنه قيل لا يخاف فكان دالاً على تحقيق أن المؤمن ناج لا محالة وأنه هو المختص بذلك دون غيره".^(٦)

١ (ينظر الزمخشري، الكشاف، طبعة دار المعرفة، ج ١، ص ٤٣.

٢ (سورة الزمر، الآية: ٣٩.

٣ (الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ١٤٢.

٤ (سورة الجن، الآية: ١٣.

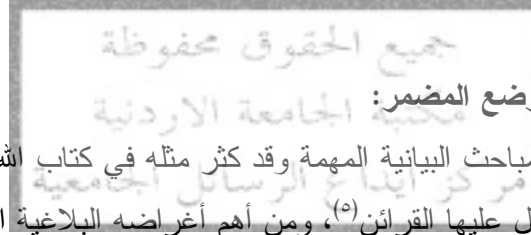
٥ (الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٤٢٩.

٦ (ينظر الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ١٤٨.

ومن أهم الأغراض البلاغية للذكر التي ذكرت في جامع البيان:
١- الدلالة على الأفضلية والأهمية.

ومن أمثلة التنبيه على هذا الغرض البلاغي في جامع البيان عند تفسير قوله تعالى: " ﴿ فِيهَا فَكْهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾" (١) يقول الإيجي: "أفردهما بالذكر لفضلهما فإن الرطب فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء". (٢)
٢- للتغليب.

ومن الشواهد عليه عند تفسير قوله تعالى: " ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾" (٣) يقول الإيجي: "خص هاتين الجهتين بالذكر لأن من يأتي شيئاً يأتيه غالباً من قدامه أو من خلفه وجعل الباطل مصدراً كالعافية". (٤)



رابعاً: وضع الظاهر موضع المضمرة:
وهو من المباحث البيانية المهمة وقد كثر مثله في كتاب الله تبارك وتعالى وله فوائد كثيرة تدرك بالذوق وتدل عليها القرائن (٥)، ومن أهم أغراضه البلاغية التي ذكرها الإيجي:

١- التهويل والتعظيم:

ومثاله عند تفسير قوله تعالى: " ﴿ وَلَا يَرَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيضَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾" (٦) يقول الإيجي: "كيوم بدر فإنه يوم لا خير للكفار فيه، كما يقال ريح عقيم أو المراد يوم القيامة، فإنه يوم لا ليل له فكأنه قال تأتيهم الساعة أو يأتيهم عذابها فوضع الظاهر موضع المضمرة للتهويل". (٧)

(١) سورة الرحمن، الآية: ٦٨.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج ، ص٣٤١.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٤) الإيجي، جامع البيان، ج ، ص١٩٠.

(٥) فضل عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، ص٥٠٤.

(٦) سورة الحج، الآية: ٥٥.

(٧) الإيجي، جامع البيان، ج٢، ص٥٣.

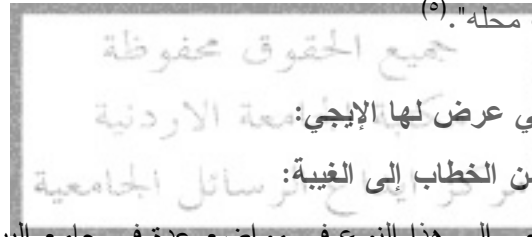
٢- التعليل:

ومن شواهد عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَهُمُ النَّارُ وَيَسَّ مَتَوَى الظَّالِمِينَ ﴾^(١) يقول الإيجي: "أي النار وضع الظاهر موضع المضمرة تغليظاً وتعليلاً".^(٢)

خامساً: الالتفات.

وهو "العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو التكلم أو على العكس"^(٣) أو "هو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر".^(٤)

ولله فوائد منها تطرية الكلام وصيانة السمع عن الضجر والملل لما جبلت عليه النفوس من التقلبات والسامة من الإستمرار على منوال واحد وهذه فائدته العامة ويختص كل موضع بنكت ولطائف باختلاف محله".^(٥)



وقد أشار الإيجي إلى هذا النوع في مواضع عدة في جامع البيان، منوهاً على أغراضه البلاغية فمن هذه الأغراض:

١- التوبيخ:

وقد أشار الإيجي إلى هذا النوع عند تفسير قوله تعالى: ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾^(٦) يقول الإيجي: "حاصله هلا ظننتم خيراً أيها المؤمنون والمؤمنات بالذين هم كأنفسكم حين سمعتم الإفك ممن اخترعه وقلتم بناء على ظنكم

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥١.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج١، ص١٠٥.

(٣) الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، ص٣٥.

(٤) السيوطي، الإتقان، ج٢، ص٢٣١.

(٥) المرجع السابق، ج٢، ص٢٣١.

(٦) سورة النور، الآية: ١٢.

خيراً هذا إفك مبين كما يقول المستيقن المطلع على الحال فالالتفات إلى الغيبة للمبالغة في التوبيخ والإشعار بأن الإيمان يقتضي ظن الخير بمن هو كنفسه فإن المؤمنين كنفس واحدة^(١) فلم يقل: "لولا إذ سمعتموه ظننتم" فعدل عن الخطاب للغيبة على أسلوب الالتفات لما فيه من مبالغة في التوبيخ.

٢- **المبالغة:** قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْأَبْرِ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَكُمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾^(٢) يقول الإيجي: "عدل إلى الغيبة للمبالغة كأنه يذكرهم لغيرهم حالهم ليعجبهم منها"^(٣). أي أنه أعرض عنهم بقوله "﴿وَجَرِينَكُمْ﴾" على سبيل الالتفات ليصف سوء حالهم لغيرهم مما يستدعي مزيد تعجب من حالهم.

النوع الثاني: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.

ومن أغراضه التهويل والتعظيم ومن الأمثلة على ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿﴿وَقَالُوا أَتُخَدَّ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾^(٤) يقول الإيجي: "عجيباً أو عظيماً منكرًا والالتفات من الغيبة إلى الخطاب لزيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله تعالى ولتنبه على عظيم قولهم"^(٥).

فلا شك أن ما زعموه الله تعالى يستلزم رداً لمقاتلهم الباطلة وتهويلاً لأمرها لذا التفت إلى الخطاب في قوله تعالى ﴿﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾﴾ لزيادة التشنيع عليهم في جرأتهم على الله عز وجل.

النوع الثالث: الالتفات من التكلم إلى الغيبة.

ومن أغراضه البلاغية التقييح ومن شواهد في جامع البيان عند تفسير قوله تعالى: "﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهِنَا

(١) الإيجي، جامع البيان، ج ٧، ص ٧٠.

(٢) سورة يونس، الآية: ٢٢.

(٣) الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٢٩٦.

(٤) سورة مريم، الآية: ٨٩.

(٥) الإيجي، جامع البيان، ج ٧، ص ٢٩٦، ص ١٣.

رَجَعُونَ ﴿١﴾ يقول الإيجي: "التفت من التكلم إلى الغيبة لينعى عليهم ما أفسدوه إلى المؤمنين ويقبح عندهم كأنه يقول ألا ترون إلى قبح ما ارتكبوا هؤلاء في ديننا." (٢)
 فلم يقل "وتقطعتم" فالتفت إلى الغيبة وكأنه يصف قبح أعمالهم لآخرين قائلاً لهم "ألا ترون قبح ما ارتكب هؤلاء في دين الله بأن جعلوه قطعاً هذا نصيب وذاك نصيب فهم مختلفين فرقا وأشياءاً."

المطلب الثاني: علم البيان

هو تعليق الكلم بعضها ببعض "أوهو" توخي معاني النحو." (٣)
 يقول الجرجاني: "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله." (٤)
 وهو من المباحث التي أجمع العلماء على تعظيم شأنه، وتقدير قدره، والتنويه بذكره. (٥)
 وهو أم إعجاز القرآن، والقانون الذي وقع عليه التحدي، ومراعاته أهم ما يجب على المفسر." (٦)
 والإيجي قد اعتنى بهذا العلم ويظهر ذلك جلياً من خلال طرق مباحثته التي كان من أهمها:

أولاً: المجاز

وهو "اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة تمنع إيراد المعنى الحقيقي." (٧)

ووجود هذا النوع من أنواع البيان في القرآن من المباحث التي كانت وما زالت مثار نزاع بين العلماء بين مثبت لها وناف وليس القصد هنا هو فصل الخلاف في هذه القضية أو الترجيح فلهذا كتبه ومراجعته الخاصة. (١)

١ (سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.

٢ (الإيجي، جامع البيان، ج ٢، ص ١٤١.

٣ (الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٤٥، مرجع سابق.

٤ (المرجع السابق، ص ٥٥.

٥ (الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٥٥. بتصرف.

٦ (الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ٥٢٦، بتصرف.

٧ (فضل عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان، ص ٢٨.

وما يهمننا هو موقف الإيجي من هذه المسألة، فمن خلال استقراء تفسير الإيجي للآيات التي دار حولها الحديث عن إثبات المجاز أو نفيه، نلاحظ أن الإيجي ممن ذهب إلى إثبات وجود المجاز في القرآن الكريم وفيما يلي أهم أنواع المجاز التي تعرض لها:

١- المجاز اللغوي:

وهو الراجع مفهومه إلى اللغة.^(٢)

ومن أمثلته في جامع البيان عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا

بِحَانِهِ﴾^(٣) يقول الإيجي: "أذهب نفسه وتباعد عنه تكبراً و"الجانب" مجاز عن النفس".^(٤)

ولا شك أن المقصود أعراضه بنفسه كلها والجانب جزء منها فذلك يسمى مجاز مرسل علاقته الجزئية أي أطلق الجزء وأراد الكل والله تعالى أعلم.

ومن ذلك أيضا عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾^(٥) مجاز عن البخل

أي هو ممسك كف الله عنهم نعمة الدنيا حين جردوا القرآن بعدما كانوا في خصب ورخاء فقالوا ذلك".^(٦)

وهذا مجاز لغوي علاقته السببية لأن اليد سبب في البخل كما هي سبب في الكرم.

٢- المجاز العقلي:

ومثل هذا النوع لا يكون المجاز في الكلمة نفسها فالكلمة لم تخرج فيه عن وضعها

اللغوي وإنما يكون في الإسناد فهو إسناد الفعل إلى غير ما هو له"^(٧) فهو مجاز في الإسناد ويسمى حكماً.

١ (ينظر للتحقيق في المسألة - المجاز بين المثبتين والنافيين - البلاغة فنونها وأفانها، علم البيان، ص ١٣٠، مرجع سابق.

٢ (فضل عباس، البلاغة فنونها وأفانها علم البيان، ص ١٣٥، مرجع سابق.

٣ (سورة فصلت، الآية: ٥١.

٤ (الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ١٩٣.

٥ (سورة المائدة، الآية: ٦٤.

٦ (الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ١٧٢.

٧ (فضل عباس، البلاغة فنونها وأفانها، ص ١٣٩، مرجع سابق.

وقد أشار الإيجي إلى هذا النوع عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُۥ بِقَدَرِهَا ﴾^(١) يقول الإيجي: "جمع واد وهو موضع يسيل فيه الماء فنسبة السيل مجاز للمبالغة".^(٢)

فكلمة السيل هنا مستعملة استعمالاً حقيقياً في ما وضعت له ولكن اسناد السيل إلى الوادي ليس حقيقياً لأن الماء في الوادي هو الذي يسيل.

ومن ذلك إسناد الإبصار إلى النهار وهو في الحقيقة لأهله لكنه أسند إلى النهار لما فيه زيادة في المبالغة وكأن النهار هو الذي يبصروا أشار الإيجي إلى هذا المعنى عند تفسير قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾^(٣) حيث قال: "الإبصار في الحقيقة لأهل النهار فأثبتته له مجازاً ومبالغة وجعله حالاً ولم يقل لتبصروا فيه لتلك الفائدة".^(٤)

جميع الحقوق محفوظة

ثانياً: الكناية

وهي أن تطلق اللفظ وتريد لازم معناه مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقي^(٥) وقد قال الإيجي بهذا العلم من علوم البيان في تفسيره وهي أنواع وفيما يلي بعض الشواهد على ذلك:

١ - كناية عن صفة:

وهي: "أن تذكر الموصوف وتنسب له صفة ولكنك لا تريد هذه الصفة وإنما تريد لازمها".^(٦)

ومن الأمثلة عليها عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا ﴾^(٧) يقول الإيجي: "عض اليدين والأنامل وأمثاله كنايات عن كمال

(١) سورة الرعد، الآية: ١٧.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٣٤٩.

(٣) سورة غافر، الآية: ٦١.

(٤) الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ١٧٣.

(٥) فضل عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان، ص ٢٤٣.

(٦) المرجع السابق، ص ٢٤٥.

(٧) سورة الفرقان، الآية: ٢٧.

الحسرة والغیظ وهذا عام وإن كان مورده في عقبة بن أبي معیط لما ارتد لأجل خاطر أبي بن خلف". (١).

ومن ذلك أيضا عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَفِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾^(٢) يقول الإيجي: "كناية عن الندامة فإن النادم يعرض يده". (٣)

فعض الأنامل كما في المثال الأول والسقوط في اليد كما في الثاني، كلها كنايات عن الغیظ والحسرة لأنها من روادفها - كما عبر بذلك الزمخشري^(٤) - فيذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والإستحسان ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه.

٢- كناية عن موصوف.

"وضابطها أن تذكر الصفة والنسبة ولا تذكر الموصوف المكنى عنه". (٥)
ومن الأمثلة على ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾^(٦) يقول الإيجي: "والحال أنه وصل إليه وهو كناية عن الجماع". (٧)

ومن أمثلة ذلك أيضا عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾^(٨) يقول الإيجي: "هو المكان المطمئن، وهو كناية عن الحدث الأصغر". (٩)

فذكر الصفة وهي الإفضاء كما في المثال الأول والمجيء من الغائط أي المكان المنخفض كما في المثال الثاني ولم يذكر الموصوف وهو الجماع أو الحدث الأصغر.

١ (الإيجي، جامع البيان، ج٢، ص٨٥.

٢ (سورة الأعراف، الآية: ١٤٩.

٣ (الإيجي، جامع البيان، ج١، ص٢٣٥.

٤ (الزمخشري، الكشاف، ج٣، ص٣٩٥.

٥ (فضل عباس، البلاغة فنونها وأفانها، ص٢٥٠.

٦ (سورة النساء، الآية: ٢١.

٧ (الإيجي، جامع البيان، ج١، ص١٢١.

٨ (سورة النساء، الآية: ٤٣.

٩ (الإيجي، جامع البيان، ج١، ص١٢٦.

ولا شك أن معرفة ذلك غاية في تعليم الأدب في الخطاب وذلك لتفادي التصريح بما يستحيا منه.

ومن الجدير بالذكر تبين أن الإيجي لا يرى حمل الكلام على الكناية ما دام اللفظ يحتمل المعنى الحقيقي وقد صرح بذلك أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾^(١) يقول الإيجي: "تبييض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة أو المؤمنين والكافرين أو المخلصين والمنافقين قال البياض والسواد كناية عن بهجة السرور وكآبة الحزن والأصح أنهما علامتان حقيقتان والظرف لمتعلق لهما أو نصب بإضمار اذكر".^(٢)

فمن الملاحظ في هذا المثال أن الإيجي ذكر وجهين، كناية عن صفة وعلى الحقيقة ورجح هذا الرأي فالبياض والسواد هنا يحتمل الكناية، ولكنه لما كان الحديث عن أمور الغيب واللفظ محتمل لحقيقة معناه من السواد والبياض رجح الإيجي الحمل على الحقيقة دون الكناية.

ثالثاً: الاستعارة

وهي "أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيًا دخول المشبه من جنس المشبه به دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به".^(٣)

وهي أنواع تعرض الإيجي لبعض منها وفيما يلي أهمها:

١- الاستعارة التصريحية:

وهي تشبيه حذف المشبه والمذكور هو المشبه به وسميت بهذا الاسم لأنه صرح فيها بلفظ المشبه به.^(٤)

ومن الأمثلة على ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدَانِ أَنْ يُنْقِضَ فَأَقَامَهُ﴾^(١) يقول الإيجي: "استعار الإرادة للمداناة والمشاركة كما استعير الهم والعزم لذلك يقال: "عزم السراج أن يطفأ" إذا قرب وانقض إذا أسرع سقوطه".^(٢)

١ (سورة آل عمران، الآية: ١٠٦.

٢ (الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٩٧.

٣ (السسكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، ص ٣٦٩.

٤ (ينظر فضل عباس، البلاغة فنونها وأفانها، علم البيان، ص ١٧٢.

فالإنقضاض الإسراع، وهو صفة للطيور وغيرها ممن ينقض على فريسته مسرعا، - هذا ما أراد بيانه الإيجي في سوقه مثال السراج - فاستعيرت الإرادة للمدانة والمشاركة للجدار للمبالغة في سرعة سقوطه.

ومن ذلك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَلَّ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾^(٣) يقول الإيجي: "شبه الشيب بلهب نار لا دخان فيه وانتشاره باشتعالها وأسند إلى الرأس الذي هو مكان الشيب مبالغة ولم يصف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب وأخرج الشيب مميزاً لإيضاح المقصود".^(٤)

وهذا المثال فيه من فنون البلاغة ما لا يخفى على أحد فقد تناولته كتب البلاغة بالعناية، وهذا يقال لمن كثر الشيب في رأسه، والأصل أن الاشتعال للنار لكن شبه الشيب به في سرعة فشوه وانتشاره فالمستعار الاشتعال والمستعار منه النار والمستعار له الانتشار.

٢- الاستعارة المكنية:

وهي الاستعارة التي حذف منها المشبه به وذكر المشبه.^(٥) ومن الأمثلة على ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ

هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾^(٦) يقول الإيجي: "جعلوا الإيمان مستقرا لهم كما جعلوا المدينة كذلك أي لزموا المدينة والإيمان وتمكنوا فيهما - ... على ما ذكرنا "تبوءوا الإيمان" من الاستعارة المكنية".^(٧) وهذا مدح للأنصار لما لهم من خصال حميدة كان من أهمها أنهم اتخذوا الإيمان مباءة أي مستقرا كما جعلوا المدينة كذلك وتمكنوا منها أشد تمكين فالأصل أن التبؤ للمكان - وهو المدينة - فأنزل الحال - وهو إيمانهم - منزلة المكان على سبيل الاستعارة المكنية أي أنه

(١) سورة الكهف، الآية: ٧٧.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٤٢٤.

(٣) سورة مريم، الآية: ٤.

(٤) الإيجي، جامع البيان، ج ٢، ص ٣.

(٥) فضل عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان، ص ١٧٢.

(٦) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٧) الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٣٧٢.

استعار التبوُّ للإيمان وهو في الأصل للمكان لما في ذلك زيادة في معنى رسوخ الإيمان وتمكنه في النفس.

ومن الشواهد على ذلك أيضا عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (١) يقول الإيجي: "قد جرت الإذاقة عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في الشدائد فيقولون ذاق فلان البؤس، واستعار اللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف". (٢)

وفي هذا التعبير القرآني في تحذير الأمم من الكفر بنعم الله تعالى أعظم أثر في النفس، لذلك جاء اختيار هذه الكلمة - اللباس على كلمة طعم - لما فيها من معنى الاحاطة والاشتمال، فالجوع مشتمل عليهم اشتمال اللباس على جميع أجزاء الجسد.

رابعاً: التشبيه:

وهو "الدلالة على مشاركة أمر لأمر" أو "هو إلحاق أمر بأمر بأداة التشبيه لجامع بينهما". (٣)

وقد تعرض له الإيجي في تفسيره في مواطن كثيرة ومن أمثلته:

ما أورده الإيجي في معرض حديثه عن المنافقين وكيف أن الله تعالى شبه حالهم بالأخشاب المسندة التي لا نفع فيها بل أنها تركت للسوس ينخر فيها، فقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ حُشْبٌ مِّنْ شَجَرٍ يُحْسِنُ كَلِمًا صَاحِحَةً عَلَيْهِمْ ﴾ (٤) أي تسمع لما يقولونه مشبهين بأخشاب منصوبة بلا حائط في الخلو عن الفهم والنفع فإن الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو غيره من مظان الانتفاع وما دام متروكاً أسند إلى الحائط فلا ينتفع به". (٥)

١ (سورة النحل، الآية: ١١٢ .

٢ (الإيجي، جامع البيان، ج ، ص٣٨٩ .

٣ (فضل عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ص١٨، وقد عرفه الرماني "هو العقد على أن أحد الشئيين يسد مسد الآخر في حس أو عقل"، النكت في إعجاز القرآن، لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني، ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول، الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ، دار المعارف بمصر ، ص٧٤ .

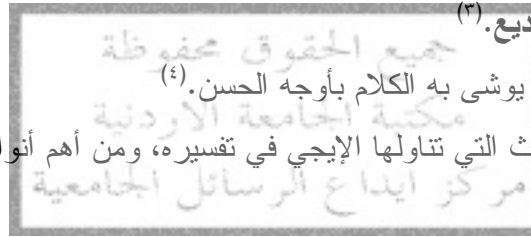
٤ (سورة المنافقون، الآية: ٤ .

٥ (الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٣٨٨ .

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما وضحه الإيجي من تشبيه نفقة أولئك الذين ينفقون ابتغاء مرضاة الله وتشبيهاً من أنفسهم في طيبه وزكائه، بجنة في مكان مرتفع أصابها مطر فقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَغَاءَتْ أَكْطَافُهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾^(١) مثل حالهم بحال الجنة في أن نفقتهم كثرت أو قلت زاكية كما أن الجنة يضعف ثمرها قوي المطر أو ضعف فلو حظ الشبه فيما بين المفردات فلا يلزمنا حذف في الكلام، أو تشبيهه لحال النفقة حال الجنة في كونها زاكية كيف ما كانت الحال فاحتاج حين إلى تقدير المضاف أي مثل نفقة هؤلاء كمثل الجنة^(٢).

المطلب الثالث: علم البديع^(٣)

وهو العلم الذي يوشى به الكلام بأوجه الحسن^(٤) وهو من المباحث التي تناولها الإيجي في تفسيره، ومن أهم أنواعه التي تعرض لها:



أولاً: اللف والنشر^(٥):

عرفه التفتازاني - في مختصره على تلخيص المفتاح - قائلاً: "وهو ذكر متعدد على سبيل التفصيل أو الإجمال ثم ذكر ما لكل واحد من آحاد هذا المتعدد من غير تعيين ثقة - أي الذكر بدون التعيين لأجل الوثوق - بأن السامع يردده إليه"^(٦).

١ (سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

٢ (الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٦٨.

٣ (ومن أول ما صنف في هذا الفن هو كتاب البديع، لابن المعتز الذي صنفه سنة هـ ٢٧٤ - وضمنه ثمانية عشر محسناً بديعياً وكان البديع عند ابن المعتز وبعض المتأخرين عنه يشمل علم البيان فيضم في مباحثه الإستعارة والتشبيه والكناية إلى جانب المحسنات البديعية ينظر: ضيف شوقي، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، بيروت، ط ٩، ص ٣٥٨.

٤ (فضل عباس، البلاغة فنونها وأفانها علم البيان والبديع، ص ٢٧٣.

٥ (وعرفه بعضهم "أن نذكر عدة أشياء ثم نذكر لكل واحد ما يناسبه وما يتصل به اعتماداً على فهم المخاطب، البلاغة فنونها وأفانها، ص ٢٩٤.

٦ (ينظر التفتازاني، سعد الدين، شروح التلخيص، وهي مختصر تلخيص المفتاح للخطيب القرظيني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٣٧هـ، ج ٤، ص ٣٢٩.

وهو قسمان:

الأول: اللف والنشر المرتب:

وهو أن نذكر الأشياء المتعددة ثم نذكر ما يتصل بها على سبيل الترتيب الأول للأول والثاني للثاني.

ومن الأمثلة على ذلك في جامع البيان عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِشَالِكٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾^(١) يقول الإيجي: "إشارة إلى مفعول عززنا محذوف للعلم به وقيل: في الآية لف ونشر فاللف بقوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِشَالِكٍ﴾ والنشر قوله: ﴿فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾ فإنه متعلق بقوله: ﴿أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾ وقوله ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ... الآية﴾، تفصيل لقوله ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾.^(٢)

جميع الحقوق محفوظة

الثاني: اللف والنشر المشوش:

وهو أن نذكر الأشياء ثم نذكر ما يتصل بها ولكن لا على سبيل الترتيب فربما نذكر المتقدم للمتأخر والمتأخر للمتقدم وهكذا.^(٣)

ومن الأمثلة على ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(٤) يقول الإيجي: "أي فاشكر مولاك الذي أغناك فإن من شكر النعم أن تحدث بها ومن كفرها أن تكتتمها و"من لم يشكر الناس لم يشكر الله" أو ما جاءك من النبوة فحدث بها وادع إليها أو من القرآن فاقراءه أو بلغه أو ما عملت من خير فحدث إخوانك به ليتابعوك، وجاز أن يكون نشر مشوشاً ويكون ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ في مقابلة هداية الله له بعد الضلال".^(٥)

ويقصد الإيجي من قوله "في مقابلة هداية الله بعد الضلال" الآية المتقدمة وهي قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ فيكون ما جاء بعدها نشر مشوشاً عائداً عليها.

(١) سورة يس، الآية: ١٤.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٧٨.

(٣) فضل عباس، البلاغة فنونها وأفانها، علم البديع، ص ٢٩٤.

(٤) سورة الضحى، الآية: ١١.

(٥) الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٤٩٧.

ثانياً: مراعاة الفواصل: (١)

وهي حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعنى (٢) أو هي آخر كلمة في الآية بمثابة السجعة في النثر وبمنزلة القافية في الشعر، وسميت بذلك لأن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها وأخذاً من قوله تعالى: ﴿ كَتَبُ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) وقوله تعالى: ﴿ كَتَبُ أُحْكِمَتْ ءَايَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (٤)

وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها (٥) وفائدة معرفتها: دلالتها على المقاطع وتحسينها الكلام بالتشاكل وإدائها في الآي بالنظائر (٦).

وقد اعتنى الإيجي ببيان بعض أسرار الفواصل القرآنية منوهاً إلى الحكمة من التقديم والتأخير في تلك الفواصل ونحو ذلك نذكر من ذلك جملة من الأمثلة التي تمثل مدى اعتناؤه بهذا العلم الجليل منها:

عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ يَا رَبَّنَا أَوْحِ لَهَا ﴾ (٧) يقول الإيجي: عدى ﴿ أَوْحَى ﴾ باللام وإن كان المشهور تعديته بالياء مراعاة للفواصل (٨).

١ (طرق معرفة الفواصل القرآنية: قال الجعيري في رسالته المسماة بالمدد في العدد، لمعرفة الفواصل طريقان توقيفي، وقياسي، أما التوقيفي فما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم وقف عليه دائماً تحققنا أنه فاصلة ورأس آية وما وصله دائماً تحققنا أنه ليس بفاصلة وما وقف عليه مرة ووصله أخرى فالوقف يحتمل أن يكون لتعريف الفاصلة أو لتعريف الوقف التام أو للإسترخاء والوصل يحتمل أن يكون غير فاصلة أو فاصلة وإنما وصلها لتقدم تعريفها.

وأما القياسي: فهو ما الحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص لمناسب ولا محذور في ذلك لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان وإنما غايته أنه محل فصل أو وصل والوقف على كلمة جازر ووصل القرآن كله جازر فاحتاج القياسي إلى طريق نعرفه بها، ينظر السيوطي، الإقتان، ج ٢، ص ٩٧.

٢ (ثلاث رسائل في الإعجاز - الرماني، ص ٨٩، مرجع سابق، وينظر للتوسع في الفاصلة الحسناوي، محمد، الفاصلة في القرآن، المكتب الإسلامي، دار عمار، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ، ص ٣٣، وما بعدها.

٣ (سورة فصلت، الآية: ٢.

٤ (سورة هود، الآية: ١.

٥ (الرماني، ثلاث رسائل في الإعجاز، ص ٩٠.

٦ (المرجع السابق، ص ٩١.

٧ (سورة الزلزلة، الآية: ٥.

٨ (الإيجي، جامع البيان، ج ٤، ص ٥٠٤.

ومن ذلك أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ (١) يقول الإيجي: "لما لم ينفك التبتل الذي هو لازم عن التبتيل الذي هو متعد يمكن أن يؤتى بمصدر أحدهما عن الآخر وفيه مبالغة مع رعاية الفواصل أي انقطع وجرى نفسك عما سواه تبتيلاً". (٢)

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنفَعٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٣﴾ يقول الإيجي: "تقديم المعمول لرعاية الفاصلة وزيادة الاهتمام". (٤)

* قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٥﴾ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَذَّابِينَ ﴿٦﴾ يقول الإيجي: "أي أم كذبت فالتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل". (٦)

وبعد فهذه أبرز المباحث اللغوية والبيانية التي طرقت في هذا التفسير، ولعل فيما يحمله

اسم هذا التفسير "جامع البيان" غنية عن التعقيب في نهاية هذا المبحث.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

١ (سورة المزمل، الآية: ٨.

٢ (الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٤٣٤.

٣ (سورة المؤمنون، الآية: ٢٢.

٤ (الإيجي، جامع البيان، ج٢، ص٥٦.

٥ (سورة النمل، الآية: ٢٦.

٦ (الإيجي، جامع البيان، ج٢، ص١١٠.

المبحث الخامس

منهج الإيجي في العناية بعلوم القرآن

المطلب الأول: منهجه في إيراد أسباب النزول^(١)

آيات القرآن الكريم على قسمين قسم نزل حسب الوقائع والحوادث وحاجات المسلمين وإجابة على أسئلتهم، وهذا النوع من الآيات والسور مرتبط بأسباب خاصة، نزل بسببها، وهناك قسم آخر من القرآن، نزل ابتداء من غير سبب نزول خاص، وإنما نزل هداية للخلق وإرشاد لهم وتوجيها لما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة وهذا كثير في القرآن.

وقد نوه الأئمة الأعلام على أهمية العلم بأسباب النزول يقول الإمام السيوطي: "ومنها الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال قال الواحدي - رحمه الله - لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها". ويقول ابن دقيق العيد: "بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن". وأما ابن تيمية فيقول: "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"^(٢) أيداع الرسائل الجامعية

فسبب النزول يلقي أضواء كاشفة على مضمون الآية مما يعين على فهمها ومعرفة الحكمة الباعثة التي اشتمل عليها التشريع.

وقد اهتم الإيجي بأسباب النزول في تفسيره واعتمد عليها في بيان معاني الآيات. وقد تميز منهجه في ذكرها بعدة مزايا فيما يلي بيانها بإذن الله.

منهج الإيجي في إيراد أسباب النزول:

أولاً: الاعتماد على الأحاديث الصحيحة، أو المأثور الصحيح من أقوال الصحابة والتابعين. وهذا في أغلب تفسيره.

ومن الصحيح الثابت من أسباب النزول ما نقله الإيجي من صحيح مسلم في بيان سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(٣)

(١) سبب النزول هو "ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أومبينة لحكمه أيام وقوعه" ينظر الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان، دار الفكر، ١٤٠٨هـ - ج٢، ص١٠٦.

(٢) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ، ج١، ص٩٦.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٩.

حيث قال: "وفي مسلم^(١) قال رجل من الصحابة ما أبالي أن لا أعمل لله عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر بل عمارة المسجد الحرام وقال آخر بل الجهاد خير مما قلتم، فقال عمر استفتيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى: ﴿اجْعَلْ لَكُمْ سَيِّئَةً.. الآية﴾^(٢) * ومما يؤخذ على الإيجي إيراد بعض أسباب النزول الضعيفة دون أن يعقب عليها.

من ذلك عند تفسير قول الله تعالى ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ

لِنَصَّدَّقَنَّ وَلِنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٣) يقول الإيجي: "نزلت في ثعلبة بن حاطب، التمس الدعاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم لتكثير ماله، وعهد أن لو رزق ليعطي كل ذي حق حقه فلما رزق غنما تضيق بها المدينة أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلب الزكاة منه فأبى وقال ما هذه إلا أخت الجزية فلما نزلت الآية جاء بالزكاة فقال إن الله تعالى منعني أن أقبل منك، فجعل التراب يحثو على رأسه فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فما قبل منه أبو بكر ولا عمر رضي الله عنهما وهلك ثعلبة في خلافة عثمان - رضي الله عنه - قاله ابن عباس وسعيد بن جبيرة وقتادة والحسن وغيرهم".^(٤)

وما ذكره الإيجي في سبب نزول هذه الآية، غير صحيح عند كثير أهل العلم من المحققين إلى عدم تصحيحه منهم الحافظ ابن حجر قال في فتح الباري: "حديث ضعيف لا يحتج به"^(٥) وقال في الإصابة بعد أن ساق الرواية في ترجمته لثعلبة بن حاطب: "وفي كون صاحب هذه القصة إن صح الخبر، ولا أظنه يصح.. كيف يصح وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد شهد بدرًا والحديبية وحكى عن ربه أنه قال لأهل بدر اعملوا ما شئتم فقد

(١) رواه مسلم في صحيحه بسنده عن الحسن بن علي الحلواني قال: حدثنا أبو توبة حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام قال حدثني النعمان بن بشير قال: "كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد... الحديث" في باب فضل الشهادة في سبيل الله، ج ٢، ص ١٤٩٩، برقم ١٨٧٩، مرجع سابق.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج ٢، ص ٢٦٨.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٧٥.

(٤) الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٢٨٠.

(٥) ينظر ابن حجر، فتح الباري، ج ٢، ص ٢٦٦.

غفرت لكم فمن يكون بهذه المثابة كيف يعقبه الله نفاقا في قلبه وينزل فيه ما نزل فالظاهر أنه غيره والله أعلم.^(١)

وقال صاحب كتاب البيان والتعريف: "وهذه الرواية أخرجهما البغوي والطبراني والديلمي من طريق معاذ بن رفاعة عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة الباهلي عن ثعلبة بن حاطب وابن أبي حاطب الأنصاري رضي الله عنه قال البيهقي في إسناده نظر وأشار في الإصابة إلى عدم صحته.^(٢)

ومنها ما ذكره في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَكْفُرُ أَتَدْنٰ لِي وَلَا نَفْتِيَّ إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾^(٣) يقول الإيجي: "نزلت في جد بن قيس من أشرف بني سلمة حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم له هل لك في جهاد بني الأصفر يعني الروم فقال لنفاقه: أتدني لي ولا تفتني ببنايت بني الأصفر فوالله إني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر، أن لا أصبر عنهن ولكن أعينك بمالي".^(٤)

فهذه القصة مع نقل عامة المفسرين والمؤرخين لها وترك كثير منهم نقدها.^(٥) إلا أن الحافظ ابن حجر - رحمه الله - حكم على الرواية بالضعف فقال: "روى أبو نعيم وابن مردويه من طريق الضحاك عن ابن عباس أنه نزل فيه - يعني الجد بن قيس - قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَكْفُرُ أَتَدْنٰ لِي وَلَا نَفْتِيَّ ﴾، ورواه ابن مردويه من حديث عائشة بسند ضعيف أيضاً، ومن حديث جابر بسند فيه مبهمة".^(٦)

١ (ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد الجاوي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، دار الجيل، بيروت، في ترجمته ثعلبة بن حاطب أو أبي حاطب الأنصاري، ج١، ص٤٠٠، برقم ٩٣٠.

٢ (ينظر الحسيني، إبراهيم بن محمد، البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف، تحقيق سيف الدين الكاتب، دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة ١٤٠١هـ، ج٢، ص١٣٣، وينظر المناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ، ج٤، ص٥٢٧.

٣ (سورة التوبة، الآية: ٤٩.

٤ (الإيجي، جامع البيان، ج٢، ص٢٧٥.

٥ (ينظر هذه القصة: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، طبعة دار المعرفة، بيروت، ج٢، ص٣٦٢، مصدر سابق.

٦ (ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ، ج١، ص٢٢٩، وقال ابن حجر أيضاً: قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله تعالى: "خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم" نزلت في نفر ممن تخلف عن تبوك منهم أبو لبابة والجد بن قيس لم يتوب عليهم وقال أبو عمر في آخر ترجمته أنه تاب وحسنت توبته ومات في خلافة عثمان، المرجع السابق، ص٢٢٩.

ثانياً: الوقوف موقف الناقد والمرجع.

حيث كان يقبل الصحيح الثابت ويرد الضعيف وكان من أسس اعتماده في الترجيح تصحيح ابن كثير والبغوي.

ومن الشواهد على ذلك ما أورده عند تفسير قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٦﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٧﴾ (١) حيث يقول الإيجي: "نزلت آية ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ... الآية﴾ فيمن بقي من غزوة أحد، فإنهم أطاعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع جراحاتهم في الخروج عقب المشركين، فإنهم إذا رجعوا من أحد ندموا في أثناء الطريق وقالوا نرجع ونستأصلهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع من كان معه في أحد فلما سمع المشركون بخروجهم ألقى الله الرعب فيهم فأرسلوا أحدا يخوف المسلمين منهم والمسلمون يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل ورجعوا فرجع المسلمون بعافية وريح وهو أن عبراً مرت فاشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم وربح فيها مالا وقسم بين أصحابه - رضي الله عنهم -".

وهذا هو المنقول الثابت الذي صححه ابن كثير في تفسيره والبغوي أيضاً وهو جميع قول قدماء المفسرين والمؤرخين فالآية جميعها في غزوة حمراء الأسد المتصلة بغزوة أحد، لا أن بعض الآية وهو ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا... إلى قوله أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ في تلك الغزوة وباقيها وهو ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ في غزوة بدر الصغرى التي تذكرها كما قال الرازي وغيره من المتأخرين فلا تعتمد على الرازي والزمخشري وغيرهما". (٢)

وبعد الرجوع للتحقيق في المسألة، تبين أن الزمخشري ذهب إلى أن قوله تعالى ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ نزلت في حمراء الأسد وذلك أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد ندموا وهم بالرجوع فبلغ ذلك

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٧٤، وما بعدها.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ١١٠.

رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يريهم من نفسه قوة فندب أصحابه للخروج فخرجوا حتى بلغوا حمراء وكان بإصحابه القرع فألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت. وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ فَآخَظْتَهُمْ فَزَادَهُمُ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ﴿١٧٣﴾ نزلت في بدر الصغرى وذلك أن أبا سفيان نادى عند انصرافه من أحد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل فلما كان القابل خرج أبو سفيان في أهل مكة... فألقى الله الرعب في قلبه... فبعث بنعيم بن مسعود الأشجعي وغيره من بني عبد قيس ليثبط المسلمين فكره المسلمون الخروج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لأخرجن ولو لم يخرج معي أحد فخرج في سبعين راكباً وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى وافوا بدرًا وأقاموا بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها وأصابوا خيراً ثم انصرفوا إلى المدينة فنزلت".

إلا أن الإيجي لم يقبل ما ذكره المتأخرون من المفسرين كالرازي والزمخشري معتمداً على ترجيح ابن كثير والبغوي للصحيح الثابت من أن الآيات كلها في حمراء الأسد لا أن بعضها في أحد وبعضها الآخر في بدر قال ابن كثير: "الصحيح"^(١) أن الآية في غزوة حمراء الأسد لا في بدر الصغرى" وقد أشار الإيجي إلى أن هذا هو قول جميع قدماء المفسرين والمؤرخين. وفعلاً هذا ما ذهب إليه ابن هشام^(٢) وابن جرير وغيرهم من أهل العلم، قال ابن جرير: "وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال... أن الآية نزلت في منصرفهم عن أحد إلى حمراء الأسد، لأن الله تعالى ذكره إنما مدح الذين وصفهم بقيلهم ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ﴿١٧٣﴾ لما قيل لهم إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم بعد الذي قد كان نالهم من القروح والكجوم

١ (قال الحافظ الحافظ ابن حجر: "وروى بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن بن عباس قال لما رجع المشركون عن أحد قالوا لا محمداً قتلتم ولا الكواعب ردفتم بئسما صنعتم فرجعوا فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتدبوا حتى بلغ حمراء الأسد فبلغ المشركين فقالوا نرجع من قابل فأنزل الله تعالى الذين استجابوا لله والرسول.. الآية، أخرجه النسائي وابن مردويه ورجاله رجال الصحيح ينظر: ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، ج٨، ص٢٢٨.

٢ (ابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، ج٤، ص٧٧.

بقوله: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِيَهَّ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ ولم تكن هذه الصفة إلا صفة من

تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جرحى أصحابه بأحد إلى حمراء الأسد...^(١).

وفي هذا دلالة واضحة على مدى دقة الإيجي في تحقيق المسائل ردا وإثباتا.

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ

مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾^(٢) يقول الإيجي: "عام لكل من خرب مسجداً أو إن

كان سبب نزوله منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل مكة ويحج عام

الحديبية وأي خراب أعظم مما فعلوا من إخراج المسلمين واستحواذهم بالأصنام. أو نزلت في

الروم خربوا بيت المقدس... الأول قول سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وكأنه أرجح لأن القول

الثاني وهو قول العوفي عن ابن عباس وقول عكرمة ومجاهد والسدي أن النصارى أخرجوا

اليهود ومنعواهم عن الصلاة في بيت المقدس. وصلاة اليهود إذ ذاك غير مقبولة لأنهم لعنوا على

لسان داود وعيسى ابن مريم وذلك بما عصوا وكانوا يعتدون"^(٣).

فالإيجي يذكر للآية سببين للنزول:

الأول: ما رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس: أن الآية نزلت في منع المشركين رسول الله يوم

الحديبية وقد كان الرجل يلقي قاتل أبيه وأخيه فلا صده...

الثاني: ما رواه العوفي في تفسيره عن ابن عباس: أن الآية نزلت في النصارى خربوا بيت

المقدس بالقتال فيه الأذى ومنعهم الناس أن يصلوا أو أنهم أعانوا بختصر وأصحابه على

خراب بيت المقدس، لبغضهم لليهود.

والإيجي يرجح أن تكون في مشركي قريش حين منعوا الرسول وصحبه الدخول إلى

مكة مستدلاً على صحة ما ذهب إليه بما يلي:

الأول: بقوله: "وأي خراب أعظم مما فعلوا..."، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعِدُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنَّ أَوْلِيَاءَهُ إِلَّا

١ (الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، أبو جعفر، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ، ج٤، ص١٨٢، بإختصار يسير.

٢ (سورة البقرة الآية، ١١٤.

٣ (الإيجي، جامع البيان، ج١، ص٣٠.

الْمُنْقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ "وقال تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدَىٰ مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ﴾".

الثاني: رده - على من قال بأن النصارى أرادت منع اليهود من الصلاة في البلد المقدس حتى يكون دينهم أقوى من دين اليهود ويكونوا أقرب الله منهم - بأن لم يكن ذكر الله من اليهود مقبولاً إذ ذلك لانهم لعنوا من قبل على لسان داوود وعيسى ابن مريم.

ثالثاً: إبراده لأسباب النزول مع الإشارة إلى مصدرها وأصلها وصحة سندها.

وهذا ما نبه إليه الإيجي في مقدمته عندما قال: "وتجد تخريجها مسطوراً في الحاشية عليها".^(١)

ومن الشواهد على ذلك ما ذكره عند قول الله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُونَ أَنَّ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢) يقول الإيجي: وقد صح^(٣) أن مروان أرسل أحداً إلى ابن عباس رضي الله عنهما، وقال لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذبن أجمعين فقال ابن عباس رضي الله عنهما: "ما لكم وهذه، إنما نزلت في أهل الكتاب، سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء وأخبروه بغير الواقع فظنوا أن قد استحمدوا عليه بما أخبروه وفرحوا بكتمانهم - رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي...".^(٤)

فالإيجي يشير إلى صحة سند هذه الرواية بقوله: "وقد صح" كما أنه لم يغفل عن الإشارة إلى مصدرها.

(١) الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٨.

(٣) رواه البخاري في الصحيح باب "لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا"، ج ٤، ص ١٦٦٥، برقم "٤٢٩٢"، ومسلم في الصحيح كتاب "صفات المنافقين"، ج ٤، ص ٢١٤٣، برقم ٢٧٧٨، والنسائي في الكبرى باب "لا تحسبن الذين يفرحون..." ج ٦، ص ٢١٨، برقم ١١٠٨٦.

(٤) الإيجي، جامع البيان، ١١٣.

ومن الأمثلة أيضاً عند قول الله تعالى: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾^(١) يقول الإيجي: "قالت أم سلمة يا رسول الله لا نسمع الله تعالى ذكر النساء في الهجرة بشئ فأنزل الله تعالى: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ...﴾ الآية" رواه الحاكم في مستدرکه^(٢) وقال صحيح على شرط البخاري ولم يخرجہ^(٣).

ومنها أيضاً عند قول الله تعالى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾^(٤) يقول الإيجي: "نزلت حين قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلعن فيه على قوم قتلوا سبعين رجلاً من قراء الصحابة بعثوا ليعلموا الناس. أو نزلت يوم أحد حين شج في رأسه الأشرف ويقول كيف يفلح قوم شجوا رأس نبيهم - رواه البخاري^(٥) والنسائي بروايات متعددة -".^(٦)

رابعاً: إيراد أكثر من سبب نزول للآية دون الإشارة إلى مصدرها أو صحة سندها.

وقد اتبع في ذلك كثيراً من المفسرين الذين يوردون أكثر من سبب نزول للآية الواحدة^(٧) ومن الشواهد على ذلك عنده - رحمه الله - عند قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَّمَنُوا مَا

فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِلرِّجَالِ لِرِجَالٍ نَّصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(٨) يقول الإيجي: "نزلت في أم سلمة حيث قالت تغزو الرجال ولا تغزو ولنا نصف الميراث. أو: حين قالت امرأة للرجل مثل حظ الأنثيين

١ (سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

٢ (ينظر الحاكم، محمد بن عبدالله أبو عبدالله النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ج ٢، ص ٢٢٨، برقم ٣١٧٤.

٣ (الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ١١٤.

٤ (سورة آل عمران، الآية: ١٢٨.

٥ (ينظر: البخاري الصحيح باب "ليس لك من الأمر شيء"، ج ٤، ص ١٤٩٢، برقم ٣٨٤١، والنسائي في الكبرى باب "قوله تعالى: (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة)، ج ٦، ص ٢١٤، برقم ١١٠٧٥.

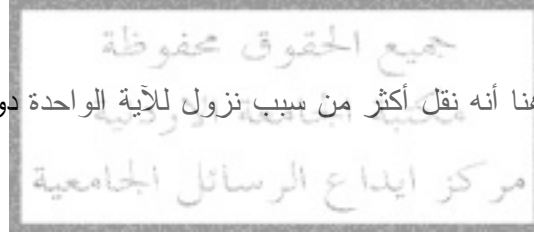
٦ (الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ١٠١.

٧ (ينظر للتوسع غازي عناية، أسباب النزول، دار الجيل، بيروت، طبعة ١٩٩١م، الفصل الأول "تعدد الروايات في سبب النزول" ص ٦٩، وما بعدها.

٨ (سورة النساء، الآية: ٣٢.

في الميراث وشهادة امرأتين رجل، أفنحن في الثواب هكذا. أو حين قال الرجال نريد أن يكون لنا من الأجر ضعف النساء وقالت النساء نريد أجر الشهداء ولو كتب علينا القتال لقاتلنا. أو حين قالت النساء عند نزول ﴿لِلذِّكْرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ نحن أحوج فإنا ضعفاء لا نقدر على طلب المعاش".^(١)

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢) يقول الإيجي: "نزلت في صحابة عميت عليهم القبلة، فتحروا القبلة فصلوا إلى أنحاء مختلفة ثم تبين خطأهم، أو نزلت في صلاة التطوع حين السير أو في تحويل القبلة لما عيرت اليهود بأن ليس لهم قبلة معلومة، أو لما نزلت "ادعوني أستجب لكم" قالوا أين ندعوه فنزلت، أو لما مات النجاشي...".^(٣)



حيث ذكر الإيجي. فمن الملاحظ هنا أنه نقل أكثر من سبب نزول للآية الواحدة دون الإشارة إلى مصدرها أو صحة سنده.

خامساً: التنبيه على وقت النزول وجعله من وسائل الترجيح.

ومن أمثلة عنايته ببيان وقت النزول عند تفسير قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^(٤) يقول الإيجي: "وعن الإمام أحمد قال: قال عليه الصلاة والسلام، لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ نعيت إلي نفسي بأني مقبوض في تلك السنة" وعن أكثر السلف: أنها أجله عليه الصلاة والسلام. وفي مسلم والنسائي والطبراني "أنها آخر سورة نزلت من القرآن جميعاً" وعن البيهقي وغيره "أنها نزلت في أيام التشريق بمنى في حجة الوداع" فيكون نزولها بعد فتح مكة بسنتين".^(٥)

(١) الإيجي، جامع البيان، ١٢٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١١٥.

(٣) الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٣٠.

(٤) سورة النصر، الآية: ١.

(٥) الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٥١٤.

ومن الأمثلة أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (١) يقول: وهذه آخر آية نزلت من القرآن عاش النبي صلى الله عليه وسلم تسع ليالٍ أو واحداً و ثلاثين يوماً". (٢)

ومن أمثلة اعتماد الإيجي - وقت النزول - في الترجيح بين أسباب النزول عدم قبول ما روي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ (٣) يقول الإيجي: "من الله تعالى بصلح الحديبية وحفظ المسلمين من أيدي الكافرين، وعن القتال بمكة، وهتك حرمة المسجد الحرام. وأما ظفرهم على المشركين فهو" أن سبعين، أو ثمانين، أو ثلاثين، رجلاً متسلحين هبطوا من جبل التنعيم يريدون غرة النبي عليه الصلاة والسلام، فدعا عليهم فأخذوا، وعفا عنهم، فأطلقوا "فأما ما ذكر: "أن عكرمة بن أبي جهل خرج في عسكر يوم الحديبية، فبعث النبي خالد بن الوليد، فهزمهم حتى أدخلهم حيطان مكة" ففيه شيء، وكيف لا؟ وخالد بن الوليد لم يكن أسلم بعد، بل كان طليعة المشركين يومئذ، كما ثبت في صحيح البخاري وغيره". (٤) الجامعية

وما رجحه الإيجي هو الثابت الصحيح صرح بذلك الإمام مسلم (٥) وأبو داود (٦) والترمذي (٧) وغيرهم. أما الرواية الثانية والتي نقلها ابن جرير في تفسيره عن ابن أبيزي (٨) وذكر

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٧٤.

(٣) سورة الفتح، آية: ٢٤.

(٤) الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٢٧٩.

(٥) رواه الإمام مسلم في صحيحه بلفظ ثمانين باب "قوله تعالى: "هو الذي كف أيديهم..". ج ٣، ص ١٤٤٢، برقم ١٨٠٨.

(٦) ورواه أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، سنن أبي داود، طبعة دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد في باب "المن على الأسير بغير فداء"، ج ٣، ص ٦١، برقم ٢٦٨٨.

(٧) ورواه الترمذي في سننه باب "ومن سورة الفتح"، ج ٥، ص ٣٨٦، برقم ٣٢٦٤، وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٨) قال ابن جرير: حدثنا به ابن حميد قال ثنا يعقوب القمي عن جعفر عن ابن أبيزي قال لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم بالهدي وانتهى إلى ذي الحليفة، قال له: عمر يا نبي الله تدخل على قوم لك حرب بغير سلاح ولا كراع، قال: فبعث إلى المدينة فلم يدع بها كراعاً ولا سلاحاً إلا حملة فلما دنا من مكة منعوه أن يدخل فسار حتى أتى منى فنزل بمنى فاتاه عينه أن عكرمة بن أبي جهل قد خرج علينا في خمسمائة فقال لخالد بن الوليد يا خالد هذا ابن عمك قد أتاك في الخيل فقال خالد أنا سيف الله وسيف رسوله فيومئذ سمي سيف الله يا رسول الله ارم بي حيث شئت فبعثه على خيل فلقى عكرمة في الشعب فهزمه...، ينظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، جامع البيان، عن تأويل أي القرآن، طبعة دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤٠٥هـ، ج ٢٦، ص ٩٥.

فيها أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد... " فسياق هذه الرواية فيه شيء - كما أشار إلى ذلك الإيجي - محتجا بما ثبت في صحيح البخاري من أن خالد بن الوليد لم يكن بعد أسلم بل كان طليعة المشركين".

وهذا هو الصحيح فقد روى البخاري بسند إلى المسور بن مخرمة قال: "خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية حتى كانوا ببعض الطريق قال النبي صلى الله عليه وسلم إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم.... الرواية".^(١) وهكذا تبين كيف أن الإيجي لا يسلم لعدد من الروايات الواردة في أسباب النزول معتمداً على وقت النزول - الثابت الصحيح - في الترجيح والرد.

ومن وسائل الترجيح بين أسباب النزول عند الإيجي أيضا مدى موافقة سبب النزول لمكية أو مدنية السورة فمن ذلك ما ذكره الإيجي عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.^(٢) قال الإيجي: "نزلت في غزوة بدر وقال بعضهم نزلت حين أسلم عمر ثم اعترض عليه بأن الأنفال كلها مدنية وإسلام عمر قبل الهجرة فلا يصح هذا".

فنجد أن الإيجي هنا رد سبب النزول القائل بأن نزول الآية كان عند إسلام عمر وذلك لأنه لا يتفق مع الثابت بأن السورة بأكملها مدنية وإسلام عمر كان قبل الهجرة.

المطلب الثاني: منهجه في تحديد المكي والمدني.

والمشهور عند العلماء أن المكي: ما نزل قبل الهجرة وإن كان نزوله بغير مكة، المدني: ما نزل بعد الهجرة وإن كان نزوله بغير المدينة".^(٣) أما أنواع ما نزل من السور فأربعة: مدني خالص، ومكي خالص، ومدني بعضه مكي، ومكي بعضه مدني.

١ (ينظر البخاري، الصحيح باب "الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط" ج ٢، ص ٩٧٤، برقم ٢٥٨١.

٢ (سورة الأنفال، الآية: ٦٤.

٣ (ينظر أبو شهبة، محمد، المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص ٢٢١، وما بعدها.

وقد حدد الإيجي في أول كل سورة نوعها مكية أو مدنية وعدد آياتها والمستثنى منها إن وجد.
وفيما يلي جداول توضيحية للمكي والمدني بحسب رأي الإيجي:

أولاً: المكي الخالص

طه	الحجر	ابراهيم	يوسف	هود	الفاحة
السجدة	العنكبوت	النمل	الفرقان	المؤمنون	الانبياء
غافر	ص	الصافات	يس	فاطر	سبأ
القمر	الطور	الذاريات	ق	الشورى	فصلت
المعارج	الحاقة	القلم	الملك	الحديد	الواقعة
الدهر	القيامة	المدثر	المزمل	الجن	نوح
الإنفطار	التكوير	عبس	النازعات	النبأ	المرسلات
الفجر	الغاشية	الأعلى	الطارق	البروج	الإشفاق
التين	الشرح	الضحى	الليل	الشمس	البلد
الفيل	الهمزة	العصر	التكاثر	القارعة	العلق
	الإخلاص	جميع الكافرون	جميع الكافرون	الماعون	قريش

ثانياً: المدني الخالص

النور	الحج	الأطفال	النساء	آل عمران	البقرة
الممتحنة	الحشر	الرحمن	الفتح	محمد	الأحزاب
النصر	الزلزلة	التحریم	المنافقون	الجمعة	الصف

ثالثاً: المكي وبعضه مدني

السورة	المستثنى من المكي
الأنعام	ست أو ثلاث: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾
الأعراف	ثمان آيات: ﴿ وَسَأَلَهُمْ...إلى قوله: ﴿ وَإِذْ نُنْفِئُ، وَقِيلَ إِلَى قَوْلِهِ: وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾
يونس	ثلاث آيات: ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا... ﴾
النحل	مكية إلا ثلاث آيات من آخرها
الإسراء	قيل إلا قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ... ﴾ إلى ثمان آيات
الكهف	قيل إلا قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ... ﴾ الآية.
مريم	إلا آية السجدة ﴿ إِذَا نُفِثَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُ الرَّحْمَنِ حَرَّوْا سُجَّدًا وَبُكِيًا ﴾
الشعراء	إلا: ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ ... إلى آخر الآيات.

القصص	قيل إلا قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ إلى قوله: ﴿الْجَاهِلِينَ﴾.
الروم	إلا قوله: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾... الآية.
لقمان	إلا ثلاثاً: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ ...
الزمر	إلا آية: ﴿قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ اسْرَفُوا﴾ ... الآية.
الزخرف	إلا آية: ﴿وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ ... الآية.
الدخان	إلا آية: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾ ... الآية.
الجاثية	إلا آية: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ... الآية.
الاحقاف	إلا الآيات ١٠، ١٥، ٣٥
النجم	إلا آية: ﴿وَالَّذِينَ يَمْنَبُونَ﴾ ... الآية.

رابعاً: المدني وبعضه مكي

السورة	المستثنى من المدني
التوبة	إلا الآيتين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾، وقوله: ﴿مَا كَانَ
المجادلة	سوى العشر الأول

خامساً: المختلف فيه

السورة	الرعء	التغابن	المطففين	القدر	البينة	العاديات	الكوثر	الناس	الفلق
--------	-------	---------	----------	-------	--------	----------	--------	-------	-------

* أبرز معالم الإيجي في معرفة المكي والمدني:

أولاً: الاعتماد على المأثور من أقوال الصحابة والتابعين في النقل والترجيح.

فمن أمثلة إعماده على المأثور عند قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ

رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١) يقول الإيجي: أي اليهود والأحاديث الواردة في نزول

هذه الآية مشعرة بأنها نزلت في المدينة والأصح أن السورة كلها مكية فأجيب بأنه نزلت مرتين

أو أنه نزل في المدينة عليه وحي بأن يجيبهم عما سألوا بالآية المتقدم إنزالها عليه في مكة وما

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

ذكره الإمام أحمد يدل على أنها مكية فإنه نقل عن ابن عباس أن قريشا قالت لليهود أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل فقالوا اسألوه عن الروح فسألوه فنزلت".^(١)

فمن خلال النظر في موضوع الآية وارتباطها باليهود إشارة إلى أنها مدنية، ولكن الإيجي لا يقبل هذا النظر لما ثبت لديه بالمأثور عن ابن عباس يصرح بأن السورة مكية.

ومن ذلك أيضاً عند تفسيره لسورة التغابن يقول الإيجي: "مختلف فيها: قال الأكثرون - في سورة التغابن - مدنية وقال ابن عباس وغيره مكية إلا آيات من آخرها".^(٢)

وهذا ما سار عليه الإيجي في تفسيره معتمداً في ذلك على ما نقل من مأثور السلف في بيان المكي والمدني كيف لا وهم أعلم الناس بما نزل وأين نزل....

ثانياً: ذكر الخلاف في المكي والمدني.

والأمثلة كثيرة منها المثال في الفقرة السابقة ونذكر هنا مثالا آخر فمن ذلك ما أورده عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾^(٣) يقول الإيجي: "أي زكاة الأموال، فإن قيل السورة مكية والزكاة قد فرضت بالمدينة قلت قال بعض المحققين فرضت بالمدينة نصابها وقدرها وأما أصلها فقد كان واجبا بمكة قال تعالى في سورة الأنعام وهي مكية: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾".^(٤)

فالإيجي هنا يحاول دفع الإشكال الحاصل بين كون الآية في الزكاة ومعلوم أن الزكاة كانت في المدينة وكون السورة مكية، فبين الوجه الذي استند فيه للترجيح بأن أصلها فرض بمكة أما المقادير والأنصبه فكانت بالمدينة.

(١) الإيجي، جامع البيان، ج١، ص٤٠٧.

(٢) المرجع السابق، ج٣، ص٣٩١.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٤.

(٤) الإيجي، جامع البيان، ج٢، ص٥٧.

ثالثاً: الاعتماد على أبي حيان في البحر المحيط في معرفة المكي والمدني.

كما فعل رحمه الله في بداية تفسيره لسورة النجم قال الإيجي: "مكية، قال في البحر أول سورة أعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحرم والمشركون يسمعون وفيها سجد وسجد معه المؤمنون والمشركون والجن والإنس غير أبي لهب فإنه رفع حفنة من التراب إلى جبهته وقال يكفي هذا".^(١)

ومن ذلك أيضاً عند تفسيره لسورة يس قال الإيجي: "قال في البحر هذه السورة مكية إلا أن فرقة زعمت أن قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾^(٢) نزلت في أبي سلمة من الأنصار حين أرادوا أن يتركوا ديارهم وينتقلوا إلى جوار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس زعماً صحيحاً وقيل إلا قوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا اللَّهَ مَا رَزَقَهُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطَعَمَهُ ﴾^(٣) وهذا الإشكال - الذي أشار إليه الإيجي - يبينه قول ابن كثير: "وليس في ذلك شيء مرفوع".^(٤)

أما الرواية السابقة فهي من رواية الترمذي تفرد بها وقال حسن غريب.^(٥)

فكما لوحظ اعتماد الإيجي في بيان المكي والمدني على نقل أبي حيان لتلك الروايات إثباتاً أو رداً.

المطلب الثالث: منهجه في عرض القراءات.

القراءات جمع قراءة وهي في اللغة مصدر سماعي لقراء، وفي الاصطلاح: "مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها".^(٦)

(١) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٣١٦.

(٢) سورة يس، الآية: ١٢.

(٣) سورة يس، الآية: ٤٧.

(٤) ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٥٦٧.

(٥) ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٥، ص١٢.

(٦) ينظر الزرقاني، محمد عبدالعظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦هـ، مكتب البحوث والدراسات، ج١، ص٢٨٤.

اهتم الإيجي في تفسيره بالقراءات اهتماما كبيرا ووقف عليها كثيراً من خلال تفسيره فما ترك آية وردت فيها قراءة إلا نبه إلى ذلك كما أنه عمل على توجيه تلك القراءات كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

وقبل أن نتعرف على هذا كله يجدر بنا أن نتعرف أولاً على ضابط القراءة الصحيحة التي يجب قبولها ولا يجوز ردها عند الأئمة الأثبات، وأحسن من تكلم في هذا النوع إمام القراءة في زمانه أبو الخير بن الجزري، قال في أول كتابه النشر: "كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية، ولو احتمالاً، وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة، أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عن أكبر منهم هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف".^(١)

وبعد هذه المقدمة نتعرف إلى الجهد الحقيقي الذي بذله الإيجي في ميدان القراءات عرضاً وتوجيهاً واحتجاجاً من خلال النظر في المواطن التي ذكر الإيجي فيها القراءات. ومن أبرز معالم منهجه في عرض القراءات القرآنية واستخدامها في التفسير:

أولاً: نسبة القراءات إلى أصحابها غالباً:

والأمثلة على ذلك بالغة الكثرة فمن ذلك ذكره لقراءة نافع عند قوله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾^(٢) يقول الإيجي: ﴿عَلَىٰ﴾ بمعنى الباء أي بأن لا أقول كما تقول رميت على القوس أو أصله حقيق على أن لا أقول كما هو في قراءة نافع فقلب لا من الإلباس أو أراد موسى أن يغرق في وصف نفسه بالصدق فيقول أنا حقيق علي قول الحق أي واجب على قول الحق".^(٣)

١ (ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع دار الكتب العلمية، ج ١، ص ٩.

٢ (سورة الأعراف، الآية: ١٠٥.

٣ (الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٢٣٠.

وكذلك أيضاً تصريحه بنسبة القراءة إلى حمزة والكسائي عند قوله تعالى: ﴿وَسَاءَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْرِضُوا لِلنِّسَاءِ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾ (١) يقول الإيجي: حتى يطهرن من الدم أو يغتسلن وقراءة حمزة والكسائي وهو يطهرن دالة عليه. (٢)

أما عاصم فقد ذكره الإيجي عند قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ (٣) يقول الإيجي: في قراءة عاصم ﴿حَمَّالَةَ﴾ بالنصب على الذم وحينئذ يكون ﴿وَأَمْرَاتُهُ﴾ مبتدأ وخبره ﴿فِي جِدِّهَا﴾. (٤)

وهكذا من خلال ما سبق لاحظنا كيف أن الإيجي كان ينسب القراءات إلى أصحابها. وكان أحياناً يورد القراءة دون الإشارة إلى قارئها مكتفياً بقوله: "ومن قرأ" أو "وفي قراءة".

ومن الأمثلة على ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿كَانَتْ جَمَلَتْ صَفْرًا﴾ (٥) يقول الإيجي: "شبه الشرر بالقصر في عظمه حين ينفذ من النار وبالجمالات في اللون والكثرة والتتابع والإختلاط وسرعة الحركة حين يأخذ في الإرتفاع والإنسباط ومن قرأ بضم الجيم فالمراد الحبال العظيمة من حبال السفن شبهه بها في امتداده والتفافه". (٦)

فالإيجي يشير إلى قراءة ﴿جَمَلَتْ﴾ بالضم دون التصريح بصاحب القراءة.

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً عند قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْتُهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَعْرَبِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ (٧) أي أكلام أعجمي ومخاطب عربي فالهمزة للإنكار ومن قرأ بلا همزة فهو إخبار". (٨)

١ (سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

٢ (الإيجي، جامع البيان، ج١، ص٥٤.

٣ (سورة المسد، الآية: ٤.

٤ (الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٥١٥.

٥ (سورة المرسلات، الآية: ٢٣.

٦ (الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٤٥٤.

٧ (سورة السجدة، الآية: ٤٤.

٨ (الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص١٩١.

فلو حظ على الإيجي اقتصاره على ذكر القراءة في قوله تعالى ﴿أَجْمِيًا﴾ بالهمزة وبدونها فقط دون التصريح بقارئها.

ثانياً: الجمع بين القرائتين.

يحاول الإيجي الأخذ بالقراءات الواردة في اللفظة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ولا شك بأن هذا هو الأولى لأن فيه إعمالاً للقرائتين معا .

ومن الأمثلة على ذلك وقوفه عند قوله تعالى ﴿حَمْتَةٍ﴾ محاولاً الجمع بين القراءات الواردة فيها دون أن يرجح أحدهما على الأخرى فعند تفسير قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾^(١) يقول الإيجي: "أي رأى الشمس في نظره تغرب في عين ذات حمأة أي طين أسود من قرأ حامية أي حارة والجمع بين القرائتين أن تكون العين جامعة للوصفين".^(٢)

وهذا الجمع من الإيجي هو الأولى لأن كلا القرائتين فيها وجه صحيح وهو ما ذهب إليه أصحاب الحجج في القراءات، قال ابن خالويه: "قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر ﴿فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ﴾ بالألف: "أي حارة من حميت تحمى فهي حامية قال تعالى: ﴿تَصَلَّىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ أي حارة وحجتهم ما روي عن أبي ذر رحمه الله قال: "كنت ردف النبي صلى الله عليه وهو على حمار والشمس عند غروبها فقال يا أبا ذر هل تدري أين تغرب هذه قلت الله ورسوله أعلم قال إنها تغرب في عين حامية"^(٣) وقرأ الباقون ﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ مهموزاً، فالحمأة الطين المنتن المتغير اللون والطعم وحجتهم ما روي في حديث ذي القرنين أنه رأى مغيب الشمس عند غروبها في ماء وطين تغرب... وهذا القول ليس ينفي قول من قرأها حامية إذا كان جائزاً أن

١ (سورة الكهف، الآية: ٨٦.

٢ (الإيجي، جامع البيان، ص٤٢٥.

٣ (رواه الحاكم في المستدرک، ج٢، ص٢٦٧، برقم ٢٩٦١، وقال الحاكم "غير مهموزة"، وهذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

تكون العين التي تغرب الشمس فيها حارة وقد تكون حارة وذات حمأة وطينة سوداء فتكون موصوفة بالحرارة وهي ذات حمأة.^(١)

وهذا ما عناه الإيجي بقوله: " أن تكون العين جامعة للوصفين " والله الموفق.

ثالثا: الاستدلال بالقراءة لتقوية وجه من وجوه التفسير أو من الإعراب أو غيرها من المسائل.

ومن أمثلة استعانته بالقراءات في ترجيح وجه من وجوه الإعراب عند تفسير قول الله

تعالى ﴿ حَقَّ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَتَسَّ الْقَرِينُ ﴿٥٨﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ

ظَلَمْتُمْ أَنْكُرًا فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٦١﴾ (٢) يقول الإيجي: أي لا ينفعكم اشتراككم واجتماعكم في

العذاب، لأن لكل نصيبه الأوفر فـ ﴿ أَنْكُرًا ﴾ فاعل ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ ﴾ أو فاعله ضمير يرجع

إلى التمني المستفاد من قوله تعالى ﴿ يَلَيْتَ ﴾ و ﴿ أَنْكُرًا ﴾ علة، أي لأنكم في العذاب

مشاركون - في قراءة ﴿ أَنْكُرًا ﴾ بالكسر.... تقوي الوجه الثاني من الإعراب".^(٣)

نكر الإيجي وجهين من وجوه الإعراب في الآية^(٤) ثم يرجح الوجه الثاني بناء على ما

في الآية من قراءة ﴿ أَنْكُرًا ﴾ بكسر الهمزة.^(٥)

أما إذا كانت وجوه الإعراب محتملة وقد ورد في كل وجه ما يقويه من القراءة فإنه

يترك الترجيح، كما فعل رحمه الله عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا زَيْنًا أَلْمَاءَ الدُّنْيَا بَرِيَّةَ الْكُوكِبِ

﴿٦٠﴾ يقول الإيجي: "تنوين ﴿ بَرِيَّةَ ﴾ مع جر ﴿ الْكُوكِبِ ﴾ تؤيد أن الإضافة للبيان،

١ (ابن خالويه، الحسين بن أحمد أبو عبد الله، الحجة في القراءات السبع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠١هـ، ص ٤٢٩.

٢ (سورة الزخرف، الآية: ٣٩.

٣ (الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٢٢١.

٤ (الأول: أن يكون "أنكم" فاعل "لن ينفعكم"، والثاني: أن يكون فاعل "لن ينفعكم"، ضمير يستفاد من التمني في "يا ليت".

٥ (فالحجة لمن كسر أنه جعل الكلام تاماً عند قوله: "إذ ظلمتم"، ثم استأنف "إنكم" فكسرها، والحجة لمن فتح أنه جعل آخر الكلام متصلاً بأوله فكأنه قال ولن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب إذ ظلمتم أنفسكم في الدنيا فيكون موضع أنكم ها هنا رفعاً والكاف والميم في موضع نصب، ينظر ابن خالويه الحجة في القراءات، ص ٣٢٢، مرجع سابق.

٦ (سورة الصافات، الآية: ٦.

والـ ﴿ زِينَةٌ ﴾ إسم. وقراءة نصب ﴿ الْكَوَاكِبِ ﴾ تؤيد أن الإضافة إلى المفعول والـ ﴿ زِينَةٌ ﴾ مصدر أي بأن زان الله الكواكب وحسنها". (١)

يذكر الإيجي أن قوله تعالى ﴿ زِينَةَ الْكَوَاكِبِ ﴾ تقرأ بالتثوين والنصب والخفض معا وما ذهب إليه الإيجي من بيان هذه الوجوه ذكرته كتب الحجج قال ابن خالويه: "وحجة من نون ونصب أنه عند أهل البصرة شبيه بالمصدر لأن المصدر عندهم إذا نون عمل عمل الفعل وكذلك إذا أضيف إلى الفاعل أو المفعول وهو عند أهل الكوفة منصوب بمشتق من المصدر والحجة لمن نون وخفض أنه أبدل الكواكب من الزينة لأنها هي الزينة وهذا بدل الشيء من الشيء وهو هو في المعنى". (٢)

رابعاً: توجيه القراءات الصحيحة مع بيان المعنى المستفاد من ذلك التوجيه:

وهذا الفن ميدان عظيم يقول الزركشي عنه: "وهو فن جميل به تعرف جلالة المعاني وجزالتها وقد اعتنى الأئمة به وأفردوا فيه كتباً منها كتاب "الحجة" لأبي علي الفارسي وكتاب "الكشف" لمكي "شرح الهداية" للمهدوي. (٣)

وقد اعتنى الإيجي بهذا العلم فعمل على توجيه القراءات مستتباً من هذا التوجيه المعاني المستفادة والأحكام المستنبطة.

ومن الشواهد الدالة على ذلك في جامع البيان عند تفسير قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرًا مِنِّي وَمِنْ نَشَأٍ وَلَا يَرُدُّ بِأَسْنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (٤)

يقول الإيجي: "فيه قراءتان التخفيف والتشديد: وعلى الأول: الضمائر كلها لمن أرسل الرسل إليهم فإن الرسل دال عليهم وحاصله: أنهم حسبوا كذب الرسل في الوعد والوعد والضمائر للرسل يعني: قد خطر بخواطيرهم خلف الوعد من الله تعالى في نصرهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما: "لأنهم كانوا بشراً" وتلا ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصَرَ اللَّهُ ﴾ (٥) وقيل

(١) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٩١.

(٢) ابن خالويه، الحجة في القراءات، ص٣٠٠.

(٣) الزركشي: البرهان، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ، ج١، ص٤١٩.

(٤) سورة يوسف، الآية: ١١٠.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢١٤.

معناه ظنوا كذب القوم بوعد الإيمان وخلف وعدهم، وعلى الثاني: الضمائر للرسل والظن بمعنى اليقين وهو شائع أي أيقنوا تكذيب القوم لهم أو بمعناه أي ظنوا أنهم يكذبهم من آمن بهم أيضاً ويرتدون عن دينهم لاستبطاء النصر".^(١)

يذكر الإيجي أن قوله تعالى ﴿ قَدْ كُذِبُوا ﴾ يقرأ بتخفيف الذال وبتشديدها: وفي كلا القراءتين توجيه يستفاد منه فالحجة لمن خفف أنه جعل الظن للكفرة بمعنى الشك وتقديره: وظن الكفرة أن الرسل قد كذبوا فيما وعدوا به من النصر. والحجة لمن شدد: أنه جعل الظن للأنبياء بمعنى العلم يريد: ولما علموا أن قومهم قد كذبوهم جاء الرسل نصرنا.^(٢)

من الأمثلة على ذلك أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾^(٣) يقول الإيجي: "نصبه نافع والكسائي وابن عامر وحفص ويعقوب عطفاً على ﴿ وُجُوهَكُمْ ﴾ وجره السابقون، وعلى الإنصاف ظاهر قراءة النصب على وجوب الغسل وظاهر الثانية على وجوب المسح فإن جر الجوار وإن كان باباً واسعاً فهو خلاف الظاهر والأحاديث الصحاح تدل على وجوب الغسل دلالة لا محيص عنها".^(٤)

وفي المثال السابق يكشف الإيجي عن منهجية في قبول القراءات وإعمالها مبينا موقفه منها إذا خالفت الثابت الصحيح، فهو لا يقبل قول من ذهب إلى جر ﴿ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ مصرحاً أنه لا وجه لها لأمرين:

١. أن الجر بالجوار خلاف الظاهر - وإن كان مستعملاً في نظم الشعر للاضطرار وفي الأمثال، والقرآن لا يحمل على الضرورة وألفاظ الأمثال.^(٥)
٢. أن الأحاديث الصحاح تدل دلالة واضحة على وجوب الغسل.

(١) الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٣٤٣.

(٢) ينظر ابن خالويه، الحجة في القراءات، ص ١٩٩.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦.

(٤) الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ١٥٩.

(٥) ينظر ابن خالويه، الحجة في القراءات، ص ١٢٩.

خامساً: موقف الإيجي من القراءة الشاذة.

تعرض الإيجي للقراءة الشاذة في مواضع عديدة من تفسيره، توطئة للإفادة منها في تقوية بعض الوجوه التفسيرية وقد التزم في إيرادها منهجاً سليماً، حيث فصلها عن القراءات المتواترة الصحيحة ونبه على أنها من الشواذ فعبّر عنها بلفظ "وفي الشواذ" على عكس القراءة الصحيحة التي كان يصرح باسم صاحبها أحياناً بقوله "وقرأ ابن عامر... كذا".

ومن الأمثلة التي صرح بها الإيجي أنها من الشواذ عند قول الله تعالى: ﴿الَّذِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي﴾^(١) يقول الإيجي: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ في التوقير وتحريم نكاحهن على التأييد لا في النظر والخلوة، والأصح أن لا يقال: هن أمهات المؤمنات، وفي الشواذ - عن أبي بن كعب وابن عباس - أنهما قرأ

"وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم"^(٢) شمع الحقوق محفوظة

ومن الأمثلة التي تدل على إفادة الإيجي من الشواذ في ترجيح وجه من وجوه التفسير عند قول الله تعالى: ﴿هُوَ أَحَبُّكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾^(٣) يقول الإيجي ﴿هُوَ﴾ أي الله، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ في سائر الكتب، ﴿وَفِي هَذَا﴾ القرآن، وفي الشواذ ﴿اللَّهُ﴾ بدل ﴿هُوَ﴾ وفي النسائي: "من دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جناء جهنم قال رجل يا رسول الله وإن صام وصى فادعوا بدعوة الله التي سماكم بها المسلمون المؤمنون عباد الله"، وقيل الضمير لإبراهيم فإنه دعا بقوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ﴾ ﴿وَفِي هَذَا﴾ معناه وفي القرآن بيان تسمية إياكم بهذا الاسم حيث حكى فيه مقالته أو لما كان تسميتهم في القرآن بسبب تسميته من قبل كأنها منه وفيه بعد"^(٥).

١ (سورة الأحزاب، الآية: ٦.

٢ (الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٢١.

٣ (سورة الحج، الآية: ٧٨.

٤ (ينظر النسائي، السنن، باب قوله تعالى: "وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون"، ج٦، ص٤١٢، برقم ١١٣٤٩، بنفس اللفظ.

٥ (الإيجي، جامع البيان، ص٥٦.

وهكذا تبين أن الإيجي استفاد من الشاذ في ترجيح وجه من وجوه التفسير وهو أن الضمير عائد على الله لا على إبراهيم، ومما يؤيد ذلك ما أورده الإيجي نقلا عن النسائي وقد وجدته أيضاً في المستدرک بلفظ: "... ويدعي بدعوى الله التي سماكم بها المؤمنین المسلمین عباد الله" هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. (١)

ومن ذلك أيضاً وقوفه على قراءة ﴿فَقَبُولُ﴾ الشاذة بصيغة الأمر عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ (٢) يقول الإيجي ﴿مَحِيصٍ﴾ مفر لهم من قضاء الله تعالى وهل نفعتم القوة؟ فأنتم أيضاً لا مفر لكم. أو معناه: فبحثوا وطلبوا وفتشوا في البلاد هل من محيص من الموت فلم يجدوا وقيل معناه: فنقبوا وساروا أي أهل مكة في أسفارهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصاً حتى يتوفوا لأنفسهم وقراءة ﴿فَقَبُولُ﴾ الشاذة بصيغة الأمر تدل على هذا الوجه. (٣)

وهكذا تبين مدى استفادة الإيجي من مبحث الشاذ في الوقوف على بعض المعاني والأحكام المستنبطة خصوصاً إذا وافقت وجهاً من وجوه اللغة أو ثبت ما يسندها من مآثور وغيره.

* موقفه من القراءة التفسيرية:

جاءت بعض القراءات عن بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - بزيادة بعض الكلمات أو الحروف على آيات من القرآن وهي في الحقيقة شروح تفسيرية منهم ظننها بعض السامعين أنها من القرآن، وما هي منه - فهي من الشاذ -، وقد يستفاد من هذه الزيادات بعض الأحكام.

أما عن موقف الإيجي منها فهو لا يعترف بها ولا يعدها من القراءات، وقد صرح بهذا الموقف عند قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (٤) يقول الإيجي: "أي اهتموا في سيركم إليها كي لا تفوت منكم، وليس المراد هنا

(١) ينظر الحاكم، المستدرک، کتاب الصوم، ج ١، ص ٥٨٢، برقم ١٥٣٤.

(٢) سورة ق، آية: ٣٦.

(٣) الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٣٠٠.

(٤) سورة الجمعة، الآية: ٩.

المشي السريع ففي الصحيحين: "إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا"^(١) - قرأ كثير من الصحابة والتابعين "فامضوا" بدل ﴿فَأَسْعُوا﴾ وينبغي أن يحمل على التفسير حيث لا يراد بالسعي هنا الإسراع في المشي ولا تكون قراءة، لمخالفتها ما أجمع المسلمون عليه"^(٢).

فمن خلال ما سبق نلاحظ أن الإيجي حمل قراءة ﴿فامضوا﴾ الواردة عن الصحابة على أنها تفسيرية منهم ولا تعد من القراءة لمخالفتها إجماع المسلمين أيضاً.

الإ أن الإيجي اعتنى بها باعتبارها من الشاذ الذي يستفاد منه في توضيح وجه من وجوه التفسير كما فعل رحمه الله تعالى عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾^(٣) يقول الإيجي: "أكاد أخفيها عن نفسي أي وقتها فهو مبالغة في الإخفاء - كما تقول كتمت سرك

عن نفسي - وفي مصحف أبي وابن مسعود أكاد أخفيها من نفسي"^(٤).

ومن ذلك أيضاً ما استفاده من قراءة ابن مسعود التفسيرية لقول الله تعالى: ﴿وَسَأَلَ مَنْ

أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾^(٥) يقول الإيجي: السؤال عن

الرسول سؤال عن أمهم ويدل عليه قراءة ابن مسعود "واسأل الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا"^(٦).

ومن ذلك أيضاً عند تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ

فَهُمْ مُّكْمَحُونَ﴾^(٧) يقول الإيجي يعني في أعناقهم وأيديهم فإن الغل لا يكون في العنق دون

١ (رواه الإمام البخاري، "باب لا يسعى إلى الصلاة وليأت بالسكينة والوقار"، وقال ما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا، قاله أبو قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم، ج ١، ص ٢٢٨، برقم ٦١٠، ومسلم في صحيحه، باب "استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة والنهي عن إتيانها سعياً"، ج ١، ص ٤٢٠، برقم ٦٠٢.

٢ (الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٣٨٧.

٣ (سورة طه، الآية: ١٥.

٤ (الإيجي، جامع البيان، ج ٢، ص ١٦.

٥ (سورة الزخرف، آية: ٤٦.

٦ (الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٢٢٢.

٧ (سورة يس، آية: ٨.

ولاشك أن السورتين منفصلتين وهذا ما عليه الإجماع قال ابن جرير: "إجماع المسلمين على أنهما سورتان منفصلتان مستقلتان" إلا أن بينهما ترابطاً واضحاً" كما صرح بذلك محمد بن إسحاق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم^(١) والمعنى أهلك من قصدهم من الحبشة ليتسامع الناس فيتهيّبوا لهم زيادة تهيب ويحترمون فضل احترام حتى ينتظم لهم الأمن في رحلتهم فلا يجترء عليهم أحد".^(٢)

٢- المناسبة بين الآيتين المتتاليتين:

من ذلك ما ذكره من المناسبة بين قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجُّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَسَحُّوْا فِي الْمَجْلِسِ فَاسْحَوْا بِسَخِ اللَّهِ لَكُمْ﴾^(٤) يقول الإيجي مبيناً وجه المناسبة بين الآية السابقة الذكر وهذه الآية، حيث يقول: "ولما نهى المؤمنين عن سبب التباغض والتنافر أمرهم بما هو سبب المودة والتقارب فقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَسَحُّوْا﴾".^(٥)

٣- المناسبة بين أول السورة وآخرها: مع الرسائل الجامعية

كما فعل رحمه الله عند تعرضه لتفسير قول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوِّيَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾^(٦) في أول السورة وبين قول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُؤُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾^(٧) حيث يقول مصرحاً بالمناسبة بين أول السورة وآخرها: "نهى عن موالة الكفار مطلقاً أو اليهود منهم في آخر السورة كما نهى في أولها".^(٨)

(١) ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٥٥٤، مرجع سابق.

(٢) أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٩، ص٢٠٢.

(٣) سورة المجادلة، آية: ٩.

(٤) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٥) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٣٦٥.

(٦) سورة الممتحنة، الآية: ٣٦٧.

(٧) سورة الممتحنة، الآية: ١٣.

(٨) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٣٨٢.

٤- المناسبة بين موضوعات السورة:

كما أن الإيجي يحاول ربط مجموعة من الآيات بموضوعها مع مجموعة أخرى كما فعل عند قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَمُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٣٦) إلى قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَهْتَبُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٦) يقول الإيجي: "لما فرغ عن حديث الربا الذي هو حرب مع الله كما قال الله استأنف حديث الجهاد الأكبر". (٢)

٥- المناسبة بين الجمل في الآية الواحدة:

كما فعل رحمه الله عند قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (٣) يقول الإيجي: "جملة ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ توسطت بين شهادتهم وتكذيبهم أيذانا بأن الأمر كما لفظوا ولولم يأت بهذه الجملة لربما توهم متوهم أول الأمر أن قولهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ كذب فتوسطت الآية بينهما ليزول ذلك التوهم". (٤)

المطلب الخامس: منهج الإيجي في الناسخ والمنسوخ.

أولى العلماء هذا العلم عناية فائقة، وقد نبه إلى أهمية هذا العلم الأئمة الأعلام حيث قالوا: "فلا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف الناسخ والمنسوخ، وقد كثر الخلاف في الناسخ والمنسوخ في القرآن في أنواعه وعدد آياته. وليس المقصود من هذا المطلب تحرير الخلاف في ذلك، وإنما المقصود بيان منهج الإيجي في الناسخ والمنسوخ". (٥)

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٠.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ١٠٢.

(٣) سورة المنافقون، الآية: ١.

(٤) الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٣٨٨.

(٥) ينظر للتوسع: ابن الجوزي، أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي، نواسخ القرآن، تحقيق: محمد المليباري، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٩٨٤م، ص ١٢٧، وما بعدها باب "ذكر الآيات اللواتي ادعى عليها النسخ.

وقد تعرض الإيجي لبعض أنواع النسخ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾^(١) حيث قال: "ما ننسخ من آية، نبطل حكمها كتبديل حكم من حل إلى حرمة أو من حرمة إلى حل، ويكون اللفظ من القرآن أو النسخ رفعها من القرآن: وهو أعم من أن يبطل حكمه والثاني نحو: "لو كان لابن آدم وأديان من مال لابتغى ثالثاً" ﴿ نُنسِهَا ﴾ نمحها عن القلوب" عن ابن عباس: "كان الوحي نزل عليه بالليل وينسأه بالنهار، فإذا نزل أو ننسها ومن قرأ ننسأها أي نؤخرها، أي في اللوح المحفوظ أو نثبت قراءتها ونبدل حكمها فعلى هذا النسخ عكسه أي نثبت حكمها أو نبدل قراءتها نحو: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما"^(٢).

وقد تمثل منهجه في هذا المبحث بصورتين:

الصورة الأولى: يسوق الروايات في النسخ مسلماً لما صح منها.

ومثال ذلك عدة المتوفى عنها زوجها كانت في بادئ الأمر تعدد سنة ثم نسخ قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَتُوفَوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَّتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ... ﴾ الآية^(٣) يقول الإيجي: "وحق المتوفى أن يوصوا قبل أن يحتضروا بأن تمتع أزواجهم بعدهم حولا كاملاً وينفق عليهم من تركته غير مخرجات من مساكنهن وهذا في ابتداء الإسلام ثم نسخت المدة بقوله: "أربعة أشهر وعشراً"^(٤).

يرى الإيجي أن هذه الآية نسخت ما كان قبلها من أمر الحول وهذا ما ذهب إليه أكثر العلماء^(٥)، فقد كان أهل الجاهلية إذا مات أحدهم مكثت زوجته في بيته حولا ينفق عليها من ميراثه فإذا تم الحول خرجت.. ثم جاء الإسلام فأقرهم على ما كانوا عليه من مكث الحول بهذه

١ (سورة البقرة، الآية: ١٠٦.

٢ (الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٢٨.

٣ (سورة البقرة، الآية: ٢٤٠.

٤ (الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٦٠.

٥ (النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي أبو جعفر، الناسخ والمنسوخ، تحقيق محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، ص ٢٣٩، ينظر إلى ص ٢٥٢ للتفصيل، وقد ساق الأدلة التي تثبت ما ذهب إليه قال: "قال أبو جعفر: "ومن صح عنه ذلك عثمان بن عفان رضي الله عنه وعبد الله بن الزبير، حين قال عبد الله بن الزبير قلت لعثمان لم أثبت في المصحف "والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج" وقد نسختها "والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً، فقال يا ابن أخي إني لا أغير شيئاً عن مكانه فبين عثمان رضي الله عنه أنه إنما أثبت في المصحف على ما أخذه عن النبي وأخذه النبي عن جبريل عليهما السلام، على ذلك التأليف لم يغير منه شيئاً، أخبرنا أبو جعفر قال حدثنا أحمد بن محمد بن نافع قال حدثنا سلمة قال حدثنا عبد الرزاق قال حدثنا معمر عن قتادة والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم قال نسختها والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً.

الآية ثم نسخ ذلك بالآية المتقدمة وهي قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرِيصَنَّ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾^(١). قال النحاس: "وهذا مجموع قول الجماعة".^(٢)

الصورة الثانية: الرد على من ادعى النسخ في بعض الآيات وهي محكمة.

فالإيجي ليس مجرد ناقل أو مقلد فهو يمحس أقوال القائلين بالنسخ فيقبل منها ما يراه صحيح النسخ، ويرد ما لم يصح النسخ عنده فيه.

ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَلَّا نُنزِّلَ الْوَيْدَ وَنَزَّرْنَا أُخْرَىٰ ﴾ وَأَنَّ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣﴾ يقول الإيجي: "أي لا تؤخذ نفس أئمة بمأثم نفس أخرى ولا يحملها عنها أحد ولا يثاب

أحد بفعل غيره أيضا هذا كما يقال: لا يملك زيد إلا كذا فليس ذلك نفيًا للإنتفاع بشيء غير كثير فافهم، فإنه معنى صحيح لا ترتفع الإشكالات إلا به، بل هو جدير أن تقوم عليه المعاني. نقل البغوي عن ابن عباس وعكرمة: إن هذا منسوخ الحكم في هذه الأمة. وهذا بعيد جداً واعلم أنه قيل: "إن عبارة ابن عباس هي: أنه لما أنزل الله ﴿ وَأَنَّ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ أنزل الله بعدها ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾^(٤) فأدخل الله الأبناء الجنة

بصلاح الآباء فحينئذ لم يذكر لفظ النسخ قيل: ولو ذكر فمراده النسخ المذكور في قوله "فينسخ الله ما يلقي الشيطان" فإنه إذا نزلت آية وفهموا منها معنى فاسداً نسخه الله تعالى وأحكم آياته فبين ابن عباس أنه لم يرد بهذه الآية: أن الإنسان لا ينتفع بعمل غيره فإن الأبناء ينتفعون بعمل آبائهم فهذا نسخ لما فيها لا لما دلت عليه فتامل".^(٥)

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٤.

(٢) ينظر النحاس، الناسخ والمنسوخ، ص ٢٣٩، وما بعدها، وينظر الكرمي، مرعي بن يوسف بن أبي بكر، قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن، تحقيق سامي عطا حسن، دار القرآن الكريم، الكويت، ١٤٠٠هـ، ص ٧٣، والمقري، هبة الله بن سلامة بن نصر، الناسخ والمنسوخ، تحقيق زهير الشاويش، محمد كنعان، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، ص ١٥٥، وابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، نواسخ القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، ص ٩، وابن إبراهيم، هبة الله بن عبد الرحيم، ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه، تحقيق حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ، ص ٢٧، وفتادة بن دعامة بن فتادة السدوسي أبو الخطاب، الناسخ والمنسوخ، تحقيق حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، ص ٣٦.

(٣) النجم، الآية: ٣٨.

(٤) الطور، الآية: ٢١.

(٥) الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٣٢٤.

في هذا المثال يرد الإيجي دعوى القائلين بالنسخ في هذه الآية المحتجين بما روي عن ابن عباس من أنه قال هذه الآية منسوخة، وعند الرجوع إلى نص ابن عباس رضي الله عنهما - كما أورده النحاس - عن ابن عباس قال: "وقوله تعالى ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ ﴿٦٣﴾ فأنزل الله جل وعز بعد ذلك ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ فادخل الله عز وجل الآباء الجنة بصلاح الأبناء" (١) فمن الملاحظ على هذه الرواية أن ابن عباس لم يصرح بالنسخ فيها مما يؤكد ما ذهب إليه الإيجي قال ابن الجوزي (٢): "وقول من قال إن هذا النسخ، غلط لأن الآيتين خبر والأخبار لا يدخلها النسخ. ثم إن إلحاق الأبناء بالآباء إدخالهم في حكم الآباء بسبب إيمان الآباء فهم بالبعض تبع الجملة ذاك ليس لهم إنما فعله الله سبحانه بفضلته وهذه الآية تثبت ما للإنسان إلا ما يتفضل به عليه". (٣)

أما عن طريقته في إيراد النسخ والمنسوخ فقد تمثل فيما يلي:

١ - ذكر الآية المنسوخة ثم بيان الآية الناسخة.

ومن الأمثلة على ذلك عند قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَّخِذْتُمُوهُمْ فَتُدُّوا أَلْوَابِقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الرَّبُّ أَوْزَارَهَا﴾ (٤) يقول الإيجي: "وعن بعض السلف أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ (٥) فالإيجي يذكر النسخ والمنسوخ وهذا في الأعم الأغلب.

٢ - الإكتفاء بالإشارة إلى النسخ.

(١) ينظر ابن الجوزي، نواسخ القرآن، ص ٢٣٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٣٣.

(٣) قال أبو جعفر وقد روي عن ابن عباس عن ابن عباس: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله جل وعز ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته وإن كان لم يبلغها بعمله ليقرب بهم عينه، ثم قرأ "والذين ءامنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم" الآية. قال أبو جعفر فصار الحديث مرفوعاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا يجب أن يكون لأن ابن عباس رحمه الله لا يقول هذا إلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه إخبار عن الله عز وجل بما يفعله وبمعنى أنه أنزلها عز وجل، ٦٨٩ - ٦٩٩، النحاس.

(٤) سورة محمد، الآية: ٤.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٥١.

ومن الأمثلة على ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَلَّتْ يَأْتِيكَ الْفَجْشَةَ مِنْ نَسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُمْ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّهِنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾^(١) يقول الإيجي: "حتى يتوفاهن الموت: أي ملائكة الموت أو يأخذهن الموت ويستوفي أرواحهن كان ذلك عقوبتهن في بدء الإسلام فنسخ بالحد"^(٢).
فمن الملاحظ على الإيجي أنه اكتفى بالإشارة إلى الناسخ دون ذكره صراحة لاشتهاره أو لثقله بمعرفة القاريء وقد عني بالحد قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾^(٣).^(٤)

٣- الإكتفاء ببيان أنها منسوخة دون ذكر الناسخ.

كما فعل رحمه الله تعالى عند قول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا أَسْمَاءَ الْحُرَامِ﴾^(٥) بعدم تعظيمه والقتال فيه والجمهور على أنه منسوخ يجوز ابتداء القتال مع أهل الشرك في أشهر الحرم.^(٦)
فهو في هذه الآيات ساق القول بنسخها دون أن يذكر ناسخها مكتفياً بذلك لاشتهار النسخ عند الجمهور. عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا أَسْمَاءَ الْحُرَامِ﴾ قال كان المشركون يحجون البيت الحرام ويهدون الهدايا ويحرمون حرمة المشاعر وينحرون في حجهم فأنزل الله عز وجل ﴿لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا أَسْمَاءَ الْحُرَامِ﴾ أي لا تستحلوا

(١) سورة النساء، الآية: ١٥.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ١١٩.

(٣) سورة النور، الآية: ٢.

(٤) ينظر للتفصيل في نسخ الآية، النحاس، الناسخ والمنسوخ، ص ٣٠٦، وما بعدها، وينظر الكرمي، فلائذ المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن، ص ٨٨، والمقري، الناسخ والمنسوخ، ص ٦٦، وابن الجوزي، ص ٦١، مراجع سابقة.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٦) الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ١٥٦.

قتالا فيه ﴿ وَلَا ءَامِينَ أَلْبَيْتِ الْحَرَامِ ﴾^(١) يقول من توجه قبل البيت ثم أنزل الله فقال: ﴿ فَأَقْتُلُوا
الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾^(٢).^(٣)

أما ما يتعلق بنسخ القرآن بالسنة الصحيحة

اتفق العلماء على جواز نسخ القرآن بالقرآن والسنة بالسنة فأما نسخ القرآن بالسنة فقد
افترق فيه العلماء بين مجوز ومانع قال ابن الجوزي: "والمشهور أنه لا يجوز وقيل يجوز ووجه
الأولى قوله تعالى: ﴿ مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ والسنة ليست مثلا
للقرآن... روى أبو داود السجستاني قال سمعت أحمد بن حنبل رضي الله عنه يقول السنة تفسر
القرآن ولا ينسخ القرآن إلا القرآن وكذلك قال الشافعي إنما ينسخ الكتاب الكتاب والسنة ليست
ناسخة له.^(٤)

إلا أن الإيجي يرى أن السنة الصحيحة ناسخة للقرآن من ذلك تصريحه أن الوصية
للوالدين والأقربين نسخت بقول النبي: "لا وصية لوارث" عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ كُتِبَ
عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾^(٥) يقول الإيجي: "وكان
وجوبه في بدء الإسلام فنسخ صرح بذلك جماعة لا يحصى من السلف وفي السنن وغيرها كان
عليه الصلاة والسلام يخطب وهو يقول إن الله تعالى أعطى لكل ذي حق حقه فلا وصية
لوارث".^(٦)

وقد ذهب كثير من العلماء إلى أن هذه الآية منسوخة ولكن ما السبيل إلى الجمع بين
القول بعدم جواز نسخ القرآن بالسنة وبين القول بنسخ الآية، هذا ما حاول النحاس فعله فقال:
"فمن قال أن القرآن يجوز أن ينسخ بالسنة قال نسخها "لا وصية لوارث" ومن قال من الفقهاء

(١) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٢) ينظر للتفصيل في نسخ الآية النحاس، الناسخ والمنسوخ، ص٣٥٨، وابن الجوزي، نواسخ القرآن، ص٥٤،
مراجع سابقة.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٥.

(٤) ينظر ابن الجوزي، نواسخ القرآن، ص٢٦.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٨٠.

(٦) الإيجي، جامع البيان، ج١، ص٤٣.

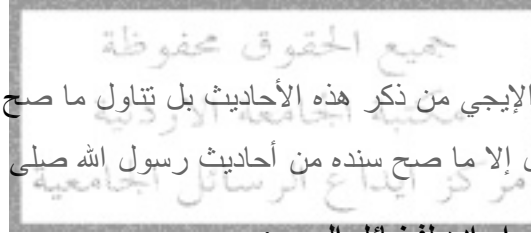
لا يجوز أن ينسخ القرآن إلا قرآن قال نسختها الفرائض قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ وقال مجاهد نسختها ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾.. الآية. (١)

فمما تقدم نلاحظ أن الإيجي يرى وقوع النسخ في القرآن ويذكر أحيانا أن الآية منسوخة بلا نقاش وأحيانا يناقش أقوال الرواة، ويردها بما ثبت لديه من أدلة ترجح ما ذهب إليه.

المطلب السادس: منهجه في إيراد فضائل السور.

الأحاديث في فضائل السور كثيرة ولكن الصحيح منها بالنسبة إلى الضعيف والموضوع قليل نسبيا، وقد وقع بعض من المفسرين في الخطأ حينما ملؤوا تفاسيرهم بالأحاديث الضعيفة والموضوعة.

ولذلك لم يكثر الإيجي من ذكر هذه الأحاديث بل تناول ما صح سنده كونه قد شرط على نفسه في مقدمته ألا ينقل إلا ما صح سنده من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.



ومن أبرز معالم إيراده لفضائل السور:

- ١- الإقتصار في كثير من الأحيان على الصحيح منها.
- ٢- ذكر هذه الأحاديث في آخر السورة.
- ٣- الإحالة إلى مصادرها من الكتب.

ومن الأمثلة التي جمعت أبرز تلك المعالم ما ذكره في آخر تفسير سورة الإخلاص حيث قال: "وقد ثبت بروايات صحيحة أن هذه السورة تعدل ثلث القرآن" (٢) "ومن قرأها مرة فكانما قرأ ثلث القرآن" وفي الترمذي والنسائي: "أنه سمع رجلا يقرأها فقال عليه السلام وجبت قيل وما وجبت قال الجنة" وفي مسند الدارمي قال عليه الصلاة والسلام: "من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات بنى الله له قصراً في الجنة ومن قرأها عشرين بنى له قصرين ومن قرأها

(١) ينظر النحاس، ص ٨٩.

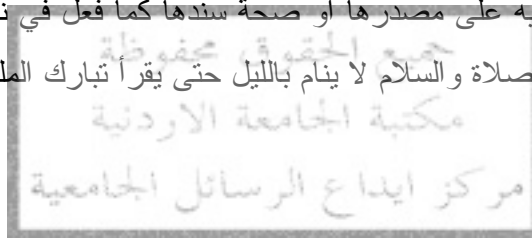
(٢) رواه البخاري من عدة طرق عن أبي سعيد الخدري ورواه أبو داود والنسائي والترمذي وقال الحافظ ابن حجر في الفتح هي ثلث القرآن باعتبار معاني القرآن لأنه أحكام وأخبار وتوحيد وقد اشتملت هي على القسم الثالث فكانت ثلثاً بهذا الاعتبار. أحمد محمد شاكر، جامع البيان، ج ٣، ص ٥١٦.

ثلاثين بنى له ثلاثاً فقال عمر بن الخطاب: إذا لنكثر قصورنا فقال عليه السلام: "الله أوسع من ذلك".^(١)

وفضائل تلك السورة في كتب الحديث كثيرة ولشيخ الاسلام ابن تيمية تفسير سورة "قل هو الله أحد في جزء لطيف وجواب أهل العلم والإيمان في أن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن فيها علم جم وفوائد في التفسير والتوحيد لا توجد في غيرها فاحرص على الانتفاع بما فيها لتتكشف لك أسرار هذه السورة العظيمة الجليلة القدر".^(٢)

فنلاحظ من خلال ما سبق أن الإيجي اقتصر على الصحيح من تلك الأحاديث، مشيراً إليها في آخر تفسيره للسورة محيلاً إلى مصدرها من كتب الأحاديث وغيرها.

ولكن من الجدير بالذكر أن ننبه أن الإيجي في قليل من الأحيان خالف طريقته وأشار إلى فضيلتها دون التنويه على مصدرها أو صحة سندها كما فعل في نهاية تفسير سورة السجدة حيث قال: "كان عليه الصلاة والسلام لا ينام بالليل حتى يقرأ تبارك الملك وألم تنزيل".^(٣)



١ (رواه الدارمي عن سعيد بن المسيب عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا، ورواه أحمد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن رسول الله . أحمد محمد شاكر، جامع البيان، ج٣، ص٥١٧.

٢ (الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٥١٦-٥١٧.

٣ (الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص١٨.

المبحث السادس الاتجاه الفقهي في جامع البيان

سبقت الإشارة في ترجمة الإيجي - رحمه الله - إلى أنه كان شافعي المذهب وقد وجدنا آثار ذلك في مواطن عدة في جامع البيان أثناء تعرضه لتفسير آيات الأحكام. وقد كان رحمه الله يورد آراء الفقهاء في بعض المسائل الفقهية باختصار وإيجاز ملتزماً بذلك ما رسمه لنفسه من منهجية الإختصار في تفسيره بشكل عام. ومن أبرز معالم منهج الإيجي الفقهي في تفسيره جامع البيان:

المطلب الأول: طرق استنباط الأحكام.

١ - اعتماده على أسباب النزول في بيان الحكم الشرعي الوارد في الآية. "لمعرفة سبب النزول فوائد كثيرة وأخطأ من ظن أن لا فائدة له، لجريانه مجرى التاريخ.. فمن أهم فوائده، الوقوف على ملابسات الحكم الشرعي لبعض آيات الأحكام وإزالة الإشكال الحاصل فيها" قال ابن دقيق العيد بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن".^(١)

وهذا ما دفع الإيجي إلى تناول هذه الأسباب في معرض تفسيره لتلك الآيات وجعلها منطلقاً في استنباط الأحكام منها مما يعين على إزالة الإشكال الحاصل في فهم الآية.

كما فعل - رحمه الله - عند تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّغَا وَالْمُرَوَّةَ مِنَ شَعَائِرِ اللَّهِ

فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ

﴿٢﴾ يقول الإيجي: "أن يطوف بهما: بالجبلين كان فيهما صنمان معروفان وأهل الجاهلية إذا سعوا مسحوا فلما جاء الحق وزهق الباطل كره المسلمون الطواف بينهما فأنزل الله الآية^(٣)

١ (ينظر السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، لباب النقول في أسباب النزول، دار احياء العلوم، بيروت، ص ١٣، بتصرف.

٢ (سورة البقرة، الآية: ١٥٨.

٣ (ينظر الواحدي، أبي الحسن بن علي بن أحمد، أسباب النزول، ط ١، ١٣٧٩هـ، ص ٢٤.

وعند الشافعي هو ركن الحج بدليل الأحاديث^(١) والآية لا تنافي ﴿ وَمَنْ تَطَوَّعَ حَيْرًا ﴾ من صلاة وزكاة وطواف وغيرها أو تطوع بالسعي عند من يرى أنه سنة - وهو مذهب ابن عباس وأنس والزهري^(٢).

ففي هذا المثال نرى أن ظاهر الآية هو مجرد إياحة السعي بين الصفا والمروة ولكن الإيجي ينبه على أن ظاهر الآية غير مراد بدليل الأحاديث الواردة في وجوب السعي مع بيان وجهة تفسير الآية الصحيح مستفيداً من سبب النزول في توضيح المراد من الآية فإن "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية وإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"^(٣) وقد أشكلت هذه الآية على جماعة من السلف حتى وقفوا على سبب نزولها فزال عنهم الإشكال^(٤).

وأما الأحاديث التي أشار إليها الإيجي في الاستدلال على الوجوب، كما هو مذهب الشافعي فمنها قوله صلى الله عليه وسلم: "يا أيها الناس كتب عليكم السعي فاسعوا"^(٥).

٢- اعتماده على السنة النبوية في استنباط الأحكام الشرعية والترجيح بينها:

راسماً بذلك منهج استنباط الأحكام الفقهية من خلال فهم القرآن في ضوء السنة الصحيحة.

كما فعل رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مِمَّنْ بَدَلْنَ ﴾^(١) يقول الإيجي: "أي فليأخذ بدل الكتابة رهان مقبوضة في يد صاحب الحق وعند

(١) قوله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس كتب عليكم السعي فاسعوا: وخرجه القرطبي في تفسيره عن الدارقطني القرطبي حيث قال: "واختلف العلماء في وجوب السعي بين الصفا والمروة فقال الشافعي وابن حنبل هو ركن وهو المشهور من مذهب مالك لقوله تعالى: "كتب عليكم الصيام" ينظر: القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ، ج ٢، ص ١٢٣.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٣٨.

(٣) السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، مرجع سابق، ص ١٣، وهو من قول ابن تيمية.

(٤) ومما يزيد الأمر إيضاحاً وبياناً، ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن عروة عن عائشة قال قالت أرأيت قول الله تعالى "إن الصفا والمروة... الآية" قلت فوالله ما على أحد جناح أن لا يتطوف بهما فقالت عائشة بنسما قلت يا ابن أخي إنها لو كانت على ما أولتها عليه كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما ولكنها إنما أنزلت أن الأنصار كانوا قبل أن يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل وكان من أهل لها يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة فسألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية، فأنزل الله عز وجل "إن الصفا والمروة... الآية" قالت عائشة ثم قد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بهما فليس لأحد أن يدع الطواف بهما" ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، طبعة دار المعرفة، بيروت، ج ١، ص ١٩٨.

(٥) سبق تخريجه.

بعض السلف أن الرهن لا يجوز في السفر والحديث يرده فقد ثبت في الصحيحين^(٢) أنه صلى الله عليه وسلم رهن درعه في المدينة من يهودي على ثلاثين صاعاً من شعير".^(٣)

فالإيجي رحمه الله يرى جواز أخذ الرهن في السفر معتمداً في ذلك على ظاهر الآية وما صح من الحديث وهذا هو مذهب الشافعية قال الشافعي: "عند قول الله عز وجل ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَةً﴾ أنهم أمروا بالكتابة والرهن احتياطاً لمالك الحق بالوثيقة والمملوك عليه بأن لا ينسى ويذكر... وقال: "لا بأس بالرهن في الحق الحال والدين في الحضر والسفر وما قلت من هذا مما لا أعلم فيه خلافاً وقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رهن درعه..".^(٤)

٣- اعتماده على اللغة في استنباط الحكم الشرعي.

وهي من علوم الآلة التي يحتاج إليها المفسر أو الفقيه يقول صاحب كتاب البرهان: "ومعرفة هذا الفن للمفسر ضروري وإلا فلا يحل له الإقدام على كتاب الله تعالى قال يحيى بن نضلة المديني: سمعت مالك بن أنس يقول: "لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا" وقال مجاهد لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب".^(٥)

وهذا ما جسده الإيجي في تفسيره حين جعل اللغة منطلقاً لفهم النصوص لا سيما ما تعلق منها بالأحكام الشرعية كما فعل رحمه الله تعالى عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَابِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾^(٦) يقول الإيجي: "عن ابن عباس رضي الله عنهما" العود: الندم "قال الفراء: عاد فلان لما قال أو فيما قال أي رجع عما قال وهو إمساكها عقيب الظهر زماناً يمكنه فيه الطلاق ولم يطلق أو المراد العزم على الوطاء.

(١) سورة البقرة، الآيات: ٢٨٣.

(٢) رواه البخاري، ج ٢، ص ٨٨٧، "باب من رهن درعه"، برقم ٢٣٧٥.

(٣) الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٧٣.

(٤) ينظر الشافعي، محمد بن إدريس أبو عبد الله، الأم، كتاب الرهن باب اباحة الرهن، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٣هـ، الطبعة الثانية، ج ٣، ص ٩٤، ١٣٩.

(٥) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ٢٩٢.

(٦) سورة المجادلة، الآية: ٣.

وما ذكره الإيجي هنا هو محل خلاف بين أهل العلم في المراد بقوله تعالى ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ فقد عد فيها بعض أهل العلم خمسة مذاهب ذكر الإيجي منها اثنين الأول ما عليه الشافعية وهو أن المراد بالعود إمساك المظاهر عنها في النكاح زمانا يمكنه مفارقتها فيه والثاني حكي عن الإمام مالك أن العود هو العزم على الجماع.^(١)

وقد مهد الإيجي لبيان ما عليه الشافعية من معنى العود بما ورد من تفسير ابن عباس مينا معتمده من اللغة قال البغوي: "وفسر ابن عباس العود بالندم فقال يندمون فيرجعون إلى الألفة"، وبمعناه هذا قال الفراء يقال عاد فلان لما قال أي فيما قال وفي نقض ما قال، يعني رجع عما قال"، وهذا ما أكده صاحب فتح القدير حيث قال: "قال الأخفش ﴿لِمَا قَالُوا﴾ و (إلى ما قالوا) يتعاقبان قال: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾.^(٢)

في هذا كله تبين لما عليه الشافعية^(٣) معتمداً على أهل اللغة في بيان الأحكام الشرعية.

٤- اعتماده القواعد الأصولية عند استنباط الحكم الشرعي:

ومن هذه المسائل الأصولية التي عرض لها الإيجي في تفسيره:

أ- الإجماع:

نقل الإيجي الإجماع في مواطن عدة نذكر منها على سبيل المثال.

عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْرِضُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾^(٤) يقول الإيجي: "حتى ينتهي ما كتب من العدة والإجماع على أنه لا يصح العقد في العدة وعند مالك أن من تزوج امرأة في عدة ودخل بها حرم عليه تلك المرأة بالتأبيد".^(٥)

(١) البيضاوي، تفسير البيضاوي، تحقيق عبد القادر عرفات العشاشوسنة، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ، ج٥، ص٣٠٨، وينظر: بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٣٢٢.

(٢) ينظر الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر، بيروت، ج٥، ص١٨٢.

(٣) وذلك أن قصده بالظهار التحريم فإذا أمسكها على النكاح، فقد خالف قوله ورجع عما قاله فتلزمه الكفارة حتى قال لو ظاهر عن امرأته الرجعية ينعقد ظهاره ولا كفارة عليه حتى يراجعها فإن راجعها صار عائداً ولزمته الكفارة، البغوي، ج٤، ص٣٠٥.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٣٥.

(٥) الإيجي، جامع البيان، ج١، ص٥٩.

فالإيجي ينقل الإجماع في تحريم نكاح الرجل المرأة المعتدة حتى تنتقضي عدتها فيبلغ الأجل الذي أجله الله في كتابه لانقضائها، وهذا ما صرح به كثير من الأئمة^(١) قال ابن كثير: "وقد أجمع العلماء على أنه لا يصح العقد في مدة العدة"^(٢) أما ما نقله الإيجي من مذهب الإمام مالك فهو المشهور عنده بشرط أن يكون قد بنى بها "ذكر القاضي أبو الوليد الباجي في المنتقى قال: لا يخلوا النكاح في العدة إذا بنى بها أن يبني بها في العدة أو بعدها فإن كان بنى بها في العدة فإن المشهور من المذهب أن التحريم يتأبد وبه قال أحمد بن حنبل^(٣).

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾^(٤) يقول الإيجي: "عن ابن عباس أنها نزلت في عمار بن ياسر حين عذبه المشركون ليرتد فوافقهم مكرها وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم معتذراً والإجماع على جواز كلمة الكفر عند الإكراه لكن الأفضل تركه وإن قتل"^(٥).

يرى الإيجي رحمه الله أن الآية نزلت في عمار بن ياسر وقد صحح الحاكم في مستدركه ذلك بقوله: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"^(٦)، كما يرى الإيجي أن إجماع أهل العلم على جواز قول كلمة الكفر عند الإكراه عليها ولكن الأفضل تركها قال القرطبي: "أجمع أهل العلم على أن من أكره على الكفر حتى خشي على نفسه القتل أنه لا إثم عليه إن كفر وقلبه مطمئن بالإيمان ولاتبين منه زوجته ولا يحكم عليه بحكم الكفر هذا قول مالك والكوفيين والشافعي"^(٧).

(١) ومنهم أيضاً القرطبي، ينظر القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ، ج ٢، ص ٥٢٧.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٢٨٨، مرجع سابق.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٣، ص ١٩٣، مرجع سابق.

(٤) سورة النحل، الآية: ١٠٦.

(٥) الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٣٨٨.

(٦) ينظر الحاكم، المستدرک باب "تفسير سورة النحل"، ج ٢، ص ٣٩٠، برقم ٣٣٦٢، وفي الرواية: قال كيف تجد قلبك قال مطمئن بالإيمان قال إن عادوا فعد.

(٧) القرطبي، الجامع لأحكام، القرآن، ج ١٠، ص ١٨٢.

ب- الشرط الفاسد في العقد.

ومن أمثلة ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾^(١) فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١﴾^(٢) يقول الإيجي: ثم اعلم أن شرط التحليل في النكاح فاسد إلا عند أبي حنيفة وقد صح: "لعن الله المحلل والمحلل له"^(٣) والخلاف في أن الناكح بنية التحليل هو المحلل أم لا وكلام السلف يدل على أنه المحلل الملعون.^(٤)

فالإيجي يتعرض لمسألة مهمة من مسائل الأصول وهي "الشرط الفاسد في العقد" منها شرط التحليل فنبه الإيجي إلى أنه شرط فاسد منهي عنه بنص الحديث الصحيح، وقد عده العلماء من باب الحيل المحرمة شرعا - كما صرح بذلك ابن حجر في الفتح - معللاً ذلك بأنه من باب ما يتوصل به إلى إبطال حق أو إثبات باطل ولم يقل أحد بجواز هذا الشرط إلا الحنفية لاشتغال القول بالحيل بينهم، لكون أبي يوسف قد صنف فيها كتاباً لكن المعروف عنه وعن غيره من أئمتهم تقييد أعمالهم بقصد الحق.^(٥)

ج- الأمر يفيد الوجوب أم الندب:

ومن الأمثلة على ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاصِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُمُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾^(٦) يقول الإيجي: مطلقاً: مؤجلاً ومعجلاً وهذا الأمر محمول على الندب عند الجمهور والأحاديث تؤيده^(٧) وعند الشعبي والحسن للوجوب.^(٨)

١ (سورة البقرة، الآية: ٢٢٠.

٢ (رواه الحاكم، في المستدرک، کتاب الطلاق، ج٢، ص٢١٧، برقم ٢٨٠٥، عن أبي جعفر محمد بن محمد بن عبد الله البغدادي، عن يحيى بن عثمان بن صالح... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبركم بالتيس المستعار قالوا بلى يا رسول الله قال هو المحل ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله المحل والمحلل له هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وينظر: "الكناني، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، دار العربية، بيروت ١٤٠٣هـ، الطبعة الثانية، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، ج٢، ص١١٢، باب المحلل والمحلل له، ورواه النسائي في سننه باب التسهيل في ترك الإشهاد على النكاح، ج٣، ص٣٢٥، بلفظ آخر، برقم ٥٥٣٥، وابن ماجه باب "المحلل والمحلل له"، ج١، ص٦٢٢، برقم ١٩٣٤ ورقم ١٩٣٥.

٣ (الإيجي، جامع البيان، ج١، ص٥٦.

٤ (ينظر ابن حجر، فتح الباري، ج١٢، ص٣٢٦، كتاب الحيل، مرجع سابق.

٥ (سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

٦ (قال الحافظ ابن كثير: "وهذا الأمر محمول عند الجمهور على الإرشاد والندب لا على الوجوب والدليل على ذلك حديث خزيمة بن ثابت الأنصاري أن النبي صلى الله عليه وسلم ابتاع فرسا من أعرابي...". رواه الحاكم في مستدرکه، قال الحاكم صحيح الإسناد على شرط الشيخين، قال ولم يخرجاه ينظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٣٣٧، مرجع سابق.

٧ (الإيجي، جامع البيان، ج١، ص٧٣.

فالإيجي يتعرض لإحدى مسائل الأصول وهي "دلالة الأمر في القرآن" هل تفيد الذنب أم الوجوب ففي هذا المثال يرى الإيجي ما يراه أئمة الشافعية والجمهور من أن الأمر هنا يفيد الذنب لا الوجوب وهذا ما صرح به الشافعي بقوله: "والذي يشبهه والله أعلم وإياه أسأل التوفيق أن يكون أمره بالإشهاد في البيع دلالة لا حتماً له".^(١)

ولا شك أن هذا الأمر وإن كان للذنب إلا أن العمل به سبب في قطع المظالم ونشيت للحقوق بل إن فيه خير يعود على المتبايعين أو أحدهما إن أراد ظلماً قامت البيعة عليه فيمنع من الظلم الذي يأتّم به.

المطلب الثاني: طرق عرض الآراء الفقهية.

سلك الإمام الإيجي عند عرضه للآراء الفقهية مسلكين رئيسيين هما:

المسلك الأول: ذكر الآراء الفقهية مرجحاً في بعض الأحوال وتاركاً الترجيح في بعضها الآخر.

ومن الأمثلة التي رجح فيها عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾^(٢) يقول الإيجي: "وعند بعض السلف أن ذبيحة تركت التسمية عليها عمداً أو سهواً حرام والآية دليلهم. وعند بعض التسمية مستحبة وقالوا الآية فيما ذبح لغير الله. وقيل الواو في ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ حالية ﴿لَفِسْقٌ﴾ ما أهل لغير الله بدليل قوله ﴿أَوْ فَسَقًا أَهْلًا لِيُغَيِّرَ اللَّهُ بِهِنَّ﴾ وقال بعض منهم المراد من الآية الميتة، وعند كثير من السلف أن ترك التسمية نسياناً لا يضر أما عمداً فالذبيحة حرام".^(٣)

فالإيجي يذكر في المسألة أربعة أقوال، الأول منها: أنه لا تحل هذه الذبيحة بهذه الصيغة عمداً أو سهواً مستدلين بظاهر الآية - وهو مذهب الظاهرية. والثاني: أن التسمية مستحبة فتركها عمداً أو سهواً لا يضر، حاملين الآية على ما ذبح لغير الله كقوله تعالى: ﴿أَوْ فَسَقًا أَهْلًا لِيُغَيِّرَ اللَّهُ بِهِنَّ﴾ وهؤلاء جعلوا الواو في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ حالية أي لا تأكلوا ما لم يذكر اسم الله عليه حال كونه فسقاً. والثالث: "رأى أن المقصود الميتة والرابع إن تركها نسياناً لا

١ (الشافعي، محمد بن إدريس، أبو عبد الله، أحكام القرآن، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ، ج٢، ص١٢٣.

٢ (سورة الأنعام، الآيات: ١٢١.

٣ (الإيجي، جامع البيان، ج١، ص٢٠٧.

يضر وإن تركها عمداً لم تحل - وهذا هو المشهور من مذهب الإمام مالك وأحمد بن حنبل - قال الحافظ ابن كثير: "نقل الحسن المرغيناني في كتابه الهداية" الإجماع قبل الشافعي على تحريم متروك التسمية عمداً"^(١) وهذا الأخير هو ما رجحه الإيجي مشيراً إلى أن هذا هو اختيار أكثر السلف.

أما من الأمثلة التي ترك الإيجي فيها الترجيح ما أورده عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هُرُوتَ وَمُرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا مَحْنُ فَتْنَةٍ فَلَا تَكْفُرْ﴾^(٢) يقول الإيجي: "عند أبي حنيفة ومالك وأحمد استعمال السحر كفر فقالوا يقتلوا لمجرد الإستعمال وعند الشافعي استعماله من الكبائر إذا لم يعتقد جوازه أو لم يكن في سحره ما يوجب الكفر"^(٣).

يتعرض الإيجي في هذه الآية إلى حكم استعمال السحر ذكراً فيه الخلاف دون أن يرجح فيذكر ما ذهب إليه الإمام مالك وأحمد من تكفير الساحر وقتله حداً لمجرد الإستعمال - فهم يجعلون حكم الساحر حكم الزنديق - أما الشافعي فقد جعل استعمال السحر من الكبائر فلا يقتل إلا إذا اعتقد جوازه أو ارتكب ما يوجب الكفر قال النووي: "إن كان في السحر قول أو فعل يقتضي الكفر كفر الساحر وتقبل توبته إذا تاب عندنا وإذا لم يكن في سحره ما يقتضي الكفر عزر واستتيب"^(٤).

ومن الجدير بالذكر أن الإيجي لم يكتف بعرض آراء المذاهب الأربعة بل تعداها إلى غيرها من المذاهب الفقهية كما تعرض أيضاً لآراء كبار الصحابة والتابعين.

ومن أمثلة الأول تعرضه للمذهب الظاهري عند تفسير قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ أَلَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنْ أَرْضَعْتِكُمْ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتِكُمْ أَلَّتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾^(٥)

(١) ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ١٧١، مرجع سابق.

(٢) سورة البقرة، الآيات: ١٠٢.

(٣) الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٢٦.

(٤) السنوي، أبو زكريا يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ، ج ١٤، ص ١٧٦.

(٥) سورة النساء، الآية: ٢٣.

يقول الإيجي: "الرببية بنت الزوجة ﴿ فِي حُجُورِكُمْ ﴾ تربيتكم وبيتكم وهذا القيد خرج مخرج الغالب لا أنه تقييد الحرمة وقد صح عن علي كرم الله وجهه أنه جعله شرطاً وإليه ذهب داود الظاهري وابن حزم ونقل عن مالك^(١).

فالإيجي تعرض هنا إلى المذهب الظاهري راداً عليه بما اتفق عليه الجمهور من أن الرببية تحرم على زوج أمها إذا دخل بالأم وإن لم تكن الرببية في حجره وقد جعل أهل الظاهر ﴿ فِي حُجُورِكُمْ ﴾ شرطاً، أخذاً بظاهر الآية فقالوا حرم الله تعالى الرببية بشرطين أحدهما أن تكون في حجر المتزوج بأمها والثاني الدخول بالأم فإذا عدم أحد الشرطين لم يوجد التحريم، وما ذهبوا إليه هنا تلقاه الجمهور بالرفض جاعلين الإضافة من باب التغليب لا من باب الشرط وهذا ما صرح به الإمام الطحاوي حيث قال: "وإضافتهن إلى الحجور إنما ذلك على الأغلب^(٢) مما يكون عليه الربائب لا أنهن لا يحرمن إذا لم يكن كذلك"^(٣).

ومثال الثاني عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَالَّتِي بَسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أُرْبِتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمَلَهُنَّ ﴾^(٤) يقول الإيجي: "وقد روي عن علي وابن عباس: أن عدة الحامل المتوفى عنها زوجها أبعد الأجلين عملاً بهذه الآية والتي في سورة البقرة ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرِيضَنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾^(٥) فالإيجي يتعرض إلى آراء كبار الصحابة الفقهية كما فعل رحمه الله في المثال السابق حين ذكر ما ذهب إليه علي وابن عباس في بيان عدة المتوفى عنها زوجها بأن عليها أن تتربص أبعد الأجلين من الوضع أو أربعة أشهر وعشر وللجمع بين الآيتين قال الحافظ ابن كثير في تعليقه

(١) الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ١٢١.

(٢) كقوله تعالى: "أي" كقوله تعالى ولا تكررهما فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً"، ينظر: ابن كثير تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٤٧٢.

(٣) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٥، ص ١١٢.

(٤) سورة الطلاق، الآية: ٤.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٣٤.

على ما ذهب إليه ابن عباس: "وهذا مأخذ جيد ومسلك قوي لولا ما ثبتت به السنة في حديث سبيعة الأسلمية^(١) المخرج في الصحيحين".

وكان في عرضه لتلك الآراء يتثبت ويتحقق من نسبتها إلى السلف فلا يغتر بكونها منسوبة إليهم وهو بذلك يرسم معلماً منهجياً في الفقه، وهو أنه لا بد من إثبات نسبة القول إلى صاحبه قبل التعرض لمناقشته. كما فعل رحمه الله حين أعرض عن قول غير ثابت عن بعض من السلف، من أن الحديبية من الحرم، يقول الإيجي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَيُّمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾^(٢) يقول الإيجي: "أي أنتم مكرمون حتى يصل هديكم محلاً يحل ذبحه فيه وهو مكان الحبس لا شك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ذبحوا هديهم في الحديبية وحلقوا رؤوسهم والحديبية خارجة من الحرم كما صرح به البخاري ولا يلتفت إلى قول غير ثابت عن بعض من السلف، كيف وقد صرح عن جماهير من السلف أنها ليست من الحرم"^(٣).

فالإيجي لم يلتفت إلى قول غير ثابت عن بعض من السلف من أن الحديبية من الحرم متمسكا بما صرح به البخاري بلفظ "والحديبية خارج من الحرم"^(٤).

(١) أنها توفي عنها زوجها سعد بن خولة وهي حامل فلم تتشب أن وضعت حملها بعد وفاته وفي رواية فوضعت حملها بعده بليال فلما تلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل إليها أبو السنابل بن بعكك فقال لها مالي أراك متجلمة لعلك ترجين النكاح والله ما أنت بناكح حتى يمر عليك أربعة أشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين أمسيت فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزويج إن بدا لي"، رواه البخاري في باب فضل من شهد بدراً، ج٤، ص١٤٦٦، برقم ٣٧٧٠، ومسلم في صحيحه باب انقضاء عدة المتوفي عنها زوجها وغيرها بوضع الحمل، ج٢، ص١١٢٢، برقم ١٤٨٤، وينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٢٨٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٦.

(٣) الإيجي، جامع البيان، ج١، ص٤٨.

(٤) روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما إنما البدل على من نقض حجه بالتلذذ فأما من حبسه عذر أو غير ذلك فإنه يحل ولا يرجع وإن كان معه هدي وهو محصر نحره إن كان لا يستطيع أن يبعث به وإن استطاع أن يبعث به لم يحل حتى يبلغ الهدي محله وقال مالك وغيره ينحر هديه ويحلق في أي موضع كان ولا قضاء عليه لأن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالحديبية نحرروا وحلقوا وحلوا من كل شيء قبل الطواف وقبل أن يصل الهدي إلى البيت ثم لم يذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أحداً أن يقضوا شيئاً ولا يعودوا له والحديبية خارج من الحرم، ينظر: البخاري، الصحيح في باب "من قال ليس على المحصر بدل"، ج٢، ص٦٤٣، برقم ١٧١٧.

المسلك الثاني: الاعتناء بذكر المذهب الشافعي:

وهذا المسلك يدل على مزيد عناية الإمام الإيجي في إبراز مذهبه الشافعي ولعل أكثر ما يبرز هذه القضية أيضاً أن الإيجي كان يقدم المذهب الشافعي عند عرضه للآراء الفقهية وذلك عند مقارنته بين المذاهب.

ومن الأمثلة التي لم يذكر الإيجي فيها سوى مذهبه الشافعي عند قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(١) يقول الإيجي: "لا يثاب أحد بفعل غيره أيضاً ومن هذه استنبط الإمام الشافعي أن ثواب القراءة لا يصل إلى الموتى وأما من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء، رواه مسلم والنسائي عن جرير بن عبد الله في قصة المضربين الذي رغب في الصدقة عليهم، فلأنه سببها ودل عليها وفي الصحيح^(٢): من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً"^(٣) ويلاحظ هنا اقتصار الإيجي على ذكر مذهب الشافعي في مسألة وصول ثواب القراءة إلى الميت مع أن هذه المسألة مدار خلاف بين العلماء بين مثبت وناق إلا أن الإيجي أثر الإكتفاء بما ذهب إليه الشافعي معرضاً عن ذكر غيره من المذاهب، بل إنه ساق الأدلة الصحيحة من السنة النبوية للتدليل على صحة ما ذهب إليه مما يدل صراحة على عنايته الفائقة بهذا المذهب.

ومن ذلك أيضاً تقديمه المذهب الشافعي في العرض عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَثَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾^(٤) يقول الإيجي: "لو وقع مثل هذا اليوم فمذهب الشافعي الضمان إن كان بالليل وعند أبي حنيفة لا ضمان مطلقاً إلا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد"^(٥).

(١) سورة النجم، الآية: ٣٩.

(٢) ينظر الإمام مسلم، الصحيح باب "من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة"، ج ٤، ص ٢٠٦٠، رقم ٢٦٧٤، وتماكم الحديث: "من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامه شيئاً".

(٣) الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٣٢٥.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٧٨.

(٥) الإيجي، جامع البيان، ج ٢، ص ٣٩.

وفي مسألة اختيار المخيرة نفسها عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْتِ أُمْتِعْكَ وَأُسرِحْكَ سَرَامًا جَمِيلًا ﴿٦٦﴾ وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾﴾^(١) يقول الإيجي: "نزلت حين سألن ثياب الزينة وزيادة النفقة بغيره بعضهن على بعض فلما نزلت بدأ بعائشة فاخترت الله ورسوله ثم خير سائرهن فاخترن كما اختارت وأكثر أهل العلم على أنه لم يكن تفويض الطلاق فلم يقع بنفس الإختيار بل لو اخترن الدنيا طلقهن ثم الأكثرون على أن المخيرة لو اختارت زوجها لا يقع شيء ولو اختارت نفسها تقع واحدة رجعية عند الشافعي بآئنة عند أبي حنيفة، خلافا لملك فإنها إذا اختارت نفسها تقع عنده ثلاثا".^(٢)

وهنا يلحظ ميله إلى رأي الإمام الشافعي منبها على مبتناه من الأدلة، سواء أكانت عقلية أم نقلية دون التعصب أو هوى فعند تفسير قوله تعالى: ﴿الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا إِلَّا يَفِيمَا حُدُودِ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يَفِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٥﴾﴾^(٣) يقول الإيجي: "أي لا جناح على المرأة فيما أعطت ولا على الرجل فيما أخذ وحاصله أنه لا يجوز أن تضيقوا عليهن ليفتدين منكم بما أعطيتموهن من الصداق نعم إذا تراضيا وطبن لكم عن شيء منه نفسا كلوه هنيئا مريئا ولهذا كثير من السلف والخلف على أن الخلع حرام إلا أن يكون الشقاق من المرأة لكن ذهب الشافعي إلى أنه إذا جاز في حال شقاقها، فيجوز حينئذ للرجل قبول الفدية، فبطريق الأولى عند الاتفاق لكن في غير هاتين الصورتين فحرام".^(٤)

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٨.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٢٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.

(٤) الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٥٦.

وبعد فهذه بعض المسائل الفقهية التي تعرض لها الإيجي في تفسيره موضحة أبرز معالم منهجه فيها، وبالعموم فالإيجي لم يتوسع في ذكر هذه القضايا الفقهية وأدلتها ولكنه في نفس الوقت لم يغفل عن عرض بعض تلك الآراء.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

المبحث السابع

الاتجاه العقدي في تفسير جامع البيان

تعرض الإيجي في تفسيره إلى بعض قضايا العقيدة وقد سبقت الإشارة من قبل - في ترجمته - إلى أنه كان على عقيدة أهل السنة والجماعة. ومما يؤكد ذلك ما سنقف عليه من آرائه العقدية عند تفسير الآيات المتعلقة بذلك. حيث كان يورد آراء أهل السنة والجماعة باختصار وإيجاز، وينصر رأيهم عند الخلاف راداً على مذاهب غيرهم كالمعتزلة وغيرهم.

وقد تمثل منهج الإيجي في تناوله مسائل العقيدة في مسلكين:

المسلك الأول: ذكر مذهب أهل السنة والجماعة دون أن يذكر آراء غيرهم.

كما فعل رحمه الله تعالى في تناوله مسألة "الاستواء على العرش" حيث أورد رأي أهل السنة والجماعة في أكثر من موطن نذكر منها على سبيل المثال عند تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾^(١) يقول الإيجي: "أجمع

السلف على أن استواءه على العرش صفة له بلا كيف تؤمن به ونكل العلم إلى الله تعالى".^(٢)

وفي هذا المعنى نفسه يورد رأي الإمام الشافعي في هذه المسألة عند تفسير قوله تعالى:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾^(٣) يقول الإيجي: "سئل الشافعي عن الإستواء فأجاب: أمنت

بلا تشبيه واتهمت نفسي في الإدراك وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك".^(٤)

كما ردد الإيجي تلك المقولة المأثورة عن الإمام مالك في الإستواء عند تفسير قوله

تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٥) يقول الإيجي: "قال

السلف الإستواء معلوم والكيفية مجهولة".^(٦)

١ (سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

٢ (الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٢٢٣.

٣ (سورة طه، الآية: ٥.

٤ (الإيجي، جامع البيان، ج ٢، ص ١٥.

٥ (سورة الرعد، الآية: ٢.

٦ (الإيجي، جامع البيان، ج ٢، ص ٣٤٥.

وعند قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ

﴿١﴾ يقول الإيجي: "الإستواء معلوم والكيفية مجهولة والسؤال عنه بدعة". (٢)

ونراه يصرح بمذهبه في بحثه للأسماء والصفات بما لا يدع مجالاً للشك بأنه اتبع طريقة السلف في تناوله للأسماء والصفات وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ

وَالْأَرْضَ جَمِيعًا بِضَلَّتْهُ يَوْمَ الْفَيْكَمَةِ وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

﴿٣﴾ حيث يقول: "ونحن على طريقة السلف لا نؤول اليد والقبضة والإصبع ونؤمن بها ونكل

علمها إلى الله سبحانه وتعالى، وهي أقرب من السلامة وأبعد من الملامة". (٤)

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ

أَيْدِيئَانَا أَنْعَمًا ﴿٥﴾ يقول الإيجي: "ليس لله جارحة ولا ما يشبه البشر وأما صفة اليد اللاتقة بذاته

العلية الثابتة بالنصوص فلا نفسرها ولا نعطلها حاشانا قال تعالى: "ليس كمثل شيء وهو السميع البصير". (٦)

ومن الملاحظ هنا إقتصار الإيجي على إيراد رأي أهل السنة والجماعة وبيان معتقدتهم

في الصفات وإيمانهم بها دون تشبيهه أو تعطيل، دون التعرض للآراء الأخرى.

المسلك الثاني: الدفاع عن أهل السنة والجماعة وتعقب خصومهم كالمعتزلة وغيرهم.

تعقب الإيجي خصوم أهل السنة من المعتزلة في آرائهم وأصولهم الاعتقادية التي حاولوا

أن يطوعوا النصوص لإقرارها والإحتجاج لها ومن هذه المسائل أصولهم الخمسة وفيما يلي بيان

رد الإيجي على بعضها:

(١) سورة يونس، الآية: ٣.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٢٩٢.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٦٧.

(٤) الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ١٥٢.

(٥) سورة يس، الآية: ٧١.

(٦) الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٨٨.

أولاً: التوحيد.^(١)

وهو من أصول المعتزلة الخمسة التي بنوا عليها عقيدتهم، ومعناه عندهم: "العلم بأن الله تعالى واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من صفات نفيًا وإثباتًا على الحد الذي يستحقه والإقرار به، ولا بد من اعتبار هذين الشرطين: العلم والإقرار جميعًا لأنه لو علم ولم يقر أو أقر ولم يعلم لم يكن موحدًا".^(٢)

وقد بنى المعتزلة على هذا الأصل مسائل عدة نذكر منها "أن رؤية الله تعالى مستحيلة عندهم" سواء في الدنيا أو الآخرة لأنهم يرونها تستلزم الجهة والجسمانية وغيرهما من صفات الحوادث.

وقد تعرض الإيجي لهذه المسألة في تفسيره في أكثر من موطن مؤكدا رأي أهل السنة والجماعة في ثبوت الرؤية للمؤمنين دون الكافرين يوم القيامة رادا على المعتزلة في معتقدتهم من ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ كَلَّا لَئِنِ ارْتَبَىٰ لَآتِيَنَّكَ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا تُنْتَهِي ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِنِّي أَصْحَابُ الْجَنَّةِ الَّتِي لَا تَخْرُجُ مِنْهَا أَبَدًا ۚ وَمَنْ لَا يَحْمِلْ إِثْمَكَ يُكْتَبُ لَكَ مِنْهُ ثَمَرًا وَسِوَاكَ لَا يَحْمِلُ إِثْمَكَ ۚ وَمَنْ يُكْفِرْ بِآيَاتِنَا وَسِوَاكَ إِن يَزِدَّ عُتُورًا لِّلَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ أَلْفًا مِّنْهُمْ ۚ إِنَّكَ جَاهِلٌ بِّمَا تُدْعَىٰ ۚ﴾^(٣) يقول الإيجي: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾ في الدنيا وقد وردت أحاديث صحاح صريحة على رؤية الله تعالى في الآخرة وأجمعت الأمة على ذلك سوى المعتزلة وحسبهم من الخسران والحسرة أن عاملهم الله تعالى في الآخرة بعقيدتهم وحرمتهم من نعمة لقائه كما قال جدي قدس الله سره.^(٤)

فالإيجي يؤكد ثبوت الرؤية للمؤمنين لثبوت ذلك بما صح من أحاديث وإجماع الإمة على ذلك كما أكد ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا وَزِيَادَةٌ﴾^(٥) يقول الإيجي: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ أي النظر إلى وجه الله الكريم وهو قول أبي بكر الصديق وكثير من

١ (التوحيد عند أهل السنة: "إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له وواحد في أفعاله لا شريك له"، ينظر: للتفصيل في أصول المعتزلة، الشهرستاني، أبي الفتح، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر، الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ط ١٣٩٦هـ، ج ١، ص ٤٢.

٢ (القاضي، عبد الجبار بن أحمد، أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، شرح الأصول الخمسة، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، ط ٣، ١٩٩٦م، ص ١٢٨، وينظر: للتفصيل الباب الخامس والستون في باب "رؤية المؤمنين ربهم تبارك وتعالى وأبصارهم جهرة كما يرى القمر ليلة البدر وتجليه لهم".

٣ (سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

٤ (الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٢٣٤.

٥ (سورة يونس، الآية: ٢٦.

السلف رضي الله عنهم وعليه أحاديث كثيرة أحدها في صحيح مسلم وابن ماجه لكن من يضل الله من العباد فما له من هاد".^(١)

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾^(٢) يقول الإيجي: "تراه عيانا ولا يبعد أن يخلق نور المشاهدة في جميع الوجه كما تتكلم الأيدي والأرجل وحين يرى ربه لا يلتفت إلى غيره والنظر إلى غيره في جنب النظر لا يعد نظرا ولهذا قدم المفعول والأحاديث في تفسير تلك الآية وأقوال السلف والخلف على ذلك بحيث يعد المكابر معاندا".^(٣)

ومن هذا كله نلاحظ رد الإيجي على المعتزلة وغيرهم من أهل البدع المنكرين رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة، مبرزاً اعتقاد أهل السنة والجماعة في المسألة^(٤) منوهاً على معتمده في ذلك من الأحاديث الثابتة التي جاءت موافقة للآيات السابقة والتي تلقاها المسلمون بالقبول من لدن الصحابة والتابعين إلى يومنا هذا، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه: "أن ناساً قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا لا: يا رسول الله قال: هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا قال: فإنكم ترونه كذلك".^(٥)

هذا وقد أفرد كثير من العلماء في كتبهم أبواباً في ثبوت الرؤية للمؤمنين يوم القيامة يقول الترمذي في باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى: "ذهب أهل السنة وجمهور الأمة

(١) الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٢٩٧.

(٢) سورة القيامة، الآية: ٢٢.

(٣) الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٤٤٦.

(٤) يقول العلامة ابن القيم في حادي الأرواح: "اتفق عليها - رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة - الأنبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام على تتابع القرون وأنكرها أهل البدع المارقون والجهمية المتهوكون والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون ومن حبل الله منقطعون وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون وعن بابه مطرودون، ينظر: ابن القيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، حادي الأرواح، السلي بلاد الأفراح، تحقيق: عبد اللطيف أبي محمد الفواعير، دار الفكر، عمان، ١٩٨٧م، ص ٢٦٠-٢٦١، بتصرف يسير.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، باب قول الله تعالى "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة"، ج ٦، ص ٢٧٠٣، برقم ٦٩٩٧، ومسلم في الصحيح باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، ج ١، ص ١٤٦، برقم ١٨٢.

إلى جواز رؤية الله في الآخرة ومنع ذلك الخوارج والمعتزلة^(١) وقال ابن جرير: "وأما الصواب من القول جواز رؤية المؤمنين ربهم عز وجل يوم القيامة وهو ديننا الذي ندين الله به وأدركنا عليه أهل السنة والجماعة".^(٢)

ثانياً: العدل.^(٣)

ويعني عندهم: "ما يقتضيه العقل من الحكمة وهو إصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة"^(٤) وقد بنى المعتزلة على هذا الأصل عدة مسائل منها على سبيل المثال:

أ- أن الله تعالى لا يريد المعاصي لتعلق الإرادة حينئذ بالقبيح وصفة العدل تأباه.

وقد تناول الإيجي هذه المسألة باختصار ورد على هذا الزعم عند قول الله تعالى: ﴿إِن

تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي وَعَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾^(٥) يقول الإيجي: "مع أنه

كان بإرادته فلا يجري في ملكه إلا ما يشاء - فلا يقال الكفر والمعاصي برضى الله ومحبه وإن كانت بإرادته ومشيتته كما لا يخفى على الأعمى".^(٦)

فالإيجي يرد على معتقد المعتزلة في أن الكفر وغيره من قبائح الأعمال ليست من مشيئة

الله وإرادته وقد أنكر صنيعهم هذا - ووصفهم بالأعمى - بل أنه صرح بضلالهم فيها حيث قال في موطن آخر: "كيف يسوغ حمل الرضا على الإرادة وقد جعل في الآية شرطاً وجزاء فعلق

وقوع الشكر على الإرادة ولا شك عند أحد أن إرادته تعالى مقدمة على وجود الشكر منهم لكن المصر على الضلال على قلبه رين وعلى عينه غين"^(٧) فبعد هذا كيف يسوغ لأحد من

١) ينظر المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم أبو العلا، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٧، ص٢٢٤، وينظر: النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربى، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ، ج١٨، ص٥٦.

٢) ينظر محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، صريح السنة، دار الخلفاء للكتاب الإسلامى، الكويت، ١٤٠٥هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: بدر يوسف المعتوق، ص٢٠، وينظر: البيهقى، أحمد بن الحسين، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، باب القول في إثبات رؤية الله عز وجل في الآخرة، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، مدينة النشر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ، ج١ ص١٢٠.

٣) عند أهل السنة العدل هو: "إن الله تعالى عدل في أفعاله بمعنى أنه المتصرف في حكمه وملكه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد" الشهرستاني، الملل والنحل، ص٤٢.

٤) الشهرستاني، الملل والنحل، ص٤٢.

٥) سورة الزمر، الآية: ٧.

٦) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص١٣٣.

٧) المرجع السابق، ج٣، ص١٣٤.

المعتزلة أن يقول هذا قال أبو القاسم: "والصواب لدينا إن جميع ذلك من عند الله ولا يكون شيء إلا بإرادته ولا يحدث شيء إلا بمشيئته له الخلق والأمر." (١)

ب- أن الله تعالى لا يخلق أفعال العباد بل هم الذين يخلقونها.

لأن مقتضى العدل عندهم ألا يحاسب عباده على ما يخلقه هو ومن ثم فأفعالهم من خلقهم حتى تكون محاسبتهم عليها عدلا.

وقد تناول الإيجي هذه المسألة أيضا بالرد وذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿قَالَ

أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿١٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ يقول الإيجي: "أي وما تعملون، بقرينة

﴿تَنْحِتُونَ﴾ يعني هل المخلوقان لخالق واحد يعبد أحدهما الآخر وكلمة ﴿مَا﴾ عامة تتناول ما

يعملونه من الأوضاع والحركات والمعاصي والطاعات وغيرها، والمراد بأفعال العباد المختلف

فيها: هو ما يقع بكسب العبد ويستند إليه مثل الصوم والصلاة والأكل والشرب ونحوها مما

يسمى الحاصل بالمصدر لا نفس الإيقاع الذي هو الإعتبارات العقلية كما نقول: يفعلون الزكاة،

يقيمون الصلاة، يعملون الصالحات والسيئات ولما غفل عن هذه النكتة كثير من الفضلاء بالغوا

في نفي كون ﴿مَا﴾ موصولة والإنصاف أن الآية محتملة لما قررنا ولأن يكون المراد ما

تعملونه من الأصنام - بل لا يبعد أن يقال: هو الأولى على طريقة الإنكار والرد والتصريح

بالمقصود وأما أن ﴿مَا﴾ مصدرية فخارجة في هذا المقام عن طريق البلاغة - فلم يبق

الإستدلال مع الإحتمال والله أعلم." (٣)

فالإيجي هنا يرد على المعتزلة الذين طوعوا النصوص ليقولوا أن العبد قادر على خلق

أفعاله خيرها وشرها وأن الله منزه أن نضيف إليه شر أو ظلم أو فعل هو كفر لأنه لو خلق الظلم

كان ظالما كما لو خلق العدل كان عادلا وهذا مخالف ما عليه أهل السنة" (٤) قال القرطبي: "وإنما

خالفوا السلف في زعمهم بأن أفعال العباد مقدورة لهم وواقعة منهم على جهة الإستقلال وهو

١ (ينظر اللالكائي أبو القاسم، هبة الله بن الحسن بن منصور، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، تحقيق: أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٢هـ، ج ١، ص ١٨٥.

٢ (سورة الزمر، الآية: ٧.

٣ (الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ١٠٢.

٤ (ينظر الشهرستاني، الملل والنحل، ص ٤٥، بتصرف يسير.

مذهب باطل^(١) قال الطبري باب "القول في أفعال العباد" وأما الصواب من القول لدينا فيما اختلف فيه من أفعال العباد وحسناتهم وسيئاتهم فإن جميع ذلك من عند الله تعالى والله سبحانه مقدره ومدبره لا يكون شيء إلا بإذنه ولا يحدث شيء إلا بمشيئته له الخلق والأمر كما يريد^(٢).

ثالثاً: الوعد والوعيد^(٣).

وهو من أصولهم ويعني عندهم "لا كلام في الأزل وإنما أمر ونهي ووعد وأوعد بكلام محدث فمن نجا فبفعله استحق الثواب ومن خسر فبفعله استوجب العقاب والعقل من حيث الحكمة يقتضي ذلك"^(٤).

وقد بنوا على ذلك أن مرتكب الكبيرة ما لم يتب - فهو مخلد في النار ولا يجوز العفو عنه عندهم ولا تقبل فيه شفاعاة.

وقد رد الإيجي على زعمهم في مرتكب الكبيرة وذلك عند قوله تعالى: ﴿إِنْ تَحْتَبُوا كَبَائِرَ مَا نُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾^(٥) يقول الإيجي: "وهو الجنة فمحو الصغائر لمن اجتنب الكبائر وعد مقطوع به ومحوها لمن تعاطى الكبائر ليس كذلك بل في مشيئته وإرادته تعالى - روى النسائي والحاكم في مستدركه وابن حبان في صحيحه أنه عليه الصلاة والسلام قال: "ما من عبد صلى الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويخرج الزكاة ويجتنب الكبائر السبع إلا فتحت له أبواب الجنة ثم قيل له ادخل بسلام"^(٦) وفسر

١ (ينظر ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني، الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ٣٧٩ هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، محب الدين الخطيب، ج١، ص١١٩.

٢ (ينظر الطبري، صريح السنة، ص٢١، مرجع سابق.

٣ (وعند أهل السنة يعني: "كلام أزلي وعد على ما أمر وأوعد على ما نهى فكل من نجا واستوجب الثواب فسبوعه وكل من هلك واستوجب العقاب فبوعيده فلا يجب عليه شيء من قضية العقل" ينظر: الشهرستاني، الملل، ص٤٢.

٤ (المرجع السابق، ص٤٢.

٥ (سورة النساء الآية: ٣١.

٦ (ينظر ابن حبان في صحيحه باب ذكر البيان بأن الجنة إنما تجب لمن أتى الزكاة مع سائر الفرائض وكان مجتنباً للكبائر، ج٨، ص٢٩، برقم ٣٢٤٧، والحاكم في المستدرک، ج١، ص٧٤، برقم ٦٠، والنائي في سننه باب قتال مانع الزكاة، ج٢، ص٥، برقم ٢٢١٨.

عليه السلام هذه السبع كما روي في الصحيحين^(١) بالشرك والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات.^(٢) وأكد على ذلك أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٣) يقول الإيجي: "لا يغفر لعبد لقيه مشركا ويغفر ما دون الشرك صغيرا أو كبيرا لمن أراد تفضلا.^(٤)

وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطَلُوا أَعْمَلَكُمْ﴾^(٥) يقول الإيجي: "بالردة والنفاق أو بالرياء والمن والأذى، أو بالكبائر وعن أبي العالية" كنا معاشر الصحابة نرى أنه لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل، حتى نزلت ﴿وَلَا تُبْطَلُوا أَعْمَلَكُمْ﴾ فحفظنا أن يبطل الذنب العمل "وعن ابن عمر رضي الله عنهما قريب منه ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾^(٦) يقول: "دل بمفهومه على أنه قد يغفر الذنوب لمن لم يمتهن الكفر".^(٧) وهكذا تبين لنا موقف الإيجي من المعتزلة وكيف أنه تناول أصولهم بالرد والإنكار^(٨) مما لا يدع مجالاً للشك من موقفه منهم.

١ (ينظر البخاري، الصحيح باب الشرك والسحر من الموبقات، ج ٥، ص ٢١٧٥، برقم ٥٤٣١، الإمام مسلم، الصحيح باب "بيان الكبائر وأكبرها"، ج ١، ص ٩٢، برقم ٨٩، بلفظ "عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "اجتنبوا السبع الموبقات قيل: يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر ... الحديث".

٢ (الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ١٢٤.

٣ (سورة النساء، الآيات: ٤٨.

٤ (الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ١٢٨.

٥ (سورة محمد صلى الله عليه وسلم، الآية: ٣٣.

٦ (سورة محمد صلى الله عليه وسلم، الآية: ٣٤.

٧ (الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٢٧١.

٨ (الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد، لأبي الحسين الخياط، بتحقيق: نبيرج، ص ١٢٦ - ١٢٧، وينظر تفريعات أصول المعتزلة، الملل والنحل، للشهرستاني، ١ / ٦٥، ومنهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم، ص ٢٢٤، الواحدي ونهجه في التفسير، الدكتور جودة محمد المهدى، ص ٣٧٢، جمهورية مصر العربية، وزارة الأوقاف.

مسائل متفرقة:

كما تناول الإيجي في تفسيره مسائل عدة منها على سبيل المثال:

١ - الإيمان والكسب:

وضح فيها مذهب أهل السنة من أن مجرد الإيمان ينفع صاحبه ولو بعد حين، خلافاً للمعتزلة الذين يقولون بأن مجرد الإيمان بدون كسب خير ليس بنافع صاحبه وأنه لا يسمى صاحبه مؤمناً تناول الإيجي هذه المسألة عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ﴾^(١) يقول الإيجي: "أي لا ينفع الكافر إيمانه في ذلك الحيز ولا الفاسق الذي ما كسب خيراً في إيمانه وتوبته فحاصله أنه من باب اللف التقديري أي لا ينفع نفساً إيمانها ولا كسبها في الإيمان إن لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فيه أي لا ينفعهم تلهفهم على ترك الإيمان بالكتاب ولا على ترك العمل بما فيه وعلى ما قررنا لا يتم استدلال المعتزلة بالآية على أن مجرد الإيمان بدون أن يكون فيه كسب خير ليس بنافع ويوافق على ما قلنا الآيات والأحاديث الشاهدة بأن مجرد الإيمان ينفع ويورث النجاة من النار ولو بعد حين ويلائم مقصود الآية حيث وردت تحسراً لمن أخلف وعد من الرسوخ في الهداية عند إنزال الكتب حيث كذبوا به وصدقوا عنه.^(٢)

فالإيجي يرد على المعتزلة في استدلالهم بهذه الآية من عدم نفع الإيمان بدون عمل، وبهذا المعنى قال ابن المنير في الانتصاف: "هذا الكلام من البلاغة - وهذا ما عناه الإيجي باللف التقديري - يلقب باللف وأصله يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً لم تكن مؤمنة قبل إيمانها بعد ولا نفساً لم تكسب خيراً قبل ما تكتسبه من الخير بعد فلف الكلامين فجعلهما كلاماً واحداً إيجازاً وبهذا التقرير يظهر أنها لا تخالف مذهب أهل الحق فلا ينفع بعد ظهور الآيات اكتساب الخير ولو نفع الإيمان المتقدم من الخلود فهي بالرد على مذهبه - أي الزمخشري - أولى من أن تدل له".^(٣)

(١) سورة الأنعام، الآيات: ١٥٨.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ٢١٤.

(٣) ابن المنير، ج ٢، ص ، بذيل تفسير الكشاف للزمخشري، مرجع سابق.

وما نقله الإيجي واستشهدت عليه بكلام ابن المنير، هو المعتمد عند أهل السنة قال ابن حجر: "... فإنه يظهر منه أن الإيمان المجرد قبل كشف قوارع الساعة نافع وأن الإيمان المقارن بالعمل الصالح أنفع وأما بعد حصولها فلا ينفع شيء أصلاً والله أعلم".^(١)

٢ - مسألة تفضيل الملك على البشر.

ورد فيها على المعتزلة القائلين بتفضيل الملك عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٢) يقول الإيجي: "وقد استدلت بهذه الآية القائلون بتفضيل الملائكة على الأنبياء وقرر صاحب الكشاف وجه الدلالة بما لا يسمن ولا يغني من جوع وادعى أن الذوق قاض بذلك ونعم الذوق العربي إذا خالطه محبة المذهب وشابه شوائب الجمود كان هكذا أو كل من يفهم لغة العرب يعلم أن من قال لا يأنف من هذه المقالة إمام ولا مأموم ولا كبير ولا صغير ولا جليل ولا حقير لم يدل هذا على أن المعطوف أعظم شأنًا من المعطوف عليه وعلى كل حال فما أبرد الإشتغال بهذه المسألة وما أقل فائدتها وما أبعداها عن أن يكون مركزاً من المراكز الدينية وجسراً من الجسور الشرعية".^(٣)

وأكد مذهب أهل السنة والجماعة عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾^(٤) قال الإيجي: "استدل أبو هريرة وطائفة من العلماء على تفضيل أولياء الله من المؤمنين على الملائكة بهذه".^(٥)

وبهذا يرسم الإيجي منهاجاً سليماً في التنقل من الخوض فيما لا طائل تحته فما هو يتعقب الزمخشري بقوله - تفضيل الملك على الأنبياء وغيرهم - قال الزمخشري: "اقتضى الإنصاف تفضيل الملائكة".^(٦) فإنك لو ذهبت فيها إلى أن يكون المسيح أفضل من الملائكة وأعلى رتبة لكان ذكر الملائكة بعده كالمستغنى عنه...."^(٧)

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج ١١، ص ٣٥٧، مرجع سابق.

(٢) سورة النساء، الآيات: ١٧٢.

(٣) الإيجي، جامع البيان، ج ١، ص ١٥٥.

(٤) سورة البينة، الآيات: ٧.

(٥) الإيجي، جامع البيان، ج ٣، ص ٥٠٣.

(٦) ينظر، الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ٣١٨، بتصريف يسير.

(٧) المرجع السابق، ج ١، ص ٣١٧.

وما ذكره الزمخشري مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة قال ابن المنير: "وقد كثر الاختلاف في تفضيل الأنبياء على الملائكة فذهب جمهور الأشعرية إلى تفضيل الأنبياء.... وجماعة من المعتزلة إلى تفضيل الملائكة واتخذ المعتزلة هذه الآية عمدتهم في تفضيل الملائكة" وقد أشبع ابن المنير المسألة بحثاً مستدلاً بجملة من الأحاديث المتوافرة بهذا المعنى".^(١)

٣- الإيمان بعذاب القبر ونعيمه.

ومن المسائل أيضاً ثبوت عذاب القبر ونعيمه والرد على من أنكروه تعرض له عند قول الله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾^(٢) يقول الإيجي: "وفي الصحيحين^(٣) إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال: مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة" وهذه الآية أصل في الاستدلال على عذاب القبر وعليه سؤال: وهو أن الآية لا شك في أنها مكية وفي مسند الإمام أحمد - بإسناد صحيح على شرط الشيخين - "أن يهودية في المدينة كانت تعيد عائشة من القبر فسألت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: كذب اليهود لا عذاب دون يوم القيامة فلما مضى بعض أيام نادى عليه السلام محمراً عيناه بأعلى صوته: "أيها الناس استعيزوا بالله من عذاب القبر فإنه حق"^(٤) فقل في جوابه: إن الآية دلت على عذاب الأرواح في البرزخ وما نفاه أولاً ثم أثبتته عليه السلام: عذاب الجسد فيه والأولى أن يقال: الآية دلت على عذاب الكفار فيه وما نفاه ثم أثبتته عذاب القبر للمؤمنين ففي صحيح مسلم^(٥) عن عائشة رضي الله عنها "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها امرأة من اليهود وهي تقول: اشعرت أنكم تفتنون في القبور فلما سمع عليه الصلاة والسلام قولها ارتاع وقال: إنما يفتن اليهود ثم قال بعد ليل: اشعرت أنه أوحى إلي: أنكم

(١) ينظر للتوسع في الرد ابن المنير، حاشيته على الكشاف، ج١، ص٣١٦.

(٢) سورة غافر، الآيات: ٤٦.

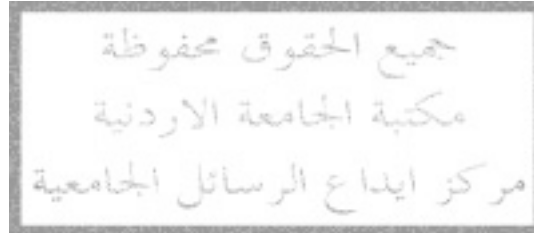
(٣) رواه الإمام البخاري في الصحيح، باب "الميت يعرض عليه عليه بالغداة والعشي" ج١، ص٤٦٤، برقم ١٣١٣، ومسلم في صحيحه باب "عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه"، ج٤، ص٢١٩٩، برقم ٢٨٦٦.

(٤) ينظر الإمام أحمد، المسند، ج٦، ص١٣٩، مسند عائشة رضي الله عنها، برقم ٢٥١٣٣، وج٦، ص١٠٧، برقم ٢٤٨٠٢.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، باب "ذكر عذاب القبر في صلاة الخسوف"، ج٢، ص٦٢١، رقم ٩٠٣.

تفتنون في القبور قالت عائشة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده يستعيز من عذاب القبر".^(١)

وهكذا نلاحظ أن الإيجي تناول مسائل العقيدة بإيجاز ودون ذكر مفصل لأراء المذاهب وأهل الكلام ملتزما ما رسمه لنفسه في مقدمته من بيان عوار المعتزلة وكشف سوءاتهم مع بيان الحق الذي يلتزمه أهل السنة والجماعة حيث قال: "كتاب موفى فيه الحكمة والمعرفة مصفى عن الإعتزال والفلسفة في كل سطر حقائق إستلقت أكثرها بوجه حسن عن السلف ودقائق أبحثها من غير بخل على الخلف".^(٢)



(١) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص١٦٩.

(٢) الإيجي، جامع البيان، ج١، ص٥.

المبحث الثامن

الدخيل والإسرائيليات في جامع البيان وموقف الإيجي منه

تمهيد:

إن من أخطر القضايا المتعلقة بالتفسير، هي الدخيل عليه من الإسرائيليات وغيرها، وحري بمن يتصدى للتفسير أن يكون حذراً عند التعامل معها. "فالإسرائيليات: جمع مفردة إسرائيلية، وهي قصة أو حادثة تروى عن مصدر إسرائيلي والنسبة فيها إلى إسرائيل وهو يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم".^(١)

ومن العلماء من توسع في هذا المدلول فجعل من الإسرائيليات كل ما روي عن أهل الكتاب، أو ما حاكه القصاص من غيرهم مما تناقله عنهم أهل الإسلام. يقول محمد أبو زهو في هذا المعنى "بل توسع بعضهم فعد من الإسرائيليات كل ما دسته يد أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم على التفسير والحديث، من أخبار مختلفة لا أصل لها في مصدر قديم، بغية إفساد عقائد المسلمين وتلبيس الحق بالباطل".^(٢)

أما عن سبب التغليب في التسمية فيقول الذهبي: "وإنما أطلقنا على جميع ذلك لفظ الإسرائيليات من باب التغليب للجانب اليهودي على الجانب النصراني، فإن الجانب اليهودي هو الذي أشتهر أمره فكثرت النقل عنه، وذلك لكثرة أهله وظهور أمرهم وشدة اختلاطهم بالمسلمين من مبدأ ظهور الإسلام الى أن بسط رواقه على كثير من بلاد العالم ودخل الناس في دين الله أفواجا".^(٣)

وقد تفاقم خطرهما بعد ظهور الخلافات المذهبية فوجد أعداء الإسلام في هذا الجو الحالك فرصة سانحة للفساد والوضع في التفسير والحديث بيد أن أئمة التابعين وأثبات علمائهم قد تنبهوا لهذا الخطر العظيم وبذلوا جهوداً في الدفاع عن المأثور فوضعوا أحكام الضوابط وأدق القوانين للحفاظ على المأثور وجعلوا ما نقل منهم على ثلاثة أقسام هي :

١ (الذهبي، محمد السيد حسين، الإسرائيليات في التفسير والحديث، الطبعة الثالثة، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٦ م، ص ١٣، وينظر: نعااعة، رمزي، الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، دار القلم، دمشق ١٣٩٠ هـ، ص ١٧، وينظر: أيضا ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، ص ١٤، ص ٥١-٧١.

٢ (أبو زهو، محمد حمد، الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٤م، ص .

٣ (الذهبي، محمد السيد حسين التفسير والمفسرون، ج ١، ص ١٦٥، وينظر أبو زهو، الحديث والمحدثون، ص ٧٣.

أولاً: قسم يتفق مع القرآن والسنة، فهذا يُؤخذ لموافقته الكتاب والسنة.

ثانياً: قسم يعارض القرآن والسنة، فهذا يرد لمعارضته الكتاب والسنة.

ثالثاً: قسم لا يوافق ولا يعارض القرآن والسنة، يقول ابن تيمية "فهو مما لا يجوز تصديقه ولا تكذيبه إلا بحجة كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم فإما أن يحدثكم بحق فتكذبوه وإما أن يحدثكم بباطل فتصدقوه".^(١)

فهذا يروى وينبه على أنه إسرائيلية، ولا يصدق ولا يكذب، لقوله صلى الله عليه وسلم: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"^(٢). وقوله عليه الصلاة والسلام: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا".^(٣)

بيد أن كثيراً من المفسرين لم يلتزموا التحفظ من رواية الإسرائيليات في تفاسيرهم لا سيما من أسقطوا الأسانيد فضمنوا تفاسيرهم هذه الأقسام الثلاثة من الإسرائيليات. والواجب على المفسر أن يحتاط في نقل الروايات في تفسيره، وأن لا يقبل منها شيئاً بل عليه أن يحصص الرواية قبل سردها، وعدم تركها بلا تعليق إن أوردتها. وأما فيما يتعلق بموقف الإيجي من هذه الإسرائيليات:

فإنه يورد الرواية الإسرائيلية ومن ثم يعقب عليها ويردها.

ولا يقبل منها شيئاً وينبه على أنها من وضع أهل الكتاب أو المارقين الذين أرادوا العبث بهذا الدين غير مغتر بنسبتها إلى السلف.

كما فعل رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ

أَنَابَ ﴿٣٥﴾﴾ يقول الإيجي: "ثم اعلم أنه لم يصح حديث في تفصيل تلك القصة وما نقل عن

(١) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس، أحمد بن عبد الحلیم، تحقيق: محمود محمد نزار، مكتبة التراث الإسلامي، بيروت، ص ٦٩، مقدمة في أصول التفسير، ص ٤٨.

(٢) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب "ما ذكر عن بني إسرائيل"، برقم ٢٤٦١، عن طريق عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٣) رواه البخاري، في صحيحه، باب "من أمر بإنجاز الوعد وفعله الحسن" وذكر إسماعيل أنه كان صادق الوعد، ج ٢، ص ٩٥٣، برقم ٢٥٣٨.

(٤) المرجع السابق، كتاب التوحيد، باب "ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها"، برقم ٧٥٤٢، عن طريق أبي هريرة.

(٥) سورة ص، الآية: ٣٤.

السلف فالظاهر أنه من الإسرائيليات التي لا نصدقها ولا نكذبها والمنقول عن مجاهد وغير واحد من أئمة السلف: أن ذلك الجني لم يتسلط على نسائه بل عصمهن الله منه تشريفاً له عليه الصلاة والسلام وأما سبب ابتلائه ففقيل: لأنه أحب امرأة مات أبوها وهي تجزع أشد الجزع فأمر سليمان عليه السلام الشياطين فصوروا لها تمثالاً لأبيها تسكيناً لها فهي مع ذلك التمثال كعبادة الصنم فعوتب سليمان على ذلك وسلط الله تعالى شيطاناً سرق منه خاتمه الذي فيه ملكه وسلطانه وجلس مقامه يخيل أنه سليمان حتى مضت أيام ابتلائه وقيل فيه غير ذلك والله أعلم^(١).

والإيجي بهذا يقف موقف المحققين من علماء التفسير الذين أجمعوا على رد مثل هذه الروايات، كونها لم تصح سنداً ولا متناً من قريب أو بعيد، وكيف يصح ما نقله الإخباريون من تشبه الشيطان به، وتسليطه على ملكه وتصرفه في أمته وبالجمور في حكمه.

قال الحافظ ابن كثير: "وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف كسعید بن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين، وكلها متلفاة من قصص أهل الكتاب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب"^(٢).

وقال الزمخشري: "ولقد أبى العلماء المتقنون قبوله، وقالوا: هذا من أباطيل اليهود والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الأفاعيل وتسليط الله إياهم على عباده حتى يقعوا في تغيير الأحكام وعلى نساء الأنبياء حتى يفجروا بهن قبيح"^(٣).

وقد وصفها الشهاب الخفاجي في حاشيته على تفسير القاضي بأنها "ظلمسات مثلها مستبعد في الأنبياء عليهم السلام"^(٤).

ويقول أحمد محمد شاكر: "وخاتم سليمان وكل ما يذكر عنه من أسرار، هو من أساطير اليهود المقتونين بالسحر والسحرة، والذين كانوا يزعمون أن سليمان كان ساحراً وأنه ما سلط

(١) الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص١٢٢.

(٢) ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار الخير، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، ج٤، ص٣٩.

(٣) الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر بيروت، ١٩٧٧م، ج٣، ص٣٧٥.

(٤) الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر، حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي ونهاية الراضي، للقاضي على تفسير البيضاوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٧هـ، ج٨، ص١٥١.

على هذا الملك إلا بالسحر، فكل حديث يذكر فيه الخاتم بهذه الصفة فلا نشك أنه من أباطيل اليهود، فإن سليمان عليه السلام إنما ملكه الله وسلطه معجزة له، لا بالخاتم ولا بالسحر".^(١)
وبعد، هذا غيض من فيض من أقوال أهل التفسير والتحقيق على مثل هذه الإفتراءات
لأنبياء الله تعالى.

ومن الإسرائيليات التي ردها الإيجي ونبه على أنها من وضع الزنادقة الملحدين، ما ذكره
عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَهَلْ أُنْتَكَبُوا أَلْحَصَمَ إِذْ سَوَّرُوا أَلْمِحْرَابَ﴾^(٢) يقول الإيجي:
"وما يذكره القصاص ليس له أصل يعتمد عليه، بل منقول عن علي رضي الله عنه أنه قال: "من
حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلده مئة وستين نقله سعيد بن المسيب".^(٣)
وهو بهذا يقف موقف المحذر من مثل هذه الروايات المنبّه على خطرها لأنها روايات لا
تناسب مكانة الأنبياء.

قال الحافظ ابن كثير: "قد ذكر المفسرون هنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم
يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه، ولكن روى ابن أبي حاتم حديثاً لا يصح سنده لأنه
من رواية يزيد الرقاشي عن أنس ويزيد - وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند
الائمة - فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى الله تعالى".^(٤)
قال صاحب الكشاف بعد ذكر هذه القصة: "هذا مما يقبح أن يحدث به عن بعض
المتسمين بالصالح من فناء المسلمين فضلاً عن بعض الأنبياء".^(٥)

١ (أحمد محمد شاكر، جامع البيان، ج٣، ص١٢١، بتصريف.

٢ (سورة ص، الآية: ٢٤.

٣ (الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص١١٧، روى القرطبي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لو سمعت
رجلاً يذكر أن داود عليه السلام قارف من تلك المرأة محرماً لجلدته ستين ومائة لأن حد قاذف الناس ثمانون
وحد قاذف الأنبياء ستون ومائة ذكره الماوردي والثعلبي أيضاً، قال الثعلبي وقال الحرث الأعور عن علي من
حدث بحديث داود على ما ترويه القصاص معتقداً جلده حدين ولعظم ما ارتكب برمي من قد رفع الله محله
وارتضاه من خلقه للعالمين وحجة للمجتهدين قال ابن العربي وهذا مما لم يصح عن علي فإن قيل فما حكمه
عندكم قلنا أما من قال إن نبينا زنى فإنه يقتل وأما من نسب إليه مادون ذلك من النظر والملامسة فقد اختلف نقل
الناس في ذلك فإن صمم أحد على ذلك فيه ونسبه إليه قتلته فإنه يناقض التعزير المأمور به، ينظر القرطبي،
الجامع لأحكام القرآن، ج١٥، ص١٨١، مرجع سابق.

٤ (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٣٢.

٥ (الزمخشري، الكشاف، ج٣، ص٣٦٦.

وممن تناول هذه القصة بالطعن الرازي عند تفسيره للآية المتقدمة حيث أوضح أن حاصل القصة يرجع إلى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق وإلى الطمع في زوجته وقال: "وكلاهما منكر عظيم فلا يليق بعاقل أن يظن بداود عليه السلام هذا، كيف وقد أثنى الله عز وجل على داود قبل هذه القصة وبعدها وذلك يدل على استحالة ما نقلوه من القصة، فكيف يتوهم عاقل أن يقع بين مدحيين ذم ولو جرى ذلك من بعض الناس لاستهجنه العقلاء والله منزّه عن مثل هذا في كتابه الحكيم".^(١)

وبعد فهكذا يتبين أنه لا يجوز أن يلتفت إلى ما سطره الإخباريون من أهل الكتاب وغيرهم ممن بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص كتاب الله تعالى على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح بل أن: "سياق القرآن يأبى كل الإباء هذه القصص وأمثالها".^(٢)

ومن أمثلة الدخيل أيضا عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِبُحَيْرٍ حَلِيمٍ﴾^(٣)، يقول الإيجي رادا على من قال بأن الذبيح هو إسحاق: "ومن زعم من السلف أنه إسحاق فهو الذي سمع ذلك من كعب الأحبار حين يروي عن الإسرائيليات، وليس فيه حديث غير ضعيف والرواية عن علي وابن عباس مختلفة".^(٤)

ورد الإيجي لهذه الرواية موافق لأهل التحقيق قال ابن كثير: "وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق، وحكى ذلك عن طائفة من السلف حتى نقل عن بعض الصحابة، وليس في ذلك كتاب ولا سنة، ولا أظن ذلك تلقى إلا عن أحبار أهل الكتاب، وأخذ ذلك مسلما من غير حجة وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل، فإنه ذكر البشارة بغلام حلیم وذكر أنه الذبيح ثم قال بعد ذلك ﴿وَبَشِّرْهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.^(٥)

وممن تناول هذه الرواية بالنقد العلامة ابن قيم الجوزية في إغاثة اللفهان، حيث نقل عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية أنه قال في الجواب الصحيح على من بدل دين المسيح: "ومن

١ (ينظر الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير، ومفتاح الغيب، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م، ج١٣، ص١٨٩، بتصرف.

٢ (الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص١١٨.

٣ (سورة الصافات، الآية: ١٠١.

٤ (الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص١٠٢.

٥ (سورة الصافات، الآية: ١١٢.

زيادات أهل الكتاب في التوراة أن الله سبحانه وتعالى قال لإبراهيم إذبح بكرك ووحيدك إسحاق قال: والزيادة - وهي اسحاق - باطلة من وجوه عشر^(١).

وقد تناول العلماء مثل هذه الافتراءات بالرد وعنوا بتحقيقها مما لا يدع مجالاً للشك من أن هذا كله متلقى عن أهل الكتاب ولم يصح فيه خبر منقول والله تعالى أعلم.

هذا هو موقف الإيجي رحمه الله الذي تمثل في الأعم الأغلب الإقتصاد في ذكرها، مع بيان عورها وعدم صلاحيتها.

ومما يؤخذ على الإيجي تركه لنقد الرواية الإسرائيلية

فهو يوردها دون ان يعقب عليها او ينبه على أنها من وضع أهل الكتاب، من ذلك ما أورده في معنى السكينة عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾^(٢) يقول الإيجي: "أي وقار ورحمة من ذهب الجنة تغسل فيه قلوب الأنبياء فوضع موسى فيه الألواح وروح من الله إذا اختلفوا في شيء يخبرهم ببيان ما يريدون وفيه أقوال أخر فعن علي كان لها وجه كوجه الإنسان وفيها روح

(١) الأول: أن بكره ووحيد إسماعيل باتفاق الملل الثلاث، فالجمع بين كونه مأموراً بذبح بكره وتعيينه بإسحاق جمع بين النقيضين.. الثاني: أن الله سبحانه أمر أن ينقل هاجر وابنها إسماعيل عن سارة ويسكنها في بركة مكة لئلا تغير سارة فأمر بإبعاد السرية وولدها عنها حفظاً لقلبها ودفعاً لأذى لغيره عنها، فكيف يأمر الله سبحانه وتعالى بعد هذا بذبح ابن سارة وإبقاء ابن السرية فهذا مما لا تقتضيه الحكمة.. الثالث: أن قصة الذبح كانت بمكة قطعاً ولهذا جعل الله تعالى ذبح الهدايا والقرابين بمكة تذكيراً للأمة بما كان من قصة أبيهم إبراهيم مع ولده.. الرابع: أن الله سبحانه بشر سارة أم إسحاق بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب فكيف يأمر بعد ذلك بذبح إسحاق.. الخامس: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر قصة الذبح وتسليمه نفسه لله تعالى وإقدام إبراهيم على ذبحه وفرغ من قصته قال بعدها: "وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين" فشكر الله تعالى له استسلامه لأمره وبذل ولده له وجعل من إثابته على ذلك: أن آتاه إسحاق فنجى إسماعيل من الذبح وزاده عليه إسحاق.. السادس: أن إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه سأل ربه الولد فأجاب الله دعاءه وبشره فلما بلغ معه السعي أمره بذبحه قال تعالى: "وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين، رب هب لي من الصالحين فيبشرناه بغلام حليم" فهذا دليل على أن هذا الولد إنما بشر به بعد دعائه وسؤاله ربه أن يهب له ولداً وهذا المبشر به هو المأمور بذبحه قطعاً.. السابع: أن إبراهيم عليه السلام لم يقدم بإسحاق إلى مكة البتة ولم يفرق بينه وبين أمه.. الثامن: أن الله تعالى لما اتخذ إبراهيم خليلاً والخلة تتضمن أن يكون قلبه متعلقاً بربه ليس فيه سعة لغيره فلما سأله الولد وهبه إسماعيل فتعلق به شعبة من قلبه فأراد خليله سبحانه أن تكون تلك الشعبة له ليست لغيره من الخلق فامتحنه بذبح ولده فلما أقدم على الامتنال خلصت له تلك الخلة فنسخ الأمر بالذبح لحصول المقصود وهو العزم وتوطين النفس للامتنال.. التاسع: أن إبراهيم عليه السلام إنما رزق إسحاق عليه السلام على الكبر وإسماعيل رزقه في قوته والعادة أن القلب يكون أشد تعلقاً به.. العاشر: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفخر ويقول: "أنا ابن الذبيحين" يقصد أباه عبد الله وجده إسماعيل. ينظر ابن القيم الجوزية، شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، إغاثة اللفهان من مصادد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ط ١٩٨٦م، ص ٣٥٤ - ٣٥٧، بتصريف وإيجاز لهذه الوجوه.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٨.

حفاة أي مصوتة أو شيء يشبه الهرة وكانوا إذا سمعوا تيقنوا بالنصر وفي الجملة في أي مكان كان فيه تطمئن القلوب".^(١)

فالإيجي لم يصرح بالرد على مثل هذه الروايات وإن كان في قوله - وفي الجملة في أي مكان كان فيه تطمئن القلوب- إشارة إلى عدم الرضى عما نقله، إلا أن من الأولى أن يرد هذه الروايات البتة، ويصرح بنكارتها وبيان عورها، مما لا يدع مجالاً للقارئ في سقوط مثل هذه الروايات.

يقول أحمد شاكر معلقاً على هذه الروايات: "أقول هذه التفسير المتناقضة لعلها وصلت إلى هؤلاء الأعلام من جهة اليهود أقمامهم الله، فجاءوا بهذه الأمور بقصد التلاعب بالمسلمين والتشكيك عليهم، وانظر إلى جعلهم لها تارة حيواناً وتارة شيئاً لا يعقل.

وهكذا كل منقول عن بني إسرائيل يتناقض ويشتمل على ما لا يعقل في الغالب ولا يصح أن يكون مثل هذه التفسير المتناقضة مروياً عن النبي - صلى الله عليه وسلم- ولا رأياً رآه قائله فهم أجل قدراً عن التفسير بالرأي وبما لا مجال للاجتهاد فيه.

إذا تقرر ذلك عرفت أن الجواب الرجوع في مثل ذلك إلى معنى السكينة لغة، وهو معروف ولا حاجة إلى ركوب هذه الأمور المنعسفة المتناقضة، فقد جعل الله عنها سعة ولو ثبت لنا في السكينة تفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم لوجب علينا المصير إليه والقول به، ولكنه لم يثبت من وجه صحيح بل ثبت أنها تنزلت على بعض الصحابة عند تلاوته للقرآن كما في صحيح مسلم: "عن البراء بن عازب قال كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط فتغشته سحابة فجعلت تدور وتدنو وجعل الفرس ينفر منها فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال تلك السكينة نزلت للقرآن"^(٢) وليس في هذا إلا أن هذه التي سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم سكينة سحابة دارت على ذلك القارئ فإله أعلم فعلى هذا كل شيء كانوا يسكنون إليه فهو سكينة".^(٣)

(١) الإيجي، جامع البيان، ج١، ص٦٢.

(٢) رواه مسلم في الصحيح باب "نزول السكينة لقراءة القرآن"، ج١، ص٥٤٨، برقم ٧٩٥.

(٣) شاكر، أحمد، جامع البيان، ج١، ص٦٢.

ومن الروايات الدخيلة على التفسير التي ذكرها الإيجي ولم يعقب عليها عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾^(١) يقول الإيجي: "وهو علمه بأن زيدا سيطلقها وهو ينكحها، فإن الله قد أعلمه بذلك. أو ميل قلبه إليها وإلى طلاقها فإن نفسه الأقدس مالت إليها بعد أن تزوجها زيد. فمن الملاحظ هنا أن الإيجي اعتمد في هذا على بعض آثار رويت في ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه وغيره ذكرها ابن جرير وابن أبي حاتم.

قال الحافظ ابن كثير: "ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير ههنا أثراً عن بعض السلف رضي الله عنهم نضرب عنها صفحا لعدم صحتها فلا نوردها"^(٢) وقال أيضاً: "وقد روى الإمام أحمد ههنا أيضاً حديثاً من رواية حماد بن زيد بن ثابت عن أنس رضي الله عنهم فيه غرابة تركنا سياقه أيضاً"^(٣).

وبعد فما كان ينبغي أن تروى أمثال هذه الآثار المكذوبة فقد اتخذها الزنادقة سبيلاً إلى النيل من عصمة النبي صلى الله عليه وسلم، وعلو مكانته وسامي خلقه الكريم، ومن تتبع سيرة هذا الرسول الكريم قطع يقيناً بأنها مكذوبة افتعلها أعداء الإسلام، وعلم أنه صلى الله عليه وسلم إنما كان يخفي في نفسه الشريفة رغبته في أن يكون هو قدوة حسنة في إبطال ما كان عليه أهل الجاهلية من تحريم زوجة المتبنى كتحريم زوجة الإبن الصحيح، ولم يكن لذلك من سبيل إلا بطلاق زيد لزينب، وحاشاه صلى الله عليه وسلم أن يميل قلبه أتقى القلوب وأعظمها ذكراً لله إلى زينب وهي ابنة عمته التي نشأت تحت بصره في كل أدوار حياتها، فكيف يعقل أن يميل قلبه إليها بعد أن صارت في نكاح حبه ومولاه زيد، سبحانه هذا بهتان عظيم نبراً إليك منه"^(٤).

ومن الأمثلة أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ ينادِ الْمَآءُ مِنَ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾^(٥) يقول الإيجي: "وهي صخرة بيت المقدس أقرب أجزاء الارض من السماء ينادي: أيتها العظام البالية واللحوم المتمزقة إن الله تعالى يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء."^(١)

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٧.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، طبعة عيسى البابي الحلبي، ج ٣، ص ٤٩١.

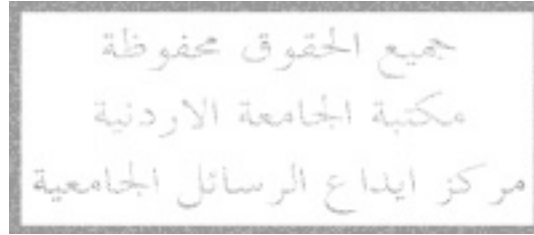
(٣) المرجع السابق، ج ٣، ص ٤٩١.

(٤) شاكر، أحمد، جامع البيان، ج ٣، ص ٣٣، بتصرف.

(٥) سورة ق، الآية: ٤١.

وهذا أيضاً مما ينبغي تركه والإعراض عنه قال ابن كثير: "ذكره قتاده عن كعب الأحبار".^(٢) وكعب الأحبار كما نعلم كان كثير التحدث بالإسرائيليات وقد طعن في روايته كثير من العلماء".^(٣)

وبعد هذا البيان نستطيع أن نلخص موقف الإيجي من الإسرائيليات، بأنه قد التزم بالصحيح المروي عن الصادق المصدوق ورد تلك الآثار التي عبثت أيدي اليهود بها، دون أن يغتر بنسبتها إلى السلف في أعم تفسيره وأغلبه، إلا أنه مع هذا الحرص لم يسلم كغيره من المفسرين من الوقوع في شركها، وكان حرياً به أن يطهر تفسيره منها تماماً ليبقى صافياً ترده النفوس من غير كدر.



١ (الإيجي، جامع البيان، ج٣، ص٣٠١.

٢ (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، طبعة دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٥هـ، ج٤، ص٢٣٠.

٣ (شاكر، أحمد، جامع البيان، ج٣، ص٣٠١.

الخاتمة

الحمد لله الأول والأخر، والباطن والظاهر، الحمد لله كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون، حمداً يليق بعظمة جلاله وحسن نواله وجماله، ويوافي نعمه ويقابل كرمه، الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذه الدراسة ورزقني الإشتغال بآيات كتابه.

أما بعد :

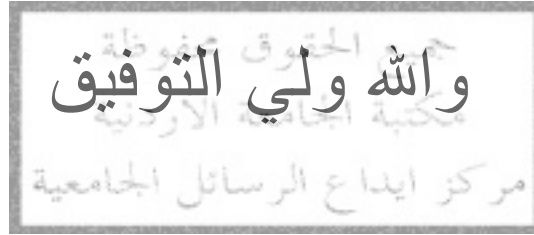
فهذه دراسة لمنهج الشيخ السيد معين الدين بن صفى الدين الإيجي الشافعي في تفسيره جامع البيان أقف في نهايتها لأسجل أهم النتائج التي توصلت إليها :

- ١- اتضح أن هذا التفسير عظيم القدر، جمع فوائد ومحاسن جمة، تظهر جلياً من خلال.
 - أ- اعتماد الإيجي على التفاسير المرفوعة المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى ما جاء من السلف الصالح، من الصحابة والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين.
 - ب- مراعاة الإيجي في تفسيره للإيجاز، ومع هذا فهو جامع لفوائد ومحاسن عظيمة، ومغن مع اختصاره وصغر حجمه عن كثير من الكتب الأخرى.
 - ج- الأحاديث المذكورة في هذا التفسير، معظمها من الكتب الستة، خرجها المفسر في حاشيته، وقد تتبع ما قاله المحققون في هذه الأحاديث، وسجل كثيراً من أقوالهم.
 - د- أما عن وجوه الإعراب، فما اختار إلا الأظهر منها، وإن ذكر أكثر من وجه، فلنكتةً أراد بيانها.
- ٢- وقف الإيجي من مصادره موقف الناقد، خصوصاً الزمخشري، معللاً ذلك بأن الزمخشري أعرض في كثير من الأحيان عن المعنى المنقول عن السلف، بسبب مناسبة لفظية أو معنوية.
- ٣- جعل المفسر لنفسه حاشية على تفسيره، ضمنها كثيراً من الإشارات واللطائف الدقيقة، وتعرض فيها لوجوه أخر من المعاني والإعراب.

٤- تناول التفسير بالدراسة والتحقيق ثلثة من المحققين، من أهمهم: الشيخ أحمد محمد شاكر، فجاءت هذه التعليقات نافعة والحمد لله.

وأخيراً لعل من أهم هذه النتائج التي يمكن تسجيلها في هذه الدراسة، بأنها كشفت عن جوانب مهمة حول الإيجي وتفسيره جامع البيان، إذ أن كثيراً من طلاب العلم لم يقفوا عليه.

وبعد فهذه أبرز نتائج هذه الدراسة المتواضعة، والتي أسأل الله تعالى أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم.



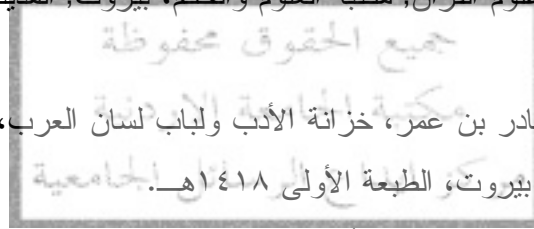
المصادر والمراجع

- ❖ ابن البارزي، هبة الله بن عبد الرحمن، ابن إبراهيم، ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.
- ❖ ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد الطنجي، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار، شرحه وكتبه هوامشه طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، بدون تاريخ الطبعة.
- ❖ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب العلمية - وزارة الثقافة والإرشاد - المؤسسة المصرية العامة.
- ❖ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، حققه محمد أمين، دار الكتب المصرية، ١٩٨٦م. جامعة الأردنية
- ❖ ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم، تحقيق: محمود محمد نصار، مكتبة التراث الإسلامي، بيروت، طبعة ١٩٨٨م.
- ❖ ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٠م.
- ❖ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، نواسخ القرآن، تحقيق: محمد المليباري الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.
- ❖ ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ.
- ❖ ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، محب الدين الخطيب دار المعرفة، بيروت، الطبعة ١٣٧٩هـ.
- ❖ ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
- ❖ ابن حجر، أحمد بن علي، شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- ❖ ابن حمدون، محمد بن الحسين بن محمد بن علي، التذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة ١٩٩٦م.
- ❖ ابن حنبل، أحمد بن محمد أبو عبدالله الشيباني، المسند، مؤسسة قرطبة، مصر.
- ❖ ابن خالويه، الحسين بن أحمد أبو عبد الله، الحجة في القراءات السبع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠١هـ.
- ❖ ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٦٨م
- ❖ ابن الخياط، أبو الحسين عبد الرحمن بن محمد بن عثمان، الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد، تحقيق: محمد حجازي، مكتبة القاهرة، ١٩٨٨م.
- ❖ ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد الزهري، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.
- ❖ ابن سلام، محمد زغلول، الأدب في العصر المملوكي، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٨م.
- ❖ ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، مقدمة ابن صلاح في علوم الحديث، تعليق صلاح محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.
- ❖ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- ❖ ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا الرازي، الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق: أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- ❖ ابن فهد، أبو الفضل محمد بن محمد، ذيل تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ❖ ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
- ❖ ابن قانع، أبو الحسين عبد الباقي، معجم الصحابة، تحقيق: صلاح بن سالم المصراي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- ❖ ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، أدب الكاتب، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ.
- ❖ ابن قسيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، تحقيق: عبد اللطيف أبي محمد الفواعير، دار الفكر، عمان، ١٩٨٧م.

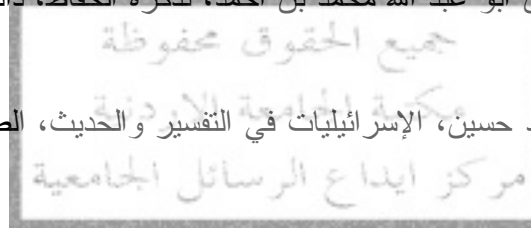
- ❖ ابن قسيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة بيروت، طبعة ١٩٨٦م.
- ❖ ابن كثير، إسماعيل بن عمرالدمشقي أبو الفداء تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت ١٤٠٦ هـ.
- ❖ ابن كثير، إسماعيل بن عمرالدمشقي، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار التراث، القاهرة ١٩٧٩م.
- ❖ ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ١٩٧٥م.
- ❖ ابن منظور، محمد بن مكرم الافريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.
- ❖ ابن المنير، ناصر الدين أحمد الإسكندري المالكي، الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال وهو بذيل الكشاف، دار المعرفة، بيروت.
- ❖ ابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، التسمية النبوية المعروفة بسيرة ابن هشام، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ.
- ❖ أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، المراسيل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.
- ❖ أبو زهو، محمد حمد، الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٤م.
- ❖ أبو هزيم، أحمد فريد، دراسة في مآثورات الصحابة وقيمتها في التفسير - نسخة مصورة من الدكتور.
- ❖ أبوالسعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٠م.
- ❖ أديب، صالح محمد، لمحات في أصول الحديث، المكتب الاسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ.
- ❖ الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، كتاب الأغاني، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

- ❖ الأمدي، سيف الدين أبو حسن علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: سيد الجميلي، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.
- ❖ الأمين، حسن، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، دار التعارف للمطبوعات، الطبعة الخامسة ١٩٩٥م.
- ❖ الإيجي، عضد الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد، الفوائد الغياثة، تحقيق: عاشق حسين، دار الكتب المصرية، ودار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
- ❖ البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى البغا، دار ابن كثير واليامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- ❖ البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، البحر الزخار، بتحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم، بيروت، المدينة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- ❖ البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولباب لسان العرب، تحقيق: محمد الطريفي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- ❖ البغوي، الحسين بن مسعود الفراء أبو محمد، معالم التنزيل، تحقيق: مروان سوار وآخرون، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.
- ❖ البكري، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي أبو عبيد، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة ٤٠٣هـ.
- ❖ البيضاوي، ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ.
- ❖ البيهقي، أحمد بن الحسين، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، مدينة النشر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.
- ❖ الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ❖ التفتازاني، سعد الدين بن مسعود بن عمر، شروح التلخيص وهي مختصر تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٣٧هـ.



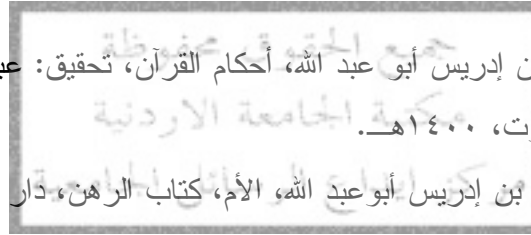
- ❖ التلمساني المالكي، محمد بن أحمد الشريف، مفتاح الوصول على بناء الفروع على الأصول، تحقيق: محمد علي فركوس، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- ❖ الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
- ❖ الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، جدة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ.
- ❖ الجوهري، أبو نصر اسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: عطا أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دارالعلم للملايين ١٩٧٩م.
- ❖ الحاكم، محمد بن عبدالله أبو عبدالله النيسابوري المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- ❖ الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، معرفة علوم الحديث، تعليق معظم حسين، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٣٩٧هـ.
- ❖ الحسنوي، محمد، الفاصلة في القرآن، المكتب الإسلامي، دار عمار، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
- ❖ الحسيني، إبراهيم بن محمد، البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف، تحقيق: سيف الدين الكاتب، دار الكتاب العربي، بيروت تاريخ الطبعة ١٤٠١هـ.
- ❖ الحسيني، عبد الحي بن فخر الدين، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر - يتضمن تراجم علماء الهند وأعيانها في القرن الثالث عشر - طبع تحت مراقبة شرف الدين أحمد مدير دائرة المعارف العثمانية، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ.
- ❖ الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م.
- ❖ الحميري، محمد بن عبد المنعم، كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، طبعة دار القلم، ١٩٧٥م.
- ❖ الحيدرة اليمني، علي بن سليمان بن أسعد، كشف المشكل في النحو، تحقيق: هادي عطية مطر، وزارة الأوقاف، بغداد ١٩٨٤م.

- ❖ الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، الكفاية في معرفة أصول الرواية، تحقيق: أحمد عمر هاشم، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٦هـ.
- ❖ الخطيب، محمد عجاج، السنة قبل التدوين، دار الفكر، بيروت ١٩٧١ م
- ❖ الخطيب، محمد عجاج، لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ،
- ❖ الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر، حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي ونهاية الرازي، للقاضي على تفسير البيضاوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.
- ❖ الخولي، محمد عبد العزيز، تاريخ فنون الحديث النبوي، تحقيق: محمود الأرنؤوط، ومحمد ابن عبد الله القهوجي، دار ابن كثير ١٩٨٨م.
- ❖ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، تذكرة الحفاظ، دائرة المعارف، حيدر آباد، ١٩٦٨م.
- ❖ الذهبي، محمد السيد حسين، الإسرائيليات في التفسير والحديث، الطبعة الثالثة، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٦م.
- ❖ الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون.
- ❖ الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م.
- ❖ الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن بن إدريس بن مهران، علل ابن أبي حاتم، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، طبعة سنة ١٤٠٥هـ.
- ❖ السخاوي، شمس الدين، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.
- ❖ الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة ١٤١٥هـ.
- ❖ الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تحقيق: عمر الطباع.
- ❖ الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى، ثلاث رسائل في الإعجاز، النكت، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ.



- ❖ الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: فواز زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.
- ❖ الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ.
- ❖ الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٨هـ.
- ❖ الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٨٠م.
- ❖ زمامة عبد القادر، وفاضل عبد النبي، وعبد الوهاب سعود، ومحمد الكتاني، معجم تفاسير القرآن الكريم، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، طبعة ١٤١٩ هـ.
- ❖ الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، ربيع الأبرار وفصوص الأخبار، تحقيق: عبد الحميد دياب، ورمضان عبد التواب، الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٩٢م.
- ❖ الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٧م.
- ❖ السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
- ❖ السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، فتح المغيث شرح ألفية الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.
- ❖ سركيس، يوسف اليان الدمشقي، معجم المطبوعات العربية والمعربة، عالم الكتب، مطبعة سركيس بمصر، ١٣٤٦هـ.
- ❖ السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
- ❖ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: عصام قاسم الحرساني وآخرون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- ❖ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.

- ❖ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ.
- ❖ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، لباب النقول في أسباب النزول دار احياء العلوم، بيروت، ١٩٧٨م.
- ❖ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أبو الفضل وعلي محمد البجاوي، دار الفكر، بيروت.
- ❖ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق: علي محمد البيجاوي، دار الفكر العربي، ١٩٧٣م.
- ❖ شاكر، محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
- ❖ الشافعي، محمد بن إدريس أبو عبد الله، أحكام القرآن، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ.
- ❖ الشافعي، محمد بن إدريس أبو عبد الله، الأم، كتاب الزهن، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.
- ❖ شباور، عصام محمد، السلاطين في المشرق العربي، مهام دورهم السياسي والحضاري (٦٤٨-٩٢٣ هـ) دار النهضة العربية، بيروت، طبعة ١٩٩٤م.
- ❖ شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، التبيان في تفسير غريب القرآن، تحقيق: فتحي أنور الدأبولي، دار الصحابة للتراث بطنطا، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٢هـ.
- ❖ الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر، الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، طبعة ١٣٩٦هـ.
- ❖ الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر، بيروت.
- ❖ الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، مطبعة السعادة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ.
- ❖ الصغير، أبو عبد الله، مصرع غرناطة، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ.
- ❖ الصمانجي، عزيز قادر، التاريخ الإسلامي لتركمان العراق، دار الساقى، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.



- ❖ الصولي، أبو بكر محمد، أخبار الراضي بالله والمتقي لله أو الدولة العباسية من سنة ٣٢٢ الى سنة ٣٣٢ هـ، من كتاب الأوراق، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٩م.
- ❖ ضيف شوقي، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، الطبعة التاسعة.
- ❖ طاشكبري زادة، أبو الخير أحمد بن مصطفى، العقد المنظوم من ذكر أفاضل الروم، دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة ١٣٩٥هـ.
- ❖ الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.
- ❖ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، تاريخ الطبعة ١٤٠٥هـ.
- ❖ الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر، صريح السنة، تحقيق: بدر يوسف المعتوق، دار الخفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- ❖ الطحان، محمود، أصول التخريج ودراسة الأسانيد، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٧٨م.
- ❖ الطوفي، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم، الإكسير في علم التفسير، تحقيق: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٧٧هـ.
- ❖ العباسي، عبد الرحيم بن أحمد، معاهد التنقيص على شواهد التلخيص، تحقيق: محي الدين محمد، عالم الكتب، بيروت، ١٣٦٧هـ.
- ❖ العسقلاني، ابن حجر، إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: الدكتور حسن حبشي، إشراف محمد توفيق عويضة، القاهرة، ١٣٩١هـ.
- ❖ عواد، محمد حسن، تناوب حروف الجر في لغة القرآن، دار الفرقان عمان الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.
- ❖ غازي عناية، أسباب النزول القرآني، دار الجيل، بيروت، طبعة ١٩٩١م.
- ❖ ١١٥- الغزي، محمد بن محمد، إتقان ما يحسن من الاخبار الدائرة على الألسنة، تحقيق: خليل محمد العربي، مطبعة الفاروق الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- ❖ فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، دار الفرقان، الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ.
- ❖ فوزي، فاروق عمر، العراق والتحدي الفارسي، دراسة تاريخية، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

- ❖ القاضي، عبد الجبار بن أحمد، أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، شرح الأصول الخمسة، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة ١٩٩٦م.
- ❖ الضامن، حاتم صالح، الناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى عن قتادة بن دعامة السدوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- ❖ القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ.
- ❖ القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة والعشرون ١٤١٥ هـ.
- ❖ قطب، محمد علي، مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس، مكتبة القرآن، القاهرة، ١٩٨٥م.
- ❖ القنوجي، صديق حسن، أجد العلوم والوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م.
- ❖ الكتاني، محمد بن جعفر، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة، تحقيق: محمد المنتصر محمد الزمزمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٦ هـ.
- ❖ الكرمي، مرعي بن يوسف بن أبي بكر، قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن، تحقيق: سامي عطا حسن، دار القرآن الكريم، الكويت، ١٤٠٠هـ.
- ❖ الكنانسي البوصيري، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.
- ❖ اللاكائي أبو القاسم، هبة الله بن الحسن بن منصور، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، تحقيق: أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٢هـ.
- ❖ مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي، الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء التراث العربي، مصر ١٩٥١م.
- ❖ المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم أبو العلا، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ❖ المرزوقي، محمد عليان، مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف، طبعة دار المعرفة.
- ❖ مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٠م.

- ❖ المشني، مصطفى إبراهيم، ابن العربي المالكي الإشبيلي وتفسيره أحكام القرآن، دار الجبل، بيروت، دار عمار، عمان، الطبعة الأولى ١٩٩١م.
- ❖ المناوي، محمد عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ.
- ❖ مظهر، علي مظهر، محاكم التفتيش بإسبانيا والبرتغال وفرنسا وغيرها وفيه آخر صفحة لتاريخ المسلمين بالفردوس الإسلامي المفقود الأندلس، مطبعة أنصار السنة المحمدية ١٣٦٦هـ.
- ❖ المقرئزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد، الخطط كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار التحرير، طبعة بولاق، ١٢٧٠هـ.
- ❖ المقدسي البشاري، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم طبعة ليدن ١٩٧٦م.
- ❖ ابن سلامة هبة الله ابن نصر المقرئ، الناسخ والمنسوخ، تحقيق: زهير الشاويش، محمد كنعان، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- ❖ مكرم، سامي، شيراز مدينة الأولياء والشعراء ترجمة مؤسسة فرنكل، ترجمة الدكتور، آرثر أربري، مكتبة لبنان، ط ١٩٦٧. ابداع الرسائل الجامعية
- ❖ مير بصري، أعلام التركمان، مكتبة الوراق، طبعة لندن، ١٩٩٧م.
- ❖ النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي أبو جعفر، الناسخ والمنسوخ، تحقيق: محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- ❖ النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، السنن الكبرى، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري وزميله، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- ❖ نعناعة، رمزي، الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، دار القلم، دمشق ١٣٩٠ هـ
- ❖ النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.
- ❖ نويهض، عادل، معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، قدم له الشيخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية، الطبعة الثالثة ١١٤٠هـ.
- ❖ الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- ❖ الواحدي، أبو الحسن بن علي بن أحمد، أسباب النزول، الطبعة الأولى، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة ١٣٧٩هـ.

The Method of Al-Eji in his Tafsir Jami' al bayan

By:

Fadi Mahmoud Al-Rayahneh

Supervisor:

Dr. Ahmad Khaled Shukri



This study aims at highlighting al –imam Aleji approach in his jami' al bayan interpretation ,where researcher conducted an investigation on the personal and scientific life of alimam Aleji, after which he identified his interpretation (tafsir)with respect to its writing date ,editions ,previons studies conducted on it ,the book size and the general approach in its interpretation.

Then the researcher has conducted a study on the nature, scientific value, the degree to which Aleji depended on or criticizing his resources, raked according to their subjects (topics) with a breif description of some, after that the resecher adressed alimam approach studying and anlysing, where this study came in eight topics covering Aleji approach in interpreting by transmitted, interpreting Quran with Quran, and Sonna, and with Alsahaaba and followers speech, as well as interpreting al-Quran with

the imaam opinion dressing his approach of combining the transmitted with the rational (reasonable), while dedicating topic for talking about linguistic and gramatic trued in the collector of declartion (jami' al bayan) talking about Aleji interest and care with Quranic vocabulary its derivation and weights, his testimony with poetry, speech and proverbs of Arabs, followed by a talk about alimam Aleji care and interest in questions related to Quran sciences, as readings, abrogation, motires for the ayat, along with talking about solid and analogous and other simillar questions related to this science, the researcher also adressed doctrinal (fighi) trend of Aleji, clarifying his doctrine in discussing fighi matters covered by his interpretation, an other topic was dedicated for the belief trend or attitude of Aleji, his method in handling some faith questions explaining the interpretor belief and his opinions regarding some of these questions.

And finlly the researcher concludes with talking about Aleji position regarding extraneous and Israelites.

The research also includes a conclusion of major findings and recommendations.

This thesis was but small contribution for the purpose of transmitting earlier scciences and displaying their personalities aknowledging their deeds and favors, all of which through a debreifing without disrupting the whole subject.